تحفة المشتاقين

إلى حلِّ ألفاظِ متن الأربعِين

(شَرحٌ مختصَرٌ جامعٌ للأحَاديثِ الأربعينَ النَّوويَّة)

ومعه

كِتابُ الأربعُونَ النَّوويَّة

مضبوطًا على نسخةٍ مقروءةٍ على تلميذِ المصنِّفِ

عمِله
سمير بن سامي آل القاضي
غفر الله له

شركة دار المشاريع

الطبعة الثانية
١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ ر

شركة دار المشاريع

بيروت ــ لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،
بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ ــ ١٤ بيروت ــ لبنان



email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين له النعمة وله الفضلُ وله الثناء الحسن أسألُهُ التوفيقَ وأستغفرُهُ مِنَ الذُّنُوبِ الخَفِيَّاتِ والجَلِيَّاتِ وأرجوه الإخلاصَ فِى الأعمالِ والنياتِ وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ ذو المعجزات الباهرات صلى الله عليه وعلى ءَالِهِ وأصحابِهِ والتابعين لَهُمْ بإحسانٍ أما بعدُ فيقولُ الفقيرُ إلى رحمةِ مولاه وعفوِهِ الفقيرُ الشامِىُّ سميرُ بنُ سامِى بنِ القاضِى سَتَرَ اللهُ عَيْبَهُ وغفرَ ذَنْبَهُ

أما بعد فإنَّ الأحاديثَ الأربعينَ النوويَّةَ فيما أحسبُ أشهرُ كتب الأربعيناتِ وقد رأيتُ أن أستَلَّ من شرحِى المُسَمَّى الخلاصةَ الصَّافيةَ الجليَّةَ حلًّا مختصَرًا لألفاظِ هذه الأحاديثِ يكونُ أسهلَ لتناولِ الطلبةِ ولا يُخِلُّ بأصولِ مقاصِدِ المتنِ والشرحِ وسمَّيْتُه تحفةَ المشتاقينَ إلى حلِّ ألفاظِ متن الأربعين تضمَّنَ شرحَ غريبِ كلماتِها فأغنَى عنِ التعرُّضِ لِمَا ألحقَه النووىُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمتنِ من بيانِ المشكلاتِ واللهَ أسألُ أن يباركَ فيه وينفعَ به جامعَه وقارئَه فِى الدنيا والآخرة ه

وأبدأُهُ بمقدِّمةٍ فِى ترجمةِ جامعِ الأربعين فأقولُ هو الحافظُ الفقيهُ الشافعِىُّ مُحْيِى الدينِ أبو زكريا يحيى بنُ شرفٍ النووىُّ نسبةٌ لقرية نَوَى من أرض حَوْرَان فَهِىَ مِنْ أعمالِ دمشقَ فهو الدِّمَشْقِىُّ أيضًا لا سيما وقد أقام الشيخ بدمشقَ نحوًا من ثمانٍ وعشرين سنةً ه

كان مولدُهُ سنةَ إحدى وثلاثين وستِّمِائَةٍ ونشأ فِى سِتْرٍ وخيرٍ وكان وهو ابن عشر سنين بِنَوَى يُكرهُهُ الصبيانُ على اللعب معهم وهو

يهربُ منهم ويبكِى لإكراهِهِمْ ويقرأُ القرءان فِى تلك الحال ۞ ختم القرءانَ وقد ناهزَ الحُلُمَ ۞

كان رحمَه اللهُ أسمرَ ربعةً مَهِيبًا عليه سكينةٌ كثَّ اللحية أسودَها وفيها شعراتٌ بيضٌ وكان ملبسُهُ مثلَ ءَاحَادِ الفقهاءِ مِنَ الحَوَارِنَةِ مِمَّا ترسله له أُمُّهُ ليلبسَهُ ۞

ولَمَّا كان فِى سِنِّ تسعَ عشرةَ سنةً قَدِمَ به والدهُ فِى سنة تسع وأربعين وستِّمِائةٍ إلى دمشقَ فسكن المدرسةَ الرَّواحيةَ واستمر بها حتى مات لم ينتقلْ منها وبيتُهُ فيها بيتٌ لطيفٌ عجيبُ الحالِ ۞ وبقِىَ أولَ قدومه نحو سنتينِ لا يتمدَّدُ للنومِ يتَقَوَّتُ بجراية[١] المدرسة وقد يتصدقُ منها أيضًا ثم ترك تعاطِيَهَا ۞

حَفِظَ التَّنْبِيهَ فِى نحوِ أربعة أشهر ونصف ثم حفظ ربعَ العبادات من المُهذَّب فِى باقِى السنة وحفظ مقدمة الجُرجانيّ فِى النحو والمُنتخبَ فِى الأصولِ قال النوويُّ بدأ الدراسةَ فِى دمشقَ على الكمالِ إسحَقَ المَغْرِبِيّ ولازمهُ فأُعْجِبَ به لِمَا رأى مِنْ ملازمتِه للاشتغالِ وعدمِ اختلاطِه بالناس وأحبَّه محبةً شديدةً وجعله معيدَ الدرسِ بحلقتِهِ لأكثرِ الجماعةِ ثم حجَّ سنةَ إحدى وخمسين مع والدِه وكانت هذه حجةَ الإسلامِ فلما تمَّ الحج ورجعَ إلى دمشقَ ظهر اتساعُ باعه فِى العلم ولَاحَتْ عليه أماراتُ النجابةِ والفهمِ ۞ ولم يزل يشتغل بالعلم ويقتفِى ءَاثار شيخِهِ الكمالِ المذكور بالعبادة من الصلاة والصيام والزهد والورع وعدم إضاعة شَىْء من أوقاته لا سيما بعد وفاة شيخِهِ فإنه زاد فِى الاشتغال بالعلم والعمل بحيث كان يَقرأ كلَّ يوم اثْنَىْ عَشَرَ درسًا على المشايخ شرحًا وتصحيحًا درسين فِى الوسيط وثالثًا فِى المهذّب

(١) قوله (الجراية) أيِ الجارِى من الوظيفة كما فِى مختار الصحاح. الفقير.

ودرسين فِى الحديثِ ودرسًا فِى النحو ودرسًا فِى اللغة ودرسًا فِى التصريف ودرسًا فِى أصول الفقه ودرسًا فِى أسماء الرجال ودرسًا فِى أصول الدين قال وكنت أعلّقُ جميعَ ما يتعلق بها من شرحِ مُشكِلٍ وإيضاحِ عبارةٍ وضبطِ لغةٍ وبارك الله لِى فِى وقتِى واشتغالِى وأعانَنِى عليه وضُرِبَ به المثل فِى إكبابه على طلبِ العِلْمِ ليلًا ونهارًا وهَجْرِهِ النومَ إلا عن غلبةٍ وضبطِ أوقاتِهِ بلزومِ الدرسِ أو الكتابةِ أو المطالعةِ أو التردُّدِ إلى الشيوخ ﷺ وكان لا يَضِيعُ له وقتٌ فِى ليل ولا نهار إلا فِى وظيفة من الاشتغال بالعلم حتى إنَّه فِى ذهابه فِى الطريق وإيابه يشتغل فِى تكرار محفوظه أو مطالعة وأنه بَقِىَ على التحصيل على هذا الوجهِ نحوَ ستِّ سنينَ ﷺ وكان مع هذا كثيرَ التلاوة للقرءان والذكر مُعْرِضًا عن الدنيا مقبلًا على الآخرة ﷺ

ومن مسموعاتِهِ البخاريُّ ومسلمٌ وأبو داود والترمذيُّ والنسائيُّ وابنُ ماجَهْ والموطأُ لمالكٍ والمسند للشافعيِّ ولأحمدَ والدارميِّ وأبى يَعْلَى وصحيحُ أبِى عَوانة والسننُ للدارقطنيِّ وللبيهقيِّ وشرحُ السنة للبغويِّ ومعالمُ التنزيلِ فِى التفسير له وعملُ اليوم والليلة لابن السُّنِّيِّ والجامعُ لآدابِ الراوِى والسامعِ للخطيب والرسالةُ للقشيريِّ والأنسابُ للزبير بن بكار والخطبُ النُّباتيةُ وكتابُ الأربعين للحاكم وبعضُ أو كلُّ كتابِ المُسْتَقْصَى فِى فضل المسجد الأقصى وأجزاءٌ حديثيةٌ كثيرةٌ غيرُ ذلك ﷺ

ثم اشتغل بعد ذلك بالتصنيف والاشتغال والإفادة فصنَّفَ نحوَ خمسينَ مصَنَّفًا منها المجموعُ فِى شرحِ المُهَذَّبِ والموجودُ منه إلى أثناء باب الربا قالوا وكتابُهُ هذا لم يصنَّفْ فِى المذهب على مِثْلِ أُسلوبه وبه عُرف مقدارُهُ حتَّى قال بعضُ المشيخة لَيْتَهُ أكملَهُ وانخرمتْ باقِى كُتُبِهِ ﷺ

وَوَلِيَ رَحِمَهُ اللهُ بعد الإمام أبِى شامة مشيخةَ دارِ الحديثِ الأشرفيةِ مع صغر سنِّهِ ونزولِ روايتِهِ فِى حياةِ مشايخه إلى أن ماتَ وَنَشَرَ بها عِلْمًا جمًّا وأفاد الطلبة قال والذِى أظهرَهُ وقَدَّمَهُ على أقرانِهِ ومَنْ هو أفقهُ منه كثرةُ زهدِهِ فِى الدنيا وعظمُ ديانتِهِ وورعِهِ وليس فيمن اشتغل عليه مَن يلتحقُ بِهِ ه

وحَدَّثَ بالصحيحين بدارِ الحديثِ الأشرفيةِ سماعًا وبحثًا وبقطعة من سنن أبِى داود وبالرسالةِ للقشيريِّ وصفوةِ التصوفِ كلها سماعًا وبحثًا وبشرحِ معانِى الآثارِ للطحاويِّ وسمعَ منه خَلْقٌ مِن العلماءِ والحفَّاظِ.

وحُكِيَ عنه رَحِمَهُ اللهُ أنه هَمَّ قبلَ وفاتِهِ بقليلٍ بغسلِ الروضةِ ليُمحَى ما فيها كما غسلَ نحوَ ألفِ كُرَّاسَةٍ مِن تعليقاتِهِ فقيل له قد سارتْ بها الرُّكْبان فقال فِى نفسِى منها أشياءُ أو كما قال ولم يتفقْ له مراجعتُهَا وتحريرُهَا بل هجمتْ عليه المنيَّةُ قبل إدراكِ سِنِّ الخمسينَ ه

وواقعُ الحالِ أنَّ كتابَ الرَّوضةِ على كثرةِ ما فيه من علم وفائدةٍ لا يُنكَران فقد كان اختصرَه مِن كتاب الإمام الرافعيِّ رَحِمَهُ اللهُ مِن نُسَخٍ فيها سُقْمٌ فجاء فِى مواضعَ منها خللٌ فإنه اعتمد فِى اختصارِهِ على نُسْخَةِ الإمامِ البادرائيِّ التِى بخزانة مدرسته بدمشق المحروسة وفيها سُقْمٌ واستعان عليها بنحوِها فحصَلَ بذلك نقصٌ وخَلَلٌ يَخْفَى على المُبتدِئ ويُشْكِلُ على المُنْتَهِى ولو تأمل هو ذلك بعضَ التَّأَمُّلِ لوضحَ لديه ولكنه كان كالجوادِ المسرعِ فِى ميدانه ولقد حُكِيَ عنه أنه كان يكتبُ حَتَّى تكِلَّ يدُهُ وتَعْجزَ فيضعُ القلم ثم ينشد

لئن كان هذا الدمعُ يَجْرِى صبابةً على غير سُعدَى فهو دَمْعٌ مُضَيَّعُ

قلتُ وعادةُ أهلِ العلم ومنهجُهم أن لا يمنعَهُمْ توقيرُهُم لشخصٍ

من بيانِ ما قد يُشْكِلُ أو يُجانبُ الصوابَ فِى كتبِهِ أو فِى كلامِهِ نصيحةً له ولغيرِهِ وقد انتقدَ عددٌ مِنَ الشافعيةِ على النوويِّ ﵀ إطلاقَهُ فِى الروضةِ صحةَ الصلاةِ خلفَ المعتزلةِ وقالوا كان ينبغِى أن يُبَيِّنَ أنَّ مرادَهُ مَنْ لم يَصِلْ إلى حدِّ الكفرِ منهم وأما من وصلَ إلى ذلك كالذِينَ قالُوا إنَّ اللهَ كان قادرًا على خَلْقِ مقدورِ العبدِ ثم أعطاه القدرةَ على ذلك فصارَ عاجزًا أو قالوا إنَّ العبدَ يفعلُ ما يريدُ غصْبًا عن مشيئةِ اللهِ وما شابَهَ ذلك من مقالاتِهِمْ فإنَّ أحدًا مِن الأصوليينَ المُعْتَبَرينَ لا يَقُولُ بأنَّ هؤلاءِ مسلمونَ تَصِحُّ الصلاةُ خلفهم وقد بيَّنَ الشيخُ نفسُهُ هذا فِى مواضعَ أخرى، وردَّ عليه بعضُهُم ما فِى الروضةِ مِن إطلاقِ تحريمِ النظرِ إلى وجهِ الأمردِ وتحريمِ النظرِ إلى وجهِ الأجنبيةِ مِن غيرِ تفصيلٍ بين حالِ وجودِ الشهوةِ مع النظرِ وحالِ فَقْدِها، ورَدَّ غيرُهُمْ عليه إيرادَ ما فِى أصلِ الروضةِ عنِ الرافعيّ من تحريمِ مَسِّ المَحْرَمِ ومسِّها بل وتقبيلِ الأمّ ومَسِّها وهو خارجٌ عنِ الإجماعِ كما قال الإسنويُّ وغيرُهُ بل وكما بيَّنَهُ الشيخُ نفسُهُ فِى شرحِهِ على مسلم، وهذا ناشِئٌ عنِ الإسراعِ فِى الاختصارِ المُؤَدِّى إلى الخطإِ فِى التعبيرِ كما قال الإسنويُّ، وتَتَبَّعَ ءَاخَرُونَ مواضعَ غيرَ هذِهِ نصيحةً للمسلمينَ من غيرِ قصدِ حَطٍّ مِنْ مَنزلةِ الشيخِ أو قصدٍ إلى الطَّعْنِ فيه اهـ

وكان النوويُّ ﵀ سُنِّيًّا أشعرِيَّ العقيدة ومِنْ هنا عاداهُ خوارجُ عصرنا أتباعُ مشبهةِ نجدٍ المُسَمَّوْنَ بالوهابيةِ وقالوا عنه ضالٌّ مبتدِعٌ نسألُ اللهَ أنْ يسلِّمَ المسلمين من شرورهم وأنْ يهديَهُمْ اهـ

وكان ﵀ ورعًا خشِنَ العيشِ لا يأكل مِن فاكهة دمشق لأنها كثيرةُ الأوقافِ والأملاكِ لِمَنْ هو تحت الحَجْرِ شرعًا ولا يجوز التصرف فِى ذلك إلا على وجهِ الغِبْطَةِ والمصلحةِ للمحجور عليه ولأنَّ

المعاملةَ فِى أشجارِ فاكهتِها المختلفةِ على وجه المساقاة وفيها اختلافٌ بين العلماء ومَن جَوَّزَها قال بشرط المصلحة والغِبطةِ لليتيمِ والمحجورِ عليه قال والناسُ لا يفعلونها إلا على جزءٍ مِنْ ألفِ جزءٍ مِنَ الثمرة للمالك فكيف تطيبُ نفسِى اهـ

ويُحْكَى أنه أكلَ مرَّةً نصفَ حبةٍ من بعضِ الفَوَاكِهِ لكونِ بعضهم عَلَّقَ عتقَ عبدٍ له على أكلِ الشيخ منها وبلغه ذلك ففعله لِمَا ينشأُ منه مِنْ فكِّ رقبةٍ مؤمنةٍ ولعلَّهُ تَقَيَّأَهُ بعد استقرارِهِ ﷺ

وحكى اليافعىُّ فِى روض الرياحين أنَّ سارقًا خطفَ عمامةَ الشيخ وهرب فتبعه الشيخ وصار يعدو خلفه ويقول له مَلَّكْتُكَ إياها قُلْ قبلتُ والسارقُ ما عنده خبرٌ مِن ذلك اهـ

وكان إذا ذَكَرَ الصالحين ذَكَرَهُمْ بتعظيمٍ وتوقيرٍ واحترامٍ وسوَّدَهُمْ وذَكَرَ مناقبَهُمْ وكراماتِهِمْ ويخدمهم أمام الناس ﷺ

وكان ترك جميعَ ملاذِّ الدنيا من المأكولِ إلا ما يأتيه مِن أبيه مِن كعكٍ يابسٍ وتينٍ حَوْرَانيِّ والمَلبسِ إلا الثيابَ الرثةَ المرقعةَ وتُرْسِلُ أُمُّهُ له القميصَ ونحوَهُ ليلبسه ولم يدخل الحمام وترك الفواكهَ جميعَها كما قدَّمنا ولم يقبل مِن أحدٍ شيئًا غير أقاربه وبعض أهل الصلاح وقَشَرَ رجلٌ من أصحابه خِيَارةً ليطعمه إياها فامتنع من أكلها وقال أخشَى أنْ تُرطِبَ جِسْمِى وتجلبَ النوم وكان يأكل من خبزٍ يبعثُه له أبوه من نَوَى يَخبزونه له ويُسيِّرون له ما يكفيه جمعةً فيأكله ولا يأكل معه سوى لونٍ واحدٍ إما دبسٌ وإما خَلٌّ وإما زيتٌ وأما اللَّحْمُ فَفِى كلِّ شهرٍ مرةً ولا يكادُ يجمع بين لونين من إدام أبدًا اهـ

ولم يتزوجْ قطُّ لاشتغاله بالعلم والعمل ﷺ

ولامَهُ بعضُ العلماء فِى عدم دخول الحمام وتضييق عيشه فِى أكله

ولباسه وجميعِ أحوالِهِ وقال له أخشَى عليك مرضًا يعطِّلُكَ عن أشياء أفضل مما تقصدُهُ فقال له إن فلانًا صام وعبدَ اللهَ تعالى حتى اخضَرَّ عظمُهُ قال فعرفتُ أنه ليس له غرضٌ فِى المقام فِى دارنا ولا الالتفات لِمَا نحنُ فيه اهـ

ولم يكنْ يتناولُ من جهةٍ مِنَ الجهاتِ درهمًا فردًا وكان يجمع جامكيتَهُ عند الناظر وكُلَّمَا صار له حقُّ سنةٍ اشْتَرَى له به مِلْكًا ويوقفُهُ على دار الحديث أو كتبًا فيوقفها على خزائنها اهـ

وكان لا يَقْبَلُ مِنْ أحدٍ شيئًا إلا إن تحقَّقَ دِينه ومعرفته مِمَّن ليستْ له به علقة مِنْ إقراءٍ أو انتفاعٍ به هـ

قال ابنُ العطار وكنت جالسًا بين يديه قبل وفاتِهِ بنحوِ شهرينِ فدخلَ عليه فقيرٌ وقال الشيخُ فلانٌ من بلادِ صَرْخَد يُسَلِّمُ عليك ولقد أرسل لك مَعِى هذا الإبريق قال فقبله الشيخ وأمرنِى بوضعه فِى بيت حوائجه فتعجبتُ مِن قَبُولِهِ له واستشعر بذلك فقال أرسلَ إلَيَّ بعضُ الفقراء نعلًا وهذا إبريقٌ وكلاهُما ءَالَةُ السفر اهـ

وكان مواجهًا للملوك والجبابرة بالإنكار لا يأخذُهُ فِى اللهِ لومةُ لائم بل كان إذا عَجزَ عَنِ المواجهة كَتَبَ الرسائل ويتوصل إلى إبلاغها فَمِمَّا كتبه ورقةٌ إلى الظاهر بَيْبَرس تَتَضَمَّنُ العَدْلَ فِى الرَّعِيَّةِ وإزالةِ المكوسِ عنهم وكتب معه فِى ذلك غيرُ واحدٍ من الشيوخ وغيرُهُم فلما وَصَلَتِ الورقتان إليه أَوْقَفَ عليهما السلطانَ فلما وقفَ عليهما ردَّ جوابَهُمَا ردًّا عنيفًا مؤلِمًا فتنكدتْ خواطرُ الجماعةِ الكاتِبين وغيرِهِمْ فكتبَ رَحِمَهُ اللهُ جوابًا لجوابِهِ فيه (جميعُ ما كتبناه أولًا وثانيًا هُوَ النصيحةُ التِى نعتقدُهَا وندينُ اللهَ بها ونسألُهُ الدوامَ عليها حتى نلقاهُ والسلطانُ يعلمُ أنها نصيحةٌ له وللرَّعيةِ وليس فيه ما يُلامُ عليه ولم

نَكتبْ هذا للسلطانِ إلا لِعِلْمِنَا بأنه يُحِبُّ الشرعَ ومتابعةَ أخلاقِ رسولِ اللهِ ﷺ فِى الرِّفق بالرعية والشفقة عليهم وإكرامِهِ لآثارِ النبيِّ ﷺ وكلُّ ناصحٍ للسلطان موافقٌ على هذا الذِى كتبنا) ثم قال (وأما أنا فِى نفسِى فلا يضرُّنِى التهديدُ ولا أكثرُ منه ولا يمنعنِى ذلك مِنْ نصيحةِ السلطانِ فإنِّى أعتقدُ أنَّ هذا واجبٌ علىَّ وعلى غَيْرِى وما تَرَتَّبَ على الواجب فهو خيرٌ وزيادةٌ عند الله تعالى ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ وقد أَمَرَنَا رسولُ اللهِ ﷺ أنْ نقولَ الحقَّ حيثما كُنَّا وأنْ لا نخافَ فِى اللهِ لومةَ لائم) إلى أن قال (ولا حجةَ لنا عند الله إذا تركنا النصيحةَ الواجبةَ علينا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) اهـ

وكانَ الشيخُ قد كلَّمَ السلطانَ كلامًا فيه غلظةٌ وقال له (لقد أَفْتَوْكَ بالباطل ليس لك أخذُ معونةٍ حتى تَنْفَدَ أموال بيت المال وتعيدَ أنت ونساؤك ومماليكُك وأمراؤك ما أخذتم زائدًا عن حَقِّكُمْ وَتَرُدُّوا فواضلَ بيتِ المالِ إليه) وأغلظَ عليه فِى القول فَلَمَّا خرجَ قال اقطعوا وظائفَ هذا الفقيهِ وراتِبَهُ فقيل له إنه لا وظيفةَ له ولا راتبَ قال فَمِنْ أين يأكلُ قالوا مِمَّا يبعث اليه أبوه فغضبَ السلطانُ وأرادَ قتلَه فيُقال إنه رأى سبعًا عظيمًا خلفه فترك ذلك وارتدع ثم بعد ذلك أحبَّهُ وعَظَّمَهُ حتى كان يقول أنا أفزع منه اهـ

وحكى لنا شيخُنا أنَّ رجلًا منَ المنتسبينَ للعلم كان يُكثِرُ مِن الطعنِ فيه فلمَّا مات اندلع لسانه بشكلٍ بشعٍ وجاء حيوانٌ كالقطِّ فأكلَ لسانه وذهب به اهـ والقصَّةُ فِى طبقات الشافعية وغيرِها ه

وقد انتشرتْ كتبه فِى المشرق والمغرب ووُضِع لها القَبول ومنها

كتاب الأربعين النووية الذِى سنتناوله بالإيضاح إن شاء اللهُ تعالى ﴿

رحم الله الحافظَ الفقيهَ الشيخَ محيِىَ الدينِ زكريَّا النووىَّ وجزاه خيرًا ورزقنا الاستفادةَ من كتابه هذا ﴿ ءَامين ﴿

هذا وأروِى الأربعينَ النَّوَوِيَّةَ سماعًا بقراءةِ غيرِى قراءةَ بحثٍ وتبيينٍ على شيخِنا الإمامِ المُجَدِّدِ الفقيهِ المُحَدِّثِ الأُصُولِىِّ المتكلمِ اللغوىِّ المفسِّرِ المُعَمَّرِ أبِى عبدِ الرحمنِ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ يوسفَ الهَرَرِىِّ ثم البيروتِىِّ الشافعِىِّ الأشعرِىِّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى وقد أجازَنِى بها وهو يرويها عنِ المفتِى محمد سراج بنِ محمد سعيد الجَبَرْتِىِّ الشافعىِّ الأشعرِىِّ عن شيوخِهِ الشافعيةِ الأشاعرةِ العلَّامةِ محمد السَّمَلُّوطِىِّ والشيخِ محمد بن محمد الحلبِىِّ المِصْرِىِّ ومُسْنِدِ الشام السيد محمد بدر الدين بن يوسف الحسنِىِّ الثلاثة عن الشيخ إبرهيم ابن علىّ بن حسن السَّقَّا المِصْرِىّ الشافعىّ الأشعرِىِّ عَن المُعَمَّرِ ثُعَيْلِبِ بن سالم الفَشْنِىِّ المِصْرِىِّ الشافعىّ الأشعرِىّ عن الشيخ أحمد ابن حسن الجوهرِىِّ المِصْرِىِّ الشافعِىِّ الأشعرِىِّ والشيخ أحمد بن عبد الفتاح المُلَّوِىِّ الشافعِىِّ الأشعرِىِّ كلاهما عن شيخِهِما عبد الله ابن سالِم البصرِىِّ الشافعِىِّ الأشعرِىِّ عن الحافِظِ محمد بن علاء الدين صالِحِ المِصْرِىِّ البابلىّ الشافعىّ الأشعرِىِّ عن نور الدين علىِّ ابن يحيى الزيادِىّ الشافعىّ الأشعرِىِّ ومسندِ الدُّنيا ومفتِى المالكية وحاملِ رايتِهِمْ فِى عصره أبِى الحسنِ نورِ الدينِ علىّ بن محمد الملقبِ زين العابدين بنِ الشيخ عبد الرحمن الأُجْهُورِىِّ الأشعرِىِّ وهما عن الشافعِىِّ الصغيرِ شمس الدينِ محمد بن الشهابِ أحمدَ الرملِىِّ الأشعرِىِّ عن المحدِّثِ العلَّامةِ الرُّحلةِ برهان الدين أبِى الفتح إبراهيم بن علاء الدين أبِى الفتح علىّ القَلْقَشَنْدِىِّ الشافعِىِّ الأشعرِىِّ

عن الحافظ أحمدَ بنِ حجر العسقلانِيِّ الشافعِيِّ الأشعرِيِّ عن شيخِه الحافظِ الفقيهِ الأصولِيِّ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقِيِّ الشافعِيِّ الأشعريِّ وغيرِه عن محبِّ الدِّينِ أبِى العباس أحمدَ بن يوسفَ الخلاطِيِّ المصريِّ عن الشيخ علاء الدين عليِّ بن إبراهيم بن داود العطار الشافعِيِّ الأشعرِيِّ (ح) ورواهُ الحافظُ عن أبِى العباس أحمد بن محمد الخراط المالكِيِّ الأشعرِيِّ عن شمس الدِّين أبِى عبد الله محمد بن جابر الوادِءَاشِيِّ المالكِيِّ الأشعرِيِّ عن علاءِ الدينِ العطار عن مؤلفِها[١] حافظِ الشامِ أبِى زكرياء يحيى مُحْيِى الدينِ بن الشيخِ أبِى يَحْيَى شرفِ بنِ النوويِّ ثم الدمشقِيِّ الشافعِيِّ الأشعرِيِّ رَحِمَهُ الله تعالى قال

(١) قوله (عن مؤلفها إلخ) ذكر الحافظُ السخاويُّ بعضَ أسانيد كتب النوويِّ فِى المنهل العذب الرويّ فقال وقد كان فِى مرويَّات كلٍّ من شَيْخَينا العلَّامة المحدث الشمس أبِى عبد الله محمد بن الجمال الرشيدِيِّ الشافعِيِّ الخطيبِ والبرهان إبراهيم بن صدقة الصالحِيِّ الحنبلِيِّ رحمهما الله تعالى ومن تصانيف الشيخِ عدةٌ سمعاها على المقرئ الشمس محمد بن عبد الرحمن الحجازِيِّ عُرف بابن الرقّاء وهِىَ كتاب الأربعين بإشاراتها والأذكار والرياض والتبيان، زاد الرشيدِيُّ الترخيص بالقيام وأنه سمع وحده على التقِيِّ أبِى الفتح محمد بن أحمد بن حاتم الخطيب مواضعَ منَ الأذكار وذلك من باب ماذا يقول إذا دخل فِى الصلاة إلى باب كراهة النوم ومن الأذكار فِى صلوات مخصوصة إلى المدح ومن النَّهْيِ عن الكذب إلى ءَاخر الكتاب وأجازه بسائرِه. وزاد الصالحِيُّ التقريبَ وأنه سمع وحده على الزين أبِى الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك الغزِّيِّ ابن الشحنة منها الرياض فقط بسماع الرفاء الأربعين مع الإشارة على القاضِى علم الدين أبِى الربيع سليمان بن سالم بن عبد الناصر الغزِّيِّ والمحب أبِى العباس أحمد بن يوسف الخلاطِيِّ والبدر أبِى محمد الحسن بن عبد العزيز بن عبد الكريم الأنصارِيِّ اللخمِيِّ قال الأولان أخبرنا بها العلامة أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود بن العطار وقال الثالثُ أخبرنِى بها القاضِى الجمال سليمان بن عمر الزرعِيُّ الشافعِيُّ قالا أخبرنا بها مؤلفها. وبقراءته أعنِى الرفاء الأذكار على أبِى الربيع الغزِّيِّ والبدر اللَّخمِيِّ المذكورَين قال أولُهُما=

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ تَمِّمْ ويَسِّرْ برحمتِكَ



الحمد لله ربِّ العالمينَ قَيُّومِ السَّمَاواتِ والأَرَضِين مُدَبِّرِ الخلائقِ أجمعين باعثِ الرُّسل صلواتُه وسلامُه عليهم إلى المُكَلَّفين لهدايتِهِم وبيان شرائع الدِّين بالدَّلائل القطعية وواضِحاتِ البراهينِ ۝

أحمدُهُ على جميعِ نِعَمِه وأسألُهُ المزيدَ مِنْ فَضله وكَرَمِهِ وأشهدُ أن لا إله إلا الله الواحدُ القهّارُ الكريمُ الغفارُ وأشهدُ أنَّ محـمدًا عبدُه ورسولُه وحبيبُهُ وخليلُهُ أفضلُ المخلوقين المُكَرَّمُ بالقرءانِ العزيزِ المعجزةِ المستمرّةِ على تعاقُب السِّنين وبالسُّنَنِ المستنيرةِ للمسترْشدين المخصوصُ بجَوامع الكلِم وسماحةِ الدِّين صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى سائر النَّبِيِّينَ وءالِ كلٍّ وسائرِ الصَّالـِحين ۝

أما بعدُ فقد رُوِّينا عن عليِّ بنِ أبِى طالبٍ وعبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ومعاذِ بنِ جبلٍ وأبِى الدرداءِ وابنِ عمرَ وابنِ عباسٍ وأنسِ بنِ مالكٍ وأبِى هريرةَ وأبِى سعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِىَ اللهُ عنهُم أجمعينَ مِنْ طُرُقٍ كثيراتٍ بروايَاتٍ متنوِّعاتٍ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال مَنْ حفِظ على أمَّتِى

= أخبرنا ابنُ العطار وقال ثانيهما أخبرنا الزرعِىُّ قالا أخبرنا مؤلفُه وبرواية ابن حاتم له غالبًا عن الشرف أبِى بكر بن قاسم بن أبِى بكر الرحبِىِّ وناصر الدين محمد بن كشتغدِى الصَّيرفِىِّ وسيف الدين أبِى بكر بن محمد بن يحيى بن سنقر المعالِى سماعًا بإجازتهم من مؤلفه اهـ الفقير.

أربعينَ حديثًا مِنْ أمرِ دِينِها بعثَهُ الله تعالى يومَ القيامة فِى زُمْرَةِ الفقهاءِ والعلماءِ وفِى روايةٍ بعثه الله تعالى فقيهًا عالِمًا وفِى روايةِ أبِى الدَّرداءِ ﻻ و إلى كنتُ له يومَ القيامةِ شافعًا وشهيدًا وفِى روايةِ ابنِ مسعودٍ قِيلَ لَهُ ادْخُلْ مِنْ أيِّ أبوابِ الجنةِ شِئتَ وفِى روايةِ ابنِ عمرَ كُتِب فِى زُمرةِ العلماءِ وحُشِرَ فِى زُمرة الشُّهداء واتَّفَقَ الحفّاظ على أنه حديثٌ ضعيفٌ وإنْ كثُرَتْ طُرُقُهُ ه

وقد صَنَّفَ العلماءُ رَضِيَ اللهُ عنهُم فِى هذا الباب ما لا يُحصى من المُصَنَّفاتِ فأوَّلُ مَنْ علِمْتُهُ صَنَّفَ فيه عبدُ الله بن المبارك ثم محمد بن أسلَم الطّوسِيُّ العالِمُ الرَّبانِيُّ ثم الحسنُ بنُ سفيانَ النَّسَوِيُّ وأبو بكر الآجُرِّيُّ وأبو بكر محمدُ بنُ إبراهيم الأصبهانِيُّ والدَّارَقُطنِيُّ والحاكمُ وأبو نُعَيْمٍ وأبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِيُّ وأبو سعدٍ المَالِينِيُّ وأبو عثمان الصَّابونيُّ ومحمدُ بن عبد الله الأنصاريُّ وأبو بكرٍ البَيهَقيُّ وخلائقُ لا يُحْصَوْنَ مِنَ المُتَقَدِّمين والمتأخِّرين ه

وقد استخرتُ الله تعالى فِى جمع أربعينَ حديثًا اقتداءً بهؤلاء الأئمة الأعلام وحفّاظ الإسلام ه وقد اتَّفَقَ العلماءُ على جوازِ العمل بالحديث الضعيف فِى فضائلِ الأعمالِ ومع هذا فليس اعتمادِى على هذا الحديثِ بل على قوله ﷺ فِى الأحاديثِ الصحيحةِ **لِيُبَلِّغِ الشاهدُ مِنْكُمُ الغائبَ** وقولِهِ ﷺ **نَضَّرَ الله امرءًا سمِع مَقالتى فوَعاها فأدَّاها كما سَمِعَها** ه

ثم مِنَ العلماء مَنْ جمع الأربعينَ فِى أصول الدين وبعضُهُمْ فِى الفروع وبعضهم فِى الجهاد وبعضهم فِى الزُّهد وبعضهم فِى الآداب وبعضهم فِى الخُطَب وكلُّها مقاصدُ صالحةٌ رَضِيَ الله عن قاصِدِيها ه وقد رأيتُ جمعَ أربعينَ أهمَّ مِنْ هذا كُلِّهِ وهى أربعونَ حديثًا مشتملةٌ

على جميعِ ذلك وكلُّ حديثٍ منها قاعدةٌ عظيمةٌ مِنْ قواعدِ الدِّين قد وصفَهُ العلماءُ أنَّ مدارَ الإسلامِ عليه أو هو نصفُ الإسلام أو ثُلُثُهُ ونحوُ ذلك ۞ ثم أَلْتَزِمُ فِى هذِهِ الأربعينَ أن تكون صحيحةً ومعظمُها فِى صحيحَيِ البخاريِّ ومسلمٍ رحمهما الله تعالى وأذكرُها محذوفةَ الأسانيدِ ليسهُلَ حفظُها ويَعُمَّ الانتفاعُ بها إن شاء الله تعالى ثم أُتبِعُها ببابٍ فِى ضَبْطِ خَفِيِّ ألفاظِها ۞

وينبغِى لكلِّ راغبٍ فِى الآخرة أن يَعرفَ هذه الأحاديثَ لِمَا اشتملتْ عليه من الـمُهماتِ واحتوتْ عليه من التّنبيهِ على جميعِ الطاعاتِ وذلك ظاهرٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ. وعلى الله اعتمادِى وإليه تفويضِى واستنادِى فله الحمدُ والنِّعمة وبه التوفيقُ والعِصمة ۞

الحديثُ الأولُ ۞

عن أميرِ المؤمنين أبِى حفصٍ عمرَ بنِ الخطّاب رَضِىَ اللهُ عنهُ قال سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ **إنَّمَا الأعمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نَوَى فَمَنْ كانتْ هجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ فهِجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ ومَنْ كانتْ هجرتُهُ لدُنيا يُصيبُها أو امرأةٍ ينكِحُها فهِجرتُهُ إلى ما هاجرَ إليه ۞** رواه إماما المُحَدِّثينَ أبو عبد الله محمدُ بنُ إسمٰعيلَ بنِ إبراهيمَ ابنِ المُغيرةِ بنِ بَرْدِزْبَهْ البُخَارِىُّ وأبو الحسين مسلمُ بن الحجّاج بن مسلم القُشَيرىُّ النَّيسابورىُّ رَضِىَ اللهُ عنهُما فِى صَحِيحَيْهما اللَّذَيْنِ هما أصحُّ الكتب المصنَّفة ۞

الحديثُ الثانِى ۞

عن عمرَ رَضِىَ اللهُ عنهُ أيضًا قال بينما نحنُ عند رسولِ اللهِ ﷺ ذات يومٍ إذْ طلعَ علينا رجلٌ شديدُ بَياضِ الثيابِ شديدُ سوادِ الشَّعَرِ

لا يُرَى عليه أثَرُ السَّفرِ ولا يعرفُهُ منا أحدٌ حتى جلسَ إلى النبيِّ ﷺ فأسندَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ ووضع كفَّيْهِ على فخِذَيْهِ وقال يا محمدُ أخبرنِى عن الإسلام فقال رسولُ اللهِ ﷺ **الإسلامُ أن تشهد أن لا إله إلا اللهُ وأن محمدًا رسولُ الله وتقيمَ الصلاةَ وتُؤْتِىَ الزكاة وتصومَ رمضانَ وتَحُجَّ البيتَ إن استطعتَ إليه سبيلًا** قال صدقتَ فعجِبنا له يسأُله ويصَدِّقُهُ قال فأخبرنِى عنِ الإيمانِ قال **أن تؤمنَ بالله وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ وتؤمنَ بالقدَرِ خيرِه وشرِّهِ** قال صدقتَ قال فأخبرنِى عنِ الإحسانِ قال **أنْ تعبدَ اللهَ كأنك تراهُ فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنه يراكَ** قال فأخبرنِى عنِ السَّاعةِ قال ما المَسْؤُولُ عنها بأعلمَ مِنَ السَّائلِ قال فأخبرنِى عن أَمَارَتِها قال **أنْ تلِدَ الأمةُ ربَّتَها وأنْ تَرَى الحُفاةَ العُراةَ العالةَ رِعاءَ الشَّاءِ يتطاولونَ فِى البُنيانِ** ثم انطلقَ فلبثتُ مَلِيًّا ثم قال **يا عمرُ أتَدْرِى مَنِ السائلُ** قلتُ اللهُ ورسولُه أعلم قال **فإنَّهُ جبريلُ أتاكُم يعلِّمُكُمْ دينَكُمْ** ۝ رواه مسلمٌ ۝

الحديثُ الثالثُ ۝

عن أَبِى عبدِ الرحمٰنِ عبدِ الله بنِ عمرَ بنِ الخطابِ رَضِىَ اللهُ عنهُما قال سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول **بُنِىَ الإسلامُ على خمسٍ شهادةِ أن لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُهُ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ وحَجِّ البيتِ وصومِ رمضانَ** ۝ رواه البخاريُّ ومسلمٌ ۝

الحديثُ الرابعُ ۝

عن أَبِى عبدِ الرحمنِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وهو الصَّادقُ المصدوقُ **إنّ أحدَكم يُجمَعُ خَلْقُه فِى بطنِ أُمِّهِ أربعين يومًا ثم يكون عَلَقةً مثلَ ذلك ثم يكون مُضغةً مثلَ**

ذلك ثم يُرسَلُ الملَكُ فيَنفخُ فيه الروحَ ويُؤمَر بأربعِ كلماتٍ بكَتْبِ رِزْقِهِ وأجَلِه وعمَلِه وشقيٌّ أو سعيدٌ فَوَالذِى لا إلهَ غيرُهُ إنَّ أحدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهلِ الجنةِ حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بِعَمَلِ أهل النار فيدخلُها وإنَّ أحدَكم لَيَعْمَلُ بعمل أهل النار حتَّى ما يكونُ بينَه وبينها إلا ذِراعٌ فَيَسْبِقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ فيدخلُها ﴿ رواه البخاريُّ ومسلمٌ ﴾

الحديثُ الخامسُ ﴾

عن أمِّ المؤمنين أمِّ عبدِ اللهِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالتْ قال رسولُ اللهِ ﷺ **مَن أحدثَ فِى أمرِنا هذا ما ليسَ منه فهوَ رَدٌّ** ﴾ رواه البخاريُّ ومسلمٌ ﴾ وفِى روايةٍ لِمُسْلِمٍ **مَنْ عَمِلَ عملًا ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ** ﴾

الحديثُ السادسُ ﴾

عن أبِى عبدِ اللهِ النُّعمانِ بنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما قال سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ **إنَّ الحلالَ بَيِّنٌ ولاإنَّإلى الحرامَ بَيِّنٌ وبينهما مشْتبِهاتٌ لا يعلمُهُنَّ كثيرٌ مِنَ الناسِ فمَن اتَّقى الشُّبُهاتِ فَقَدِ استبرأَ لدينه وعِرضه ومَنْ وَقَعَ فِى الشُّبهات وقعَ فِى الحرام كالراعِى يرعَى حول الحِمَى يُوشِكُ أنْ يرتعَ فيه ألا وإنَّ لكلِّ مَلِكٍ حِمًى ألا وإنَّ حِمَى اللهِ تعالى محارِمُه ألا لاوإلى إنَّ فِى الجسَدِ مُضغةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كُلُّه وإذا فَسَدَت فَسَدَ الجسدُ كلُّه ألا وهِيَ القَلْبُ** ﴾ رواه البخاريُّ ومسلمٌ ﴾

الحديثُ السابعُ ﴾

عن أبِى رُقَيَّةَ تَميمِ بنِ أَوْسٍ الدَّاريِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّ النبيَّ ﷺ

قال **الدِّينُ النَّصيحةُ قلنا لِمَنْ قال للهِ ولكتابِهِ ولرسولِهِ ولأئمَّةِ المسلمينَ ولِعَامَّتِهِم** ۞ رواه مسلمٌ ۞

الحديثُ الثامنُ ۞

عن ابنِ عمرَ رَضِىَ اللهُ عنهُما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ **أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناسَ حَتَّى يَشهدوا أن لا إله إلا اللهُ وأن محمدًا رسولُ الله ويُقِيموا الصلاة ويُؤْتُوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عَصَمُوا مِنِّى دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّ الإسلام وحسابُهُم على الله تعالى** ۞ رواه البخاريُّ ومسلمٌ ۞

الحديثُ التاسعُ ۞

عن أَبِى هُريرة عبدِ الرحمٰنِ بنِ صَخْرٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ **ما نهيتُكم عنه فاجتنبوه وما أمرتُكُمْ بِهِ فافْعَلُوا منه ما استطعتم فإنَّمَا أَهْلَكَ الذينَ مِنْ قبلِكُمْ كثرةُ مسائِلِهِمْ واختلافُهُمْ على أنبيائِهِمْ** ۞ رواه البخاريُّ ومسلمٌ ۞

الحديثُ العاشرُ ۞

عن أَبِى هُريرةَ رَضِىَ الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **إنَّ الله تعالى طَيِّبٌ لا يقبلُ إلا طَيِّبًا وإن اللهَ عَزَّ وجَلَّ أمرَ المُؤمنينَ بما أمرَ به المُرسلين فقال تَعَالَى** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ وقال تَعَالَى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ ثم ذَكَرَ **الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ يا ربِّ يا ربِّ ومَطعَمُهُ حرامٌ ومَشربُهُ حرامٌ وملبَسُهُ حرامٌ وغُذِىَ بالحرامِ فأنَّى يُستجابُ لذلك** ۞ رواه مسلمٌ ۞

الحديثُ الحَادِىَ عَشَرَ ۞

عن أَبِى محمدٍ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ أَبِى طالبٍ سِبْطِ رسولِ اللهِ ﷺ وريْحَانَتِهِ رَضِىَ اللهُ عنهُما قال حفظتُ مِنْ رسولِ الله ﷺ **دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ** ۞ رواه التِّرْمِذِىُّ والنَّسَائِىُّ وقال الترمذىُّ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ۞

الحديثُ الثانِىَ عَشَرَ ۞

عن أَبِى هُريرةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال قال رسول الله ﷺ **مِن حُسْنِ إسلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيهِ** ۞ حديثٌ حسنٌ رواهُ الترمذىُّ وغيرُهُ ۞

الحديثُ الثالثَ عَشَرَ ۞

عن أَبِى حمزةَ أنسِ بنِ مالكٍ خادم رسولِ اللهِ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قال **لا يؤمِنُ أحدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخيه ما يُحِبُّ لنفسِهِ** ۞ رواه البخارىُّ ومسلمٌ ۞

الحديثُ الرابعَ عَشَرَ ۞

عنِ ابنِ مسعودٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال قال رسولُ اللهِ ﷺ **لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحْدَى ثلاثٍ الثَّيِّبُ الزَّانِى والنَّفْسُ بالنَّفْسِ والتَّارِكُ لِدِينِهِ المفارِقُ للجماعةِ** ۞ رواهُ البخارىُّ ومسلمٌ ۞

الحديثُ الخامسَ عَشَرَ ۞

عن أَبِى هُريرة رَضِىَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ ﷺ قالَ **مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليوم الآخِرِ فَلْيَقُلْ خيرًا أو لِيَصْمُتْ وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله**

واليوم الآخِرِ فلْيُكرِمْ جارَهُ ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخر فلْيُكرِمْ ضَيْفَهُ ۝ رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ ۝

الحديثُ السادسَ عَشَرَ ۝

عن أبِى هُريرةَ رَضِىَ الله تعالى عنه أنَّ رجلًا قالَ للنَّبِىِّ ﷺ **أَوْصِنِى قالَ لا تَغْضَبْ فردَّدَ مِرارًا قال لا تغضبْ** ۝ رواه البخاريُّ ۝

الحديثُ السابعَ عَشَرَ ۝

عن أبِى يَعْلَى شَدّادِ بنِ أَوْسٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ ﷺ قالَ **إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ كتبَ الإحسانَ على كلِّ شَىْءٍ فإذا قتلتُم فأَحسِنوا القِتْلَةَ وإذا ذبحتُم فأحسِنوا الذِّبْحَةَ ولْيُحِدَّ أحدُكُمْ شفرَتَه ولْيُرِحْ ذَبيحتَه** ۝ رواه مسلمٌ ۝

الحديثُ الثامنَ عَشَرَ ۝

عن أبِى ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنادةَ وأبِى عبد الرحمن معاذِ بنِ جبلٍ رَضِىَ اللهُ عنهُما عن رسولِ اللهِ ﷺ قال **اتَّقِ اللهَ حَيْثُما كنتَ وأَتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حسَنٍ** ۝ رواه الترمذيُّ وقال حديثٌ حسنٌ ۝ وفِى بعضِ النُّسَخِ حسنٌ صحيحٌ ۝

الحديثُ التاسعَ عَشَرَ ۝

عن أبِى العباس عبدِ الله بن عبّاس رَضِىَ اللهُ عنهُما قال كنتُ خلفَ النبيِّ ﷺ يومًا فقالَ **يا غلامُ إنِّى أعلِّمُك كلماتٍ احْفَظِ اللهَ** لا**يحفَظْك احفظ الله**إلى **تجِدْهُ تُجاهَكَ إذا سألتَ فاسألِ الله وإذا استعنْتَ فاستعنْ باللهِ واعلمْ أن الأمّةَ لو اجتمعتْ على أن ينفَعوك بِشَىْءٍ لم ينفعوك إلا بِشَىْءٍ قد كتبَه اللهُ لك وإنِ اجْتَمَعُوا على أن**

يضرُّوك بِشَىْء لم يضرُّوك إلا بِشَىْءٍ قدْ كَتَبَهُ اللهُ عليكَ رُفِعَت الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحُفُ ۝ رواه الترمذىُّ وقال حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ۝ وفِى روايةِ غيرِ الترمذىِّ **احفظِ اللهَ تجدْه أمامَك تَعَرَّفْ إلى اللهِ فِى الرَّخاء يعرِفْك فِى الشِّدَّة واعلمْ أنَّ ما أَخطأَك لم يكن لِيُصيبَك وما أصابك لم يكن لِيُخطِئَك واعلمْ أنَّ النَّصر مع الصَّبْرِ وأنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ وأنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا** ۝

العِشْرُونَ ۝

عن أبِى مسعودٍ عُقْبَةَ بنِ عَمْرٍو الأنصارىِّ البَدْرِىِّ رَضِىَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ الله ﷺ **إنَّ مِمَّا أدركَ الناسُ مِن كلام النبوّة الأُولى إذا لم تَسْتَحْيِ فاصنعْ ما شِئتَ** ۝ رواه البخارىُّ ۝

الحادِىْ والعِشْرُونَ ۝

عن أبِى عَمْرٍو وقيل أبِى عَمْرَةَ سُفْيَانَ بنِ عبدِ اللهِ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال قلتُ يا رسولَ اللهِ قُلْ لِى فِى الإسلامِ قولًا لا أسألُ عنه أحدًا غيرَك قالَ **قُلْ ءَامَنْتُ باللهِ ثم اسْتَقِمْ** ۝ رواه مسلمٌ ۝

الثَّانِى والعِشْرُونَ ۝

عن أبِى عبدِ اللهِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ الأنصارىِّ رَضِىَ اللهُ عنهُما أن رجلًا سأل رسولَ الله ﷺ فقال أرأيتَ إذا صَلَّيْتُ المَكْتُوبَاتِ وصُمْتُ رمضانَ وأحللتُ الحلالَ وحرَّمتُ الحرامَ ولم أزِدْ على ذلك شيئًا أدخُلُ الجنَّةَ **قال نعمْ** ۝ رواه مسلمٌ ۝ ومعنى حرَّمْتُ الحرامَ اجتَنَبْتُهُ ومعنَى أحللتُ الحلال فعلتُهُ مُعْتَقِدًا حِلَّهُ ۝ واللهُ أعلمُ ۝

الثالثُ والعشرونَ ۞

عن أَبِى مالكٍ الحارثِ بنِ عاصمِ الأشعريِّ رَضِىَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسول الله ﷺ **الطُّهور شَطْرُ الإِيمانِ والحمدُ لله تملأُ الميزانَ وسبحانَ الله والحمدُ لله تملآنِ أو تملأُ ما بين السّماواتِ والأرضِ والصلاةُ نورٌ والصَّدَقَةُ بُرهانٌ والصَّبْرُ ضِياءٌ والقرءانُ حُجَّةٌ لك أو عليك كلُّ الناس يَغْدُو فبائعٌ نفسَهُ فمُعتِقُها أو مُوبِقُها** ۞ رواه مسلمٌ ۞

الحديثُ الرابعُ والعشرونَ ۞

عن أَبِى ذَرٍّ رَضِىَ اللهُ عنهُ عن النَّبِىِّ ﷺ فيما يَرْوِى عنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قالَ **يا عبادِى إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِى وجعلتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فلا تَظَالَـمُوا. يا عبادِى كُلُّكُمْ ضالٌّ إلا مَن هدَيتُهُ فاسْتَهْدُونِى أَهدِكُمْ. يا عبادِى كُلُّكُمْ جائعٌ إلا مَن أطعَمتُه فاستطعِمُونِى أُطعِمْكُم. يا عبادِى كلُّكم عارٍ إلا مَن كسَوْتُهُ فاسْتكْسونِى أَكْسُكُمْ. يا عبادِى إنكم تُخطِئون بالليلِ والنهارِ وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعًا فاستغفرونِى أغفِرْ لكم. يا عبادِى إِنَّكُمْ لن تَبْلُغُوا ضَرِّى فتَضُرُّونِى ولن تبلغوا نَفْعِى فتنْفَعُونِى. يا عبادِى لو أن أوَّلَكُم وَءاخِرَكُم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما زادَ ذلكَ فِى مُلْكِى شيئًا. يا عبادِى لو أنَّ أوّلَكم وءَاخِرَكم وإنسَكُمْ وجِنَّكم كانوا على أفجَرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما نَقَصَ ذلك من مُلْكِى شيئًا. يا عبادِى لو أنَّ أوّلَكم وءَاخِرَكم وإنسَكم وجِنَّكم قاموا فِى صَعيدٍ واحدٍ فَسَأَلُونِى فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مَسْأَلَتَهُ ما نَقَصَ ذلك مما عندِى إلا كما ينقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البَحْرَ. يا عبادِى إنما هى أعمالُكم أُحْصِيها لَكُمْ ثم أُوَفِّيكُمْ إياها فمن عَمِلَ خيرًا فليحْمَدِ اللهَ ومَنْ وَجَدَ غير ذلك فلا**

يَلُومَنَّ إلا نفسَهُ ﻫ رواهُ مسلمٌ ﻫ

الحديثُ الخامسُ والعشرونَ ﻫ

عن أبِى ذَرٍّ أيضًا رَضِىَ اللهُ عنهُ أنَّ ناسًا من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ قالوا للنَّبِىِّ ﷺ يا رسولَ اللهِ ذَهَبَ أهلُ الدُّثُورِ بالأُجورِ يُصَلّونَ كما نُصَلِّى ويصومونَ كما نَصُومُ ويتصدَّقُونَ بفُضولِ أموالِهِمْ قال **أَوَلَيْسَ قد جعلَ الله لكم ما تَصَّدَّقون إنَّ كلَّ تسبيحةٍ صدقةٌ وكلَّ تكبيرةٍ صدقةٌ وكلَّ تحميدةٍ صَدَقَةٌ وكلَّ تهليلةٍ صَدَقَةٌ وأمرٌ بالمعروفِ صدقةٌ ونهىٌ عن منكرٍ صدقةٌ وفى بُضْعِ أحدِكم صدقةٌ** قالوا يا رسولَ اللهِ أيأتِى أحدُنا شَهْوَتَهُ ويكونَ له فيها أَجْرٌ **قالَ أَرَأَيْتُمْ لو وَضَعَها فِى حرام أكانَ عليه وِزْرٌ فكذلك إذا وضعَها فِى الحلالِ كان له أجرٌ** ﻫ رواهُ مسلمٌ ﻫ

الحديثُ السادسُ والعِشرونَ ﻫ

عن أبِى هُريرةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال قال رسولُ اللهِ ﷺ **كلُّ سُلَامَى مِنَ النّاسِ عليه صَدقةٌ كلَّ يومٍ تَطلُعِ فيه الشمسُ يَعْدِلُ بين الاثنينِ صدقةٌ ويُعينُ الرَّجلَ فِى دَابَّتِهِ فيحمِلُهُ عليها أو يرفَعُ له عليها مَتاعَهُ صدقةٌ والكلمةُ الطَّيِّبَةُ صدقةٌ وبكلِّ خَطوةٍ يَمْشِيها إلى الصلاةِ صدقةٌ ويُمِيطُ الأذَى عنِ الطريقِ صدقةٌ** ﻫ رواه البخارِىُّ ومسلمٌ ﻫ

السابعُ والعشرونَ ﻫ

عنِ النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ رَضِىَ اللهُ عنهُ عن النَّبِىِّ ﷺ قال **البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ والإثمُ ما حاكَ فِى نفسِكَ وكرِهتَ أن يطَّلِعَ عليهِ الناسُ** ﻫ رواه مسلمٌ ﻫ

وعن وابِصَةَ بنِ مَعْبَدٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ

جئتَ تسألُ عن البِرّ قلتُ نعم فقال **اسْتَفْتِ قلبَك البِرُّ ما اطمأنَّتْ إليه النَّفسُ واطْمَأَنَّ إليه القلبُ والإثمُ ما حاكَ فِى النفسِ وتَرَدَّدَ فِى الصَّدْرِ وإن أفتاكَ الناسُ وأَفْتَوْكَ** ۞ حديثٌ حسنٌ رَوَيناه فِى مُسْنَدَىِ الإمامَين أحمدَ بنِ حنبلٍ والدَّارِمىّ بإسناد حسَنٍ ۞

الثامنُ والعِشْرُونَ ۞

عن أَبِى نَجِيحٍ العِرباضِ بنِ ساريةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال وَعَظَنا رسولُ الله ﷺ مَوْعِظَةً وجِلَتْ منها القلوب وذَرَفَتْ منها العيونُ فقلنا يا رسولَ اللهِ كأنها موعظةُ مُوَدِّعٍ فأوصِنا قال **أوصيكُمْ بِتَقْوَى الله عَزَّ وَجَلَّ والسمعِ والطاعةِ وإن تَأَمَّرَ عليكم عبدٌ وإِنَّهُ من يَعِشْ منكم فَسَيَرَى اختلافًا كثيرًا فعليكُمْ بسُنَّتِى وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ المَهْدِيِّيْنَ عَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذِ وإياكم ومحدَثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ** ۞ رواه أبو داود والترمذىُّ وقال حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ۞

التاسعُ والعشرونَ ۞

عن مُعَاذٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ قالَ قلتُ يا رسولَ الله أَخْبِرْنِى بعملٍ يُدخِلُنِى الجنةَ ويباعدُنِى مِنَ النَّارِ قال **لقد سألتَ عن عظيمٍ وإنه لَيَسِيرٌ على من يَسَّرَهُ اللهُ** تعالى **عليه تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ به شيئًا وتقيمُ الصلاةَ وتُؤْتِى الزكاةَ وتَصُومُ رمضانَ وتَحُجُّ البيتَ** ثم قالَ **ألا أدلُّكَ على أبوابِ الخيرِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ والصدقةُ تُطْفِئُ الخطيئةَ كما يُطفِئُ الماءُ النَّارَ وصلاةُ الرَّجُلِ مِنْ جوفِ الليلِ** ثم تلا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ثم قالَ **ألا أخبرُكَ برأسِ الأمرِ وعَمودِه وذِروة سَنامِهِ**(١) **الجهاد** ثم قالَ **ألا أخبرُكَ بِمِلاكِ ذلك كله**

(١) هنا سَقَطَ فِى نسخة النووىّ من سُنَنِ الترمذىّ كما قال الحافظُ العراقىُّ=

قلتُ بلى يا رسولَ اللهِ فأخذَ بلسانِهِ وقال **كُفَّ عليكَ هذا** قلتُ يا نبيَّ الله وإنا لَمُؤَاخَذُونَ بما نتكلَّمُ به قال **ثَكِلَتْكَ أمُّكَ وهل يَكُبُّ الناسَ فِى النارِ على وجوهِهم** أو قال **على مَنَاخِرِهم إلا حصائدُ ألسنَتِهِمْ ۞** رواه الترمذيُّ وقال حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ۞

الثلاثونَ ۞

عنْ أبِى ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ جُرْثُومِ بنِ ناشِرٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ ﷺ قالَ **إنَّ اللهَ فَرَضَ فرائضَ فلا تُضَيِّعُوها وحَدَّ حُدودًا فلا تَعْتَدُوها وحَرَّمَ أشياءَ فلا تَنْتَهِكوها وسَكَتَ عن أشياءَ رَحْمَةً لكم غيرَ نِسْيَانٍ فلا تَبْحَثُوا عنها ۞** حديثٌ حسنٌ رواه الدَّارَقُطنيُّ وغيرُه ۞

الحادِى والثلاثونَ ۞

عن أبِى العَبَّاسِ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ السّاعدِيِّ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال يا رسولَ اللهِ دُلَّنِى على عملٍ إذا عملتُهُ أحبَّنِىْ اللهُ وأحبَّنِىْ الناسُ فقال **ازهدْ فِى الدنيا يحبَّك اللهُ وازهدْ فيما عند الناس يحبَّك الناسُ ۞** حديثٌ حسنٌ رواه ابن ماجَهْ وغيرُهُ بأسانيدَ حسَنةٍ ۞

الثانِى والثلاثونَ ۞

عن أبِى سعيدٍ سعدِ بنِ مالكِ بنِ سِنانٍ الخُدْرِيِّ رَضِىَ اللهُ عنهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال **لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ ۞** حديثٌ حسنٌ رواه ابنُ ماجَهْ

= رحمهم الله وسياقُ الحديثِ على التمام ثم قالَ ألا أخبرُكَ برأسِ الأمرِ وعَموده وذِروة سَنامِهِ قلتُ بلى يا رسول الله قال رأسُ الأمرِ الإسلامُ وعمودُهُ الصلاةُ وذروةُ سَنامِهِ الجهاد ثم قال إلخ. سمير.

والدَّارقطنيُّ وغيرُهما مُسْنَدًا ۞ ورواه مالكٌ فِى المُوَطَّإِ عن عَمْرِو بن يحيَى عن أبيه عن النبيّ ﷺ مُرْسَلًا فأسقطَ أبا سعيدٍ وله طُرُقٌ يَقْوَى بعضُها ببعضٍ ۞

الثالثُ والثلاثونَ ۞

عن ابنِ عباسٍ رَضِىَ اللهُ عنهُما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال **لو يُعْطَى الناسُ بِدَعْوَاهُم لادَّعَى رِجالٌ أموالَ قومٍ ودِماءَهُمْ لكِنِ البينةُ على الـمُدَّعِى واليمينُ على مَنْ أَنْكَرَ** ۞ حديثٌ حسنٌ رواه البيهقىُّ وغيرُهُ هكذا وبعضُه فِى الصَّحيحين ۞

الرابعُ والثلاثونَ ۞

عن أبِى سعيدٍ الخُدْرِىّ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ **مَن رأى منكم منكَرًا فلْيُغَيّرْهُ بيدِهِ فإنْ لم يَسْتَطِعْ فبلِسانِهِ فمنْ لم يَسْتَطِعْ فبقلبِهِ وذلك أضعفُ الإيمانِ** ۞ رواه مسلمٌ ۞

الخامسُ والثَّلاثونَ ۞

عن أبِى هُريرةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **لا تَحَاسَدوا ولا تَنَاجَشوا ولا تَبَاغَضوا ولا تَدَابَروا ولا يَبِعْ بعضُكم على بَيْعِ بَعْضٍ وكُونوا عبادَ اللهِ إخوانًا المُسْلِمُ أخو المُسْلِمِ لا يَظلِمُهُ ولا يَخْذُلُه ولا يحقِرُهُ التَّقوَى هٰهُنا ويشيرُ إلى صدرِهِ ثلاثَ مِرَارٍ بِحَسْبِ امرِئٍ من الشّر أن يَحقِرَ أخاه المُسْلِمَ كلُّ المسلِمِ على المسلمِ حرامٌ دمُهُ ومالُهُ وعِرضُهُ** ۞ رواه مسلم ۞

السادسُ والثلاثونَ ۞

عن أبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ عن النَّبِىّ ﷺ قال **من نَفَّسَ عن**

مؤمنٍ كُربةً من كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنه كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يومِ القيامةِ ومَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عليه فِى الدنيا والآخرة ومن سَتَرَ مسلمًا ستره اللهُ فِى الدنيا والآخرة واللهُ تعالى فِى عَون العبد ما كان العبدُ فِى عَون أخيه ومَنْ سلكَ طريقًا يلتمِسُ فيه عِلمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طريقًا إلى الجنةِ وما اجتمعَ قومٌ فِى بيتٍ من بيوتِ اللهِ لاعزَّ وجَلَّ إلى يَتْلُونَ كتابَ اللهِ ويتدارَسونه بينهم إلا نزلَتْ عليهم السَّكينةُ وغَشِيَتْهُمُ الرحمةُ وحَفَّتهم الملائكةُ وذكرَهُمُ اللهُ فيمَن عندَه ومن بَطَّأَ به عملُهُ لم يُسرِعْ بِهِ نسَبُهُ ﻫ رواه مسلمٌ بهذا اللفظِ ﻫ

السابعُ والثلاثونَ ﻫ

عن ابنِ عباسٍ رَضِىَ اللهُ عنهُما عن رسولِ اللهِ ﷺ فيما يَرْوِى عن رَبِّهِ تباركَ وتعالى قال **إنَّ الله تبارك وتعالى كَتَبَ الحَسَنَاتِ والسَّيِّئاتِ ثم بَيَّنَ ذلك فَمَنْ هَمَّ بحسَنةٍ فلم يعمَلْها كتبَها الله عنده حسنةً كاملةً وإن همَّ بها فعمِلَها كتبَها اللهُ عنده عشْرَ حسناتٍ إلى سبعِمِائَةِ ضِعْفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ وإن هَمَّ بِسَيِّئةٍ فلم يَعْمَلْها كتبها اللهُ تعالى عِنْدَهُ حسنةً كاملةً وإن هَمَّ بها فعمِلها كتبَهَا اللهُ سيئةً واحدةً** ﻫ رواه البخاريُّ ومسلمٌ فِى صَحِيحَيْهِما بهذِهِ الحروفِ ﻫ

فانظُر يا أخِى وَفَّقَنِى اللهُ وإيَّاكَ إلى عِظَمِ لُطْفِ اللهِ تعالى وتَأَمَّلْ هذه الألفاظَ. وقولُهُ عِنْدَهُ إشارةٌ إلى الاعتناءِ بها وقولُهُ كاملةًلا بتنوينٍإلى للتوكيدِ وشِدّةِ الاعتناءِ وقال فِى السَّيئةِ التِى هَمَّ بها ثم تَرَكَها كتبَهَا الله حسنةً كاملةً فأكَّدَها بكاملةً وإن عَمِلَها كَتَبَها سيئةً واحدةً فأكَّدَ تَقلِيلَها بواحدةً ولم يُؤَكِّدْهَا بكاملةً فلِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ سبحانَهُ لا نُحْصِى ثناءً عليهِ ﻫ وباللهِ التوفيقُ ﻫ

الثامنُ والثلاثونَ ۝

عن أَبِى هريرةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قال مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فقدْ ءَاذَنْتُهُ بالحربِ وما تَقَرَّبَ إِلَىَّ عبدِى بِشَىْءٍ أحبَّ إلىَّ ممّا افترَضْتُ عليه وما يزالُ عَبْدِى يتقرَّبُ إلىَّ بالنّوافلِ حتى أُحِبَّهُ فإذا أَحْبَبْتُهُ كنتُ سَمْعَهُ الذى يَسْمَعُ به وبَصَرَهُ الذى يُبْصِرُ به ويدَهُ التى يبطِشُ بها ورِجلَه التى يَمْشِى بها وإِنْ سَأَلَنِى أَعْطَيْتُهُ ولَئِنِ استعاذَنِى لأُعيذَنَّهُ** ۝ رواه البخاريُّ ۝

التاسعُ والثلاثونَ ۝

عن ابنِ عباسٍ رَضِىَ اللهُ عنهُما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ **إنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِى عن أُمَّتِى الخطأَ والنِّسيانَ وما استُكرهوا عَلَيْهِ** ۝ حديثٌ حسنٌ رواه ابن ماجهْ والبيهقىُّ وغيرُهما ۝

الأربعونَ ۝

عن ابنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عنهُما قالَ أخذَ رسولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِى فقالَ **كُنْ فِى الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سَبيلٍ** وكان ابنُ عُمَرَ يقولُ إذا أمسيتَ فلا تنتظِرِ الصَّبَاحَ وإذا أصبحتَ فلا تنتظِرِ المساءَ وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ومِنْ حياتِك لِمَوْتِك ۝ رواه البخاريُّ ۝

الحَادِىْ والأربعونَ ۝

عن أَبِى مُحَمَّدٍ عبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِى رَضِىَ اللهُ عنهُما قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **لا يُؤْمِنُ أحدُكُمْ حتى يكونَ هواه تَبَعًا لما جئتُ به** ۝ حديثٌ صحيحٌ رَوَيناه فِى كتابِ الحُجَّةِ بإسنادٍ صحيحٍ ۝

الثانِى والأربعونَ ۞

عن أنسٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ **قالَ اللهُ تعالى يا ابنَ ءادم إنك ما دعَوتَنِى ورَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لك على ما كان منكَ ولا أُبالِى يا ابنَ ءادم لو بَلَغَتْ ذُنوبُك عَنَانَ السماءِ ثم استغفرتَنِى غفرتُ لك يا ابنَ ءادم إنَّك لو أتَيتَنِى بقُرَابِ الأرضِ خطايا ثم لَقيتَنِى لا تشركُ بِى شيئًا لأتيتُك بِقُرابها مغفرةً** ۞ رواه الترمذىُّ وقال حديثٌ حسنٌ ۞

فهذا ءاخرُ ما قَصَدْتُهُ من بيانِ الأحاديثِ التى جَمَعَتْ قواعدَ الإسلامِ وتضمَّنَتْ ما لا يُحْصَى من أنواعِ العلوم فِى الأصول والفروعِ والآداب وسائرِ وجوهِ الأحكامِ ۞ وها أنا أذكُرُ بابًا مُختصرًا جدًا فِى ضَبْطِ ألفاظِها مرتبةً لِئَلَّا يُغْلَطَ فِى شَىْءٍ منها ولِيَسْتَغنِىَ بها حافظُها عن مراجعةِ غيرِهِ فِى ضَبطِها ثم أشرَعُ فِى شَرْحِها ⁽لا⁾ إن شاء الله تعالى⁽إلى⁾ فِى كتابٍ مستقلٍّ وأرجو من فضلِ اللهِ أن يوفقَنِى فيه لبيانِ مُهِمَّاتٍ منَ اللطائفِ وجُمَلٍ منَ الفوائدِ والمعارفِ لا يَستغنِى مسلمٌ عن معرفةِ مثلِها ويظْهَرُ لمطالعها جزالةُ هذِهِ الأحاديثِ ⁽لا⁾ وعِظَمُ فَضْلِها⁽إلى⁾ وعِظَم ما اشتملتْ عليه مِنَ النفائسِ التِى ذكرتُها والمهمات التِى وصفتُها ويعلَمُ بها الحكمةَ فِى اختيارِ هذه الأحاديث الأربعين وأنها حقيقةٌ بذلك عند الناظرين ۞

وإنَّمَا أفردتُها عن هذا الجُزْءِ لِيَسْهُلَ حِفظُ ذا الجزءِ بانفرادِهِ ثم مَنْ أرادَ ضَمَّ الشَّرحِ إليه فَلْيَفعَلْ ولِلهِ عليهِ المِنَّةُ بذلكَ إذْ يَقِفُ على نفائسِ اللطائفِ المُسْتَنْبَطَةِ من كلامِ مَنْ قالَ اللهُ فِى حَقِّهِ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ ولِلهِ الحمدُ والمِنَّةُ أوَّلًا وءاخِرًا

باطنًا وظاهرًا على نِعَمِهِ ه

بابُ الإشاراتِ إلى الألفاظِ المُشْكِلاتِ ه



هذا البابُ وإنْ تَرْجَمْتُهُ بالمُشكِلات فقد أُنَبِّهُ فيه على ألفاظٍ من الواضِحاتِ.

فِى الخُطبَةِ ه

نَضَّر اللهُ امرءًا رُوِىَ بتشديدِ الضَّادِ وتخفيفها والتَّشديدُ أكثرُ ومعناه حَسَّنَهُ وجَمَّلَهُ ه

الحديثُ الأولُ ه

أميرُ المؤمنين عمرُ رَضِىَ اللهُ عنهُ هو أَوَّلُ من سُمِّىَ أميرَ المؤمنين ه

قولُهُ ﷺ إنما الأعمالُ بالنياتِ المرادُ لا تُحسَبُ الأعمالُ الشّرعيةُ إلا بالنِّيَّةِ ه

وقولُهُ ﷺ فهِجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ معناه مقبولةٌ ه

الحديثُ الثانِى ه

لا يُرَى عليه أثرُ السَّفَرِ هو بِضَمِّ الياء مِن يُرَى ه

قولُهُ تُؤْمِنَ بالقدَرِ خيرِه وشرِّهِ معناه تعتقدُ أنَّ الله تعالى قَدَّرَ الخيرَ والشَّرَّ قبلَ خلقِ الخلقِ وأنَّ جميعَ الكائناتِ بقضاءِ اللهِ تعالى وقدَرِهِ وهو مريدٌ لَهَا ه

قوله فأخبِرنِى عنْ أمارَتها هو بفتحِ الهمزةِ أىْ علامَتِها ويُقال أَمَارٌ

بلا هاءٍ لُغتان لكنِ الروايةُ بالهاءِ ۞

قولُهُ تَلِدَ الأمةُ ربَّتَها أى سَيِّدَتَها ومعناه أنْ يَكْثُرَ بيعُ السَّرَارِى حتى تلدَ الأمةُ السُّرِّيّةُ بِنتًا لسيّدها وبنتُ السَّيِّدِ فِى معنى السَّيِّدِ وقيل يكثُر السرارى حتى تَشْتَرِىَ المرأةُ أمَّها وتَسْتَعْبِدَها جاهلةً بأنّها أُمُّها وقيلَ غيرُ ذلك وقد أوضحتُه فِى شرحِ صحيحِ مسلمٍ بدَلائِلِهِ وجمعِ طُرُقِهِ ۞

قوله العَالَةَ أيِ الفقراءَ ومعناهُ أنَّ أسافلَ الناسِ يَصيرون أهلَ ثروةٍ ظاهرةٍ ۞

قولُهُ لَبِثْتُ مَلِيًّا هو بتشديدِ الياءِ أىْ زمانًا كثيرًا وكانَ ذلكَ ثلاثًا هكذا جاءَ مُبَيَّنًا فِى روايةِ أَبِى داودَ والتِّرمذيِّ وغيرِهِما ۞

الحديثُ الخامسُ ۞

مَنْ أحدثَ فِى أمرِنا فهو رَدٌّ أى مردودٌ كالخَلْقِ بِمَعْنَى المَخْلُوقِ ۞

الحديثُ السادسُ ۞

فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرضِهِ أىْ صانَ دينَهُ وحَمَى عِرضَهُ مِنْ وقوعِ الناسِ فيه ۞

قولُهُ يُوشِكُ هو بضمّ الياء وكسْرِ الشّين أى يُسْرِعُ ويَقْرُبُ ۞

قوله حِمَى اللهِ محارِمُهُ معناه الذِى حَمَاهُ اللهُ تعالى ومَنَعَ دخولَهُ هو الأشياءُ التِى حرَّمَها ۞

الحديثُ السابعُ ۞

قوله عن أَبِى رُقَيَّةَ هو بضمِّ الرَّاء وفتح القاف وتشديد الياء ۞

قوله الدَّارِيّ منسوبٌ الى جَدٍّ له اسمه الدَّار وقيل إلى موضعٍ يُقال له دارِين ويُقال فيه أيضًا الدَّيْرِىُّ نسبةً الى دَيْرٍ كانَ يَتَعَبَّدُ فيه وقد

بسطتُ القولَ فِى إيضاحه فِى أوائلِ شرحِ صحيحِ مسلمٍ ۝

الحديثُ التاسعُ ۝

قوله واختلافُهُم هو برفعِ الفاءِ لا بكسرِها ۝

الحديثُ العاشرُ ۝

قوله غُذِىَ بالحرامِ هو بضمّ الغينِ وكسرِ الذَّالِ المعجمةِ المُخَفَّفَةِ ۝

الحديثُ الحادِىَ عَشَر ۝

دَعْ ما يريبك بفتح الياء وضَمِّها لُغتان الفتحُ أفصحُ وأشهرُ ومعناه اترُكْ ما شكَكتَ فيه واعدِلْ إلى ما لا تشُكُّ فيه ۝

الحديثُ الثانِىَ عَشَر ۝

قوله يَعْنِيهِ بفتحِ أوَّلِهِ ۝

الرابعَ عَشَر ۝

قولُهُ الثَّيّبُ الزانِـى معناه الـمُـحصَنُ إذا زَنَى وللإحصانِ شروطٌ معروفةٌ فِى كتبِ الفقهِ ۝

الخامسَ عَشَر ۝

قولُهُ لِيَصْمُتْ بضمّ الميمِ ۝

السابعَ عَشَر ۝

قولُهُ القِتْلَةَ والذِّبْحَةَ بكسرِ أوَّلِهِما ۝

قوله ولْيُحِدَّ هو بضم الياء وكسرِ الحاءِ وتشديدِ الدال يقال أحدَّ

السِّكِّينَ وحَدَّدَها واسْتَحَدَّها بِمعنًى ه

الثامنَ عَشَر ه

جُندُب بضم الجيم وبضم الدَّال وفتحِها وجُنادة بضمّ الجيم ه

التاسعَ عَشَر ه

تُجاهَكَ بِضَمِّ التاءِ وفتحِ الهاءِ أى أمامَك كما فِى الرواية الأُخرى ه

تَعَرَّفْ إلى الله فِى الرَّخاءِ أى تحبَّبْ إليه بلزومِ طاعتِهِ واجتنابِ مخالفتِهِ ه

العشرونَ ه

إذا لم تَسْتَحْيِ فاصنَعْ ما شِئْتَ معناه إذا أردتَ فِعلَ شَىْء فإنْ كانَ مِمَّا لا تَسْتَحِى من الله ومن الناسِ فِى فِعلِهِ فافْعَلْهُ وإلا فلا وعلى هذا مدارُ الإسلامِ ه

الحادِىْ والعِشْرُونَ ه

قُلْ ءَامَنْتُ بالله ثم استَقِم أى استَقِمْ كما أُمِرت مُمْتَثِلًا أمرَ الله مجتنِبًا نهيَه ه

الثالثُ والعشرونَ ه

قوله ﷺ الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ المرادُ بالطُّهورِ الوُضوءُ وقيل معناه يَنْتَهِى تضعيفُ ثوابِه إلى نصفِ أجرِ الإيمانِ وقيل الإيمانُ يجُبُّ ما قبلَه من الخطايا وكذلك الوُضوءُ لكنَّ الوضوءَ يَتَوَقَّفُ صِحَّتُهُ على الإيمان فصارَ نِصفًا. وقيل المرادُ بالإيمانِ الصلاةُ والطُّهورُ شرطٌ

لصِحَّتِـها فصارَ كالشَّطرِ. وقيلَ غيرُ ذلك ۝

وقوله ﷺ الحمد لله تملأُ الميزان أى ثوابُها ۝

وسبحان الله والحمدُ لله تملآن أى لو قُدِّرَ ثوابُهما جِسمًا لَمَلأَ وسَبَبُهُ ما اشتملتا عليه من التَّنزيهِ والتَّفويضِ إلى اللهِ تعالى ۝ والصلاةُ نُورٌ أى تمنعُ من المعاصِى وتَنْهَى عن الفحشاءِ وتَهْدِى إلى الصَّوابِ وقيل يكونُ ثوابُها نُورًا لصاحبِها يومَ القيامةِ وقيلَ لأنها سببٌ لاستنارةِ القلبِ ۝ والصَّدَقَةُ بُرهانٌ أى حُجَّةٌ لصاحبِها فِى أداءِ حقِّ المالِ وقيلَ حُجَّةٌ فِى إيمانِ صاحبِها لأنَّ المنافقَ لا يفعلُها غالبًا والصَّبرُ ضياءٌ أى الصَّبرُ المحبوبُ وهو الصبرُ على طاعةِ اللهِ تعالى والبلاءِ ومَكَارِهِ الدُّنيا وعن المعاصِى ومعناهُ لا يزالُ صاحبُه مستضيئًا مستمِرًا على الصَّوابِ ۝

كلُّ الناسِ يَغْدُو فبائعٌ نفسَه معناه كلُّ إنسانٍ يَسْعَى بنفسِهِ فمنهم من يبيعُها لله تعالى بطاعتِهِ فيُعتِقُها منَ العذابِ ومنهم من يبيعُها للشيطانِ والهَوَى باتباعِهِما فَيُوبِقُها أى يُهْلِكُها ۝ وقد بَسَطتُ شرحَ هذا الحديثِ فِى أولِ شرحِ صحيحِ مسلمٍ فمنْ أرادَ زيادةً فلْيُراجِعْهُ ۝ وباللهِ التوفيقُ ۝

الرابعُ والعشرونَ ۝

قوله تعالى حَرَّمْتُ الظُّلمَ على نَفْسِى أى تَقَدَّسْتُ عنه فالظُّلم مستحيلٌ فِى حقِ اللهِ تعالى لأنه مجاوزةُ الحدِّ أو التَّصَرُّفُ فِى مِلْكِ غَيْرِهِ وهما جميعًا محالٌ فِى حقِ اللهِ عزَّ وجلَّ ۝

قولُهُ تعالى فلا تَظَالَمُوا هو بفتحِ التاءِ أى تَتَظَالَمُوا ۝

قولُهُ تعالى كما ينقُصُ المِخْيَطُ بكسرِ الميمِ وإسكانِ الخاءِ وفتحِ

الياءِ أيِ الإبرةُ ومعناه لا يَنْقُصُ شيئًا ۞

الخامسُ والعشرونَ ۞

الدُّثُورُ بضمِّ الدالِ والثَّاءِ المثلثةِ الأموالُ واحِدُها دَثْرٌ كفَلْسٍ وفُلُوس ۞

وقولُهُ وفِى بُضْعِ أحدِكُمْ هو بضمِّ الباءِ وإسكانِ الضادِ المعجمةِ وهو كنايةٌ عن الجماع إذا نَوَى العبادَةَ وهو قضاءُ حَقِّ الزّوجةِ وطلبُ وَلَدٍ صالحٍ وإعفافُ النَّفسِ وكفُّها عنِ المَحارمِ ۞

السادسُ والعشرونَ ۞

السُّلَامَى بضمِّ السّينِ وتخفيفِ اللامِ وفتحِ الميمِ وجمعُهُ سُلامَيَاتٌ بفتحِ الميمِ وهو المفاصلُ والأعضاءُ وهِىَ ثلاثُمِائةٍ وستونَ ثبتَ ذلك فِى صحيحِ مسلمٍ عن رسولِ اللهِ ﷺ ۞

السابعُ والعشرونَ ۞

النَّوَّاس بفتحِ النونِ وتشديدِ الواوِ وسمعان بكسرِ السينِ وفتحِها ۞

قوله حاكَ بالحاءِ والكافِ أى تَرَدَّدَ ۞

وابِصة بكسرِ الباءِ الموحَّدةِ ۞

الثامنُ والعشرونَ ۞

العِرْبَاضُ بكسر العَيْنِ وبالموحَّدة ۞

وساريةُ بالسينِ المهمَلةِ والياءِ المثنّاةِ تحت ۞

قولُهُ ذَرَفَتْ بفتحِ الذالِ المعجمةِ والرَّاءِ أىْ سالتْ ۞

قولُهُ بالنواجِذِ هو بالذالِ المعجمةِ وهِىَ الأنيابُ وقيلَ الأضراسُ ۞

والبدعةُ ما عُمِلَ على غير مِثالٍ سَبَقَ ۞

التاسعُ والعشرونَ ۞

ذُروةُ السَّنَامِ بكسر الذال وضمِّها أى أعلاه ۞ مِلاك الشَىْء بكسر الميم أى مقصودُه ۞ قوله يَكُبُّ هو بفتحِ الياءِ وضمِّ الكافِ ۞

الثلاثونَ ۞

الخُشَنِىُّ بضمّ الخاءِ وفتح الشِّينِ المعجَمتين وبالنون منسوبٌ إلى خُشَيْنَةَ قبيلة معروفة ۞

قوله جُرْثُوم بضمِّ الجيم والثاء المثلثة وإسكان الراء بينهما وفِى اسمِهِ واسمِ أبيهِ اختلافٌ كثيرٌ ۞

الثانِى والثلاثونَ ۞

ولا ضِرارَ هو بِكَسْرِ الضَّادِ ۞

الرابعُ والثلاثونَ ۞

فإن لم يستطعْ فبقلبه معناه فلْيكْرَهْ بقلبِهِ ۞

وذلك أضعفُ الإيمانِ أى أقلُّهُ ثمرةً ۞

الخامسُ والثلاثونَ ۞

قولُهُ بِحَسْبِ امرئٍ من الشَّرِّ هو بإسكان السِّينِ أىْ يكفيه من الشَّرِّ ۞

الثامنُ والثلاثونَ ۞

فقدْ ءاذَنْتُهُ بهمزةٍ مَمْدودةٍ أىْ أعلمتُهُ بأنه محارِبٌ لِى ۞

قولُهُ استعاذَنِى ضَبَطُوهُ بالنونِ والباءِ وكلاهُما صحيحٌ ۞

الأربعونَ ه

كُنْ فِى الدُّنْيَا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل [لا]أى لا تَرْكَنْ[إلى] إليها ولا تتَّخِذْها وَطَنًا ولا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بطولِ البقاءِ فيها ولا بالاعتناءِ بها ولا تتعلَّقْ منها بما لا يَتَعَلَّقُ به منها الغريبُ فِى غير وَطَنِهِ ولا تشتغِلْ فيها بما لا يشتغلُ به الغريبُ الذِى يريدُ الذَّهابَ إلى أهلِهِ ه

الثَّانِى والأربعونَ ه

عَنان السَّمَاءِ بفتح العين قيل هو السَّحَابُ وقيل ما عَنَّ لكَ منها أىْ ظهرَ إذا رَفَعْتَ رأسَكَ ه

قولُهُ قُرابِ الأرضِ بضمّ القافِ وكسرِها لغتانِ رُوِىَ بهما الضَّمُّ أشهرُ ومعناه ما يُقارِبُ مِلْأَهَا ه

اعْلَمْ أنَّ الحديثَ المذكورَ أوَّلًا مَنْ حَفِظَ على أُمَّتِى أربعينَ حديثًا مَعْنَى الحفظِ هنا أن ينقُلَها إلى المسلمينَ وإنْ لَمْ يَحْفَظْها ولا عَرَفَ معناها هذا حقيقةُ معناه وبهِ يحصُلُ انتفاعُ المسلمينَ لا بِحِفْظِ ما لا يَنْقُلُهُ إليهم واللهُ أعلمُ بالصَّوَابِ ولَهُ الحمدُ والفضلُ والمِنَّةُ وبه التوفيقُ والعِصْمَةُ ه الحمدُ للهِ الذِى هَدَانا لِهَذا وما كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لولا أنْ هدانا اللهُ وصَلَّى اللهُ وسلَّمَ على محمّدٍ وعلى سائرِ النَّبِيِّيْنَ وءَالِ كُلٍّ وجميعِ الصَّالحينَ ه

[لا]قال مُؤلِّفُهُ الشيخُ الإمامُ العالِمُ العامِلُ الحَافِظُ الضَّابِطُ المُتْقِنُ المُحَقِّقُ مُحْيِى الدِّينِ يَحْيَى النَّوَوِىُّ عَفَا الله عنه فَرَغْتُ منه ليلةَ الخميس التاسع والعشرين من جُمادى الأُولى سنة ثمانٍ وستِّين وستِّمِائةٍ وصلى الله على سَيِّدِنا محمدٍ وءَالِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ[إلى] ه

تَمَّ كتابُ الأربعينَ النوويةِ وللهِ الحمدُ ه

والآنَ حينُ الشروعِ فِى حلِّ ألفاظِ هذه الأحاديثِ الشريفةِ فأقولُ عائذًا باللهِ سبحانه منَ الزَّلَل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أىْ أُصَنِّفُ أو أبتدئُ متبرِّكًا بذكرِ اسْمِ اللهِ ومستعينًا به عزَّ وجَلَّ **(رَبِّ تَمِّمْ)** هذا الكتابَ **(ويَسِّرْ)** لِى إنهاءَهُ على ما ينبغِى **(برحمتِكَ)** ⊙

(الحمدُ لله ربِّ العالَمِينَ) أىِ المخلوقينَ **(قَيُّومِ السَّمَاوَاتِ)** السبعِ **(والأَرَضِينَ)** السبعِ والقيُّومُ معناه القائمُ بذاتِهِ والذِى تَقُوم به المخلوقاتُ كلُّها أىْ لا توجَدُ ولا يستمرُّ وجودها إلَّا به **(مُدَبِّرِ الخلائقِ)** أىِ مدبِّرِ كُلِّ الأشياءِ المَخلوقةِ أىْ جاعلِهَا على ما هِىَ عليه على وجهٍ مطابقٍ لعلمِ اللهِ ومشيئتِهِ الأزليَّيْنِ **(أجمعينَ)** تأكيدٌ لعدم خروجِ أىِّ شَىْءٍ مِن المخلوقات عن تدبيرِه سبحانه **(باعثِ الرُّسلِ)** أىْ مُرسلِ الأنبياء **(صلواتُه وسلامُه عليهم إلى المكلَّفين)** مِنَ الإنسِ والجن **(لِهِدايَتِهِم)** أىْ لدعوتِهِم للهُدَى والحقِّ وإقامةِ الأدلةِ عَلَيْهِ **(وبيانِ شرائعِ الدِّينِ)** أىْ ما نزلَ على النَّبِىِّ عليه الصلاةُ والسلام وحيًا منَ الأحكامِ الشرعيَّةِ المتضمِّنةِ لِمَصالح العباد الدينية والدنيوية **(بالدَّلائلِ القَطْعِيَّةِ)** التِى جاءَ الأنبياءُ الخَلْقَ بها تأييدًا لهذه الشرائعِ وهِىَ الأدلةُ المُوجِبَةُ للعلمِ أىِ المثبتَةُ للأمرِ بلا شكٍّ ولا احتمالِ خطإٍ بحيثُ تقطعُ معارضةَ الخصمِ **(وواضِحاتِ البراهينِ)** أىِ واضحِ الحُجَج ⊙

(أحمدُهُ على جميعِ نِعَمِهِ) جمعِ نعمةٍ وهِىَ الحالةُ المُسْتَلَذَّةُ أو المنفعةُ الخالصُ كلٌّ منهما مِنَ المَضَرَّةِ **(وأسألُهُ المزيدَ مِنْ فَضله وكَرَمِهِ)** أىْ مِمَّا يَتفضلُ ويَتكرَّمُ به فالفضلُ والكرَمُ هنا مصدرانِ بمعنَى

المفعولِ (**وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ الواحدُ**) المُنَزَّهُ عنِ الانقسامِ والتَّجزؤ (**القهَّارُ**) التامُّ القهرِ الذِى لا يخرج شَىْءٌ عن مشيئتِه وقُدرتِه وقضائِه وقَدَرِهِ (**الكريمُ**) المُنَزَّهُ عَنِ العيوبِ والنقائص (**الغفَّارُ**) الذِى يعفو عن ذنوبٍ كثيرةٍ مرةً بعدَ مرةٍ (**وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ وحبيبُهُ وخليلُهُ**) والخليلُ قيلَ هو المُحِبُّ الذِى ليس فِى مَحَبَّتِهِ نقصٌ ولا خَلَلٌ وقيل إنه الذِى انقطعَ غايةَ الانقطاعِ إلى اللهِ تعالى ووقفَ الحوائجَ عليه وأضرَبَ عن الوسائطِ لَدَيه اهـ وهو الذِى كانَ يميلُ إليه شيخنا الهَررىُّ رحمَهُ اللهُ، ثم إنَّ الخُلَّةَ أخصُّ من المحبةِ وأعلى رتبةً ولذا كان أحباءُ اللهِ كثيرينَ ولم يَنَلِ الخُلَّةَ منَ الخَلقِ إلا اثنانِ سيدنا إبراهيمُ وسيدنا محمدٌ عليهما الصلاة والسلام (**أفضلُ المخلوقينَ**) بلا خلافٍ (**المُكَرَّمُ**) على سائر الأنبياء (**بالقرءانِ العزيزِ**) أىِ البديعِ المنيعِ، البديعِ مِن حيث صحَّةُ معانِيه وبلاغةُ ألفاظِه وحسنُ سبْكِ عباراته والمَنِيعِ مِن حيث عدم قدرة البشر على محاكاته والإتيان بمثله ومن حيث تَكَفُّلُ اللهِ بحفظِهِ من كيد الشيطان وحِزْبِه (**المعجزةِ**) التاء للمبالغة كما فِى العلَّامَةِ وهِىَ الأمر الخارق للعادة الحاصل على يدِ مُدَّعِى النبوة الموافقُ لدعواه السالم عن المعارضة بالمثل (**المستمرَّةِ**) أىِ الباقية الدائمة (**على تعاقُبِ السِّنِينَ**) إلى يوم القيامة وفِى حديثِ الشَّيخينِ [ما مِن نبىٍّ من الأنبياء إلا وقد أُوتِىَ ما مثلُهُ ءَامَنَ عليهِ البشرُ وإنما كان الذِى أُوتِيتُ] أىْ أعظمُ معجزاتِى وما تَمَيَّزْتُ بِهِ عنهم [وَحْيًا يُوحَى فأرجُو أن أكونَ أكثرَهُمْ تابعًا يومَ القيامةِ] اهـ (**و**)المُكَرَّمُ أيضًا (**بالسُّنَنِ المُستنيرةِ**) أىْ ذاتِ الأنوارِ الكثيرة بما اشتملتْ عليه من العلومِ وسبلِ الهُدَى (**للمُسْتَرْشِدِينَ**) أى طلاب الرّشدِ(١) فِى الدِّين

(١) قوله (الرشد) فِى تاجِ العروس وغيره أنه يقال الرُّشْد بضمِّ الراء وتسكين الشين والرَّشَد بفتحهما بمعنًى واحد اهـ الفقير.

وخصَّهم بالذِّكر لأنهم هم المنتفِعون (**المخصوصُ بِجَوامع الكَلِم**) الذِى أعطاه اللهُ تعالى القدرةَ على الإتيانِ بالعباراتِ القليلةِ الألفاظِ الكثيرةِ المَعْنَى (**وسماحةِ الدِّين**) أىْ سهولتِهِ ويُسْرِهِ كما قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ وكما قال عليه الصلاةُ والسلامُ إنَّ هذا الدينَ يُسْرٌ اهـ رواه البخاريُّ وغيرُهُ (**صلواتُ اللهِ**) أىْ أنواعُ رَحَمَاتِهِ التِى تزيدُ رسولَ اللهِ ﷺ رِفْعَةً وشَرْفًا (**وسلامُه**) أى سلامتُهُ ﷺ مِمَّا يخافُ على أمتِهِ (**عليه**) أىْ نسألُها له منَ اللهِ (**وعلى سائر النَّبِيِّينَ وءَالِ كلٍّ**) أىْ أقاربِه المسلمين (**وسائرِ الصّالحين**) جمع صالح وهو القائمُ بحقوق الله وحقوق الخَلْقِ أىِ المُؤدِّى للواجباتِ كُلِّها المجتنِبُ للمحرماتِ كُلِّها ⊙

(**أما بعدُ**) أىْ بَعْدَ ما تقدم (**فقدْ رُوِّينا**) بضمِّ الراء وتشديد الواو المكسورة أىْ رَوَّانا بتشديد الواو المفتوحة مشايخُنا أىْ نقلوا لنا فَسَمِعْنَا ويَصِحُّ أن يقال رَوَيْنا بفتح الراء (**عنْ عليِّ بنِ أبِى طالبٍ**) المُستشهَدِ فِى الكوفة سنة أربعين عن ثلاث وستين سنةً (**وعبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ**) الهُذَلِيِّ المُتَوَفَّى بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين عن بضعٍ وستين أو بضعٍ وسبعين سنةً (**ومعاذِ بنِ جَبَلٍ**) الأنصاريِّ المتوفَّى فِى طاعونِ عَمَوَاسَ[١] بالأردن سنةَ ثمانِ عشرةَ عن ثلاث وثلاثين سنةً (**وأبِى الدَّرداءِ**) عُوَيْمِرِ بن عامر الأنصاريِّ المتوفَّى فِى الشام سنة اثنتين وثلاثين (**و**)عبدِ الله (**بن عمر**) بن الخطاب القُرَشِيِّ العَدَوِيِّ المتوفَّى بمكة سنةَ ثلاثٍ وسبعين (**و**)عبدِ الله (**بن عباس**) بن عبد المطلب

(١) قوله (طاعون عمواس) قال عددٌ بتسكينِ ميمِها اهـ وقال النووِيُّ فِى تهذيب الأسماء واللغات هِىَ قريةٌ بالشام بين الرَّملة وبيتِ المقدس وهى بفتح العين والميم ونُسب الطاعون إليها لأنه بدأ منها وقيل لأنه عمَّ الناس وتواسَوا فيه اهـ واللهُ أعلمُ. فقير.

القرشيّ الهاشميّ المتوفَّى بالطائف سنةَ ثمانٍ وستين عن سبعين سنة **(وأنسِ بنِ مالكٍ)** الأنصاريّ المتوفَّى فِى البصرة سنةَ بضعٍ وتسعينَ بعد أنْ عُمِّرَ أكثر من مِائَةِ سنةٍ **(وأبِى هريرةَ)** الدَّوْسِيّ عبد الرحمن بن صخر مات سنةَ سبعٍ وخمسينَ أو تسعٍ وخمسينَ بالمدينة عن سبع وثمانين سنةً **(وأبِى سعيد الخُدْرِيّ)** الأنصاريّ المتوفَّى سنةَ أربع وسبعين عن أربع وتسعين سنة **(رَضِىَ اللهُ عنهُم أجمعينَ من طُرُقٍ)** جمعِ كَثْرَةٍ لطريقٍ **(كثيراتٍ)** تأكيدٌ للمبالغة فِى الكثرة **(برواياتٍ مُتَنَوِّعاتٍ)** تختلف ألفاظُهَا ولكن تشترك فِى إفادة المعنَى **(أنَّ رسولَ الله)** محمدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشِمِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَىِّ بنِ كِلَابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَىِّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ ابنِ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نزارِ ابنِ مَعَدِّ بنِ عدنانَ ﷺ **قال مَنْ حَفِظَ)** وظاهِرُهُ الحِفظ عن ظهر قلبٍ أو المرادُ الحفظُ مِنَ الضياعِ بنقلِه إلى المسلمين وإن لم يحفظه الناقلُ عن ظهر قلبٍ **(على أمَّتِى)** أىْ لأجلِ تعليمِ أُمَّتِى أىْ أمَّةِ الإجابةِ الذينَ ءَامنُوا بِى **(أربعينَ حديثًا مِنْ أَمْرِ دِينِهَا)** أىْ مِنْ جملةِ أُمورِ الدِّينِ منَ الأصول والفروع **(بعثَهُ الله تعالى يومَ القيامة فِى زُمرة الفقهاءِ والعلماءِ)** اهـ أىْ إنه يُحشرُ معهم ولو لم يكن فِى مَرْتَبتهم ⊙ والفقهاءُ جمعُ فقيهٍ وهو العارفُ بأمورِ الشريعةِ الفاهمُ لَهَا والعلماءُ جمع عالم والمراد به هنا العالمُ العاملُ القُدْوةُ **(وفِى روايةٍ بَعَثَهُ اللهُ تعالى فقيهًا عالِمًا)** اهـ **(وفِى روايةِ أبِى الدرداءِ وكنتُ له يومَ القيامةِ شافعًا وشهيدًا)** اهـ أىْ على حُسْنِ فعله **(وفِى روايةِ ابنِ مسعودٍ قيلَ لهُ ادخلْ مِنْ أىِّ أبوابِ الجنةِ شِئتَ)** اهـ **(وفِى روايةِ ابنِ عمرَ كُتِبَ فِى زُمرةِ العلماءِ وحُشِرَ فِى زُمرةِ الشُّهداءِ)** اهـ **(واتَّفَقَ الحُفَّاظُ على أنه حديثٌ ضعيفٌ وإن كثُرَتْ طُرُقُهُ)** وذلك أنَّ شواهدَه ومتابعاته

لا تخلو أسانيدُها من مجهولٍ أو كثيرِ الخطإ أو متروكٍ أو نحوِهم فلا تفيدُهُ باجتماعِها قوةً ترفعُهُ إلى درجةِ الحسنِ لغيرِهِ ⊙

(**وقد صَنَّفَ العلماءُ رَضِيَ اللهُ عنهُم فِى هذا البابِ ما لا يُحْصَى مِنَ المُصَنَّفاتِ**) وهم قدوةٌ حسنةٌ (**فأَوَّلُ مَنْ عَلِمتُهُ صَنَّفَ فيه عبدُ اللهِ ابنُ المُبَارَكِ**) الإمامُ الحافظُ المجتهدُ الغازِى وكان أبوه عبدًا مملوكًا تُوُفِّى مُنْصَرَفَهُ مِنَ الجهادِ سنةَ إحدَى وثمانين ومِائَة وله ثلاث وستون سنة (**ثم**) محدِّثُ خُراسانَ الحافظُ (**محمدُ بنُ أسلَمَ الطُّوسِيُّ**) المتوفَّى سنةَ اثنتين وأربعين ومِائَتين (**العالِمُ الرَّبانِيُّ**) أيِ الراسخُ فِى العلمِ الثابتُ فِى مقامِ اليقينِ (**ثم**) محدِّثُ خُراسانَ أيضًا (**الحسنُ بنُ سفيانَ النَّسَوِيُّ**) نسبة إلى مدينة نَسَا المُتَوَفَّى سنة ثلاثٍ وثلاثِمِائَةٍ (**و**)المحدثُ الشافعيُّ (**أبو بكرٍ**) محمدُ بنُ الحسينِ (**الآجُرِّيُّ**) البغداديُّ ثم المَكيُّ دفينُها المتوفَّى سنة ستين وثلاثِمِائَة (**وأبو بكرٍ محمدُ بنُ إبراهيم الأصبهانِيُّ**) العطارُ مستملِى أبِى نُعَيْمٍ تُوُفِّيَ سنة ستٍّ وستين وأربعِمِائَة (**والدَّارَقُطْنِيُّ**) نسبة إلى دارَقُطْنٍ محلة كبيرة ببغداد الحافظُ الإمامُ أبو الحسن عليُّ بنُ عمرَ الشافعيُّ المتوفَّى سنة خمس وثمانين وأربعِمِائَة (**والحاكمُ**) محمد بن عبد الله النيسابوريُّ أبو عبد الله الحافظُ الكبيرُ الشافعيُّ المتوفَّى سنة خمسٍ وأربعِمِائَة (**وأبو نُعَيْم**) أحمدُ بن عبد الله الأصفهانيُّ الحافظ الإمام الشافعيُّ الأشعريُّ المتوفَّى سنة ثلاثين وأربعِمِائَةٍ (**وأبو عبد الرحمن**) محمد بن الحسين (**السُّلَميُّ**) نسبة إلى بنِى سُلَيْم بضم السين قبيلة مشهورة شيخُ الحافظِ البيهقيِّ من كبار الصوفيةِ المُتَوَفَّى سنة ثِنْتَىْ عَشْرَةَ وأربعِمِائَة (**وأبو سعدٍ**) أحمدُ بنُ محمدٍ (**المَالينيُّ**) نسبة لِمَحلٍّ من أعمال هَرَاة المُتَوَفَّى سنة تسعٍ وأربعِمِائَة الحافظُ الصوفيُّ الشافعيُّ (**و**)الإمامُ (**أبو عثمانَ**) إسمٰعيلُ بنُ عبدِ الرحمنِ الشافعيُّ (**الصَّابونيُّ**) نسبة إلى عَمَلِ

الصابونِ المُتَوَفَّى سنة إحدى وثمانين وأربعِمائةٍ (**ومحمدُ بن عبد الله**) هكذا فِى نسخة الأصلِ وغيرِها وهو خطأٌ والصوابُ عبد الله بن محمد أبو إسمٰعيلَ (**الأنصاريُّ**) الهَرَوِىُّ صنَّف أربعين فِى الأُصول وضَمَّنَها ما لا يَصِحُّ ولا يليقُ نسبتُهُ إلى الله عزَّ وجلَّ منَ التشبيه وتوجَّهَتْ إليه بسببها سهامُ المَلامِ والقدحِ والردِّ ولِمُحَدِّثِ المغربِ الشيخِ عبدِ اللهِ بنِ محمد بن الصديق الغماريِّ الحسنيِّ رسالةٌ فِى نقضِها سماها نقد الأربعين فجزاه الله خيرًا تُوُفِّـىَ الأنصاريُّ سنة إحدى وثمانين وأربعمائة والذِى أعتقدُهُ أنَّ النَّوَوِىَّ رَحِمَهُ اللهُ لم يَطَّلِعْ على أَرْبَعِيهِ ولو اطَّلَعَ عليها لَمَا ذكرَهُ فِى هذا المقام ومِمَّا يدُلُّ على قلةِ معرفتِهِ بحالِهِ خطَؤُهُ فِى تسميتِهِ (**وأبو بكرٍ**) أحمدُ بن الحسين بن عليٍّ (**البَيهَقىُّ**) نسبة إلى ناحيةِ بَيْهق الحافظُ الأصولىُّ الفقيهُ الشافعىُّ صاحبُ التصانيفِ المُمْتعةِ المتوفَّى سنة ثمانٍ وخمسين وأربعِمائةٍ (**وخلائقُ لا يُحْصَوْنَ من المتقدِّمينَ والمتأخِّرينَ**) تعميمٌ بالذِّكْرِ لغيرِ المشهورين بعد أن خَصَّصَ المشهورين إلى زمانه به وقد صَنَّفَ كثيرونَ قبلَ الشيخِ رَحِمَهُ اللهُ وبعدَهُ أربعيناتٍ أُخْرَى ولم يَشتهرْ شَىْءٌ مِمَّا صُنِّفَ فِى ذلك كما اشْتَهَرَتِ الأربعون النوويةُ ولعلَّ هذا مِنَ الله تعالى معاملةٌ للنوويِّ بما يناسبُ ما شُهِرَ عنه من صدقِ النِّيَّةِ وخلوصِ الطَّوِيَّةِ واللهُ يفعل ما يشاء ⊙

قال رَحِمَهُ اللهُ (**وقدِ استخَرْتُ اللهَ تعالى**) أىْ طلبتُ الخيرَ منه (**فِى جَمْعِ أربعينَ حديثًا اقتداءً بهؤلاءِ الأئمةِ الأعلامِ**) أىِ المشهورين (**وحُفَّاظِ الإسلامِ**) فإنهم لا يجتمعون على سلوك طريقٍ باطلةٍ (**وقد اتَّفَقَ العلماءُ**) أىْ أكثرُهُمْ (**على جوازِ العملِ بالحديثِ الضعيفِ فِى فضائلِ الأعمالِ**) كذا قال الشيخُ هنا وعبارتُهُ فِى كتابِ الأذكارِ له أنهم اتَّفَقُوا على استحبابِ العملِ به اهـ وبين العبارتين فرقٌ كما لا يَخْفَى

وعبارةُ الأذكارِ تُعْطِى أنَّ العمل يُحكم له بالاستحباب اعتمادًا على الحديثِ الضعيفِ بشروطِهِ وسيأتِى زيادةُ بيانٍ لذلك ⊙ وقد شرطوا للعملِ بالحديثِ الضعيفِ شروطًا ثلاثةً أولُهَا أن يكونَ الحديثُ غير شديد الضعف فخرج مَنِ انفردَ مِنَ الكذابين والمُتَّهمين بالكذب ومَنْ فَحُشَ غَلَطُهُ وثانيها أنْ يكون مندرجًا تحت أصلٍ عامٍّ فَخَرَجَ ما يُرْوَى مِنَ الضَّعيفِ مِمَّا ليس له أصلٌ أصلًا وثالثُها أن لا يَعتقدَ عند العمل به ثُبُوتَهُ لِئَلَّا يَنْسُبَ إلى النبيِّ ﷺ ما لم يَثْبُتْ عنه وإنما قالوا يُعمَلُ به بالشروطِ المتقدمةِ لأنه إنْ كان صحيحًا فِى نفسِ الأمرِ فقد أُعْطِىَ حقَّهُ مِنَ العمل به وإلا لم يترتبْ على العمل به مفسدةٌ لاندراجِهِ تحتَ أصلٍ عامٍّ ومثالُهُ حديثُ نِعْمَ المُذَكِّرُ السُّبْحَةُ فإنَّ العملَ به حَسَنٌ مع ضعْفِهِ وفِى كتاب شيخِنا الهَرَرِيِّ رحمه الله المُسَمَّى التعقبَ الحثيثَ وكتابِهِ الآخَرِ المُسَمَّى نصرةَ التعقب الحثيث ما يَكفِى ويَشفِى فِى بيانِ حُسْنِ هذا الأمرِ ⊙

قال المصنِّفُ رحمه الله **(ومع هذا)** الجوازِ المذكورِ **(فليس اعتمادِى)** فِى جَمْعِ الأربعين **(على هذا الحديثِ)** المعمولِ به مِنْ قِبَلِ الأئمةِ مجرَّدًا عن ما يعضُدُهُ **(بل)** أيضًا **(على قوله ﷺ فِى الأحاديثِ الصحيحةِ لِيُبَلِّغِ الشاهدُ منكُمُ الغائبَ)** اهـ أخرجَهُ البخاريُّ ومسلمٌ وفيه تحريضٌ على التعلُّم والتعليم إذ لولاهما لسادَ الجهلُ وانقطع العملُ **(وقولِه ﷺ نَضَّرَ اللهُ)** أىْ حَسَّنَ وجمَّلَ وبَهَّجَ **(امْرَءًا سمِعَ)** أىْ مِنِّى أو مِمَّنْ نقل عَنِّى **(مَقالَتِى فوَعاها)** أىْ فحفظَها بقلبه وداوم على تَفَقُّدِها **(فأدَّاها)** أىْ بلَّغها **(كما سمعَها)** اهـ أى مِنْ غير تحريفِها وتغييرِها أخرجه أبو داودَ والترمذىُّ وقال حسنٌ صحيحٌ وفِى بعضِ الروايات فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سامع اهـ وفِى بعضها فَرُبَّ حاملِ فقهٍ غيرُ فقيهٍ ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى مَنْ هو أَفقهُ مِنْهُ اهـ

(**ثم مِنَ العلماءِ مَنْ جَمَعَ الأربعينَ فِى أصولِ الدِّينِ**) أىْ فِى توحيد الله والنُّبُوَّات والنَّشر والحَشر والملائكة والكتب المُنزلة (**وبعضُهُمْ**) جمعَها (**فِى الفُرُوعِ**) أىْ فِى الأحكام الشرعيَّة المتعلِّقَة بالأعمال (**وبعضُهُمْ فِى**) فضائل (**الجهادِ**) أىِ القتالِ المشروعِ للكفارِ (**وبعضُهُمْ فِى الزُّهْدِ**) أىْ قِلَّةِ الرغبةِ فِى الدُّنيا دارِ الأكدارِ وتركِ فضولِهَا والإعراضِ عما يشغَل عنِ الآخرةِ (**وبعضُهُمْ فِى الآدابِ**) جمع أدبٍ وهو حُسْنُ الأحوالِ والأخلاق والتَّحَلِّى بالخصال الحَميدة ويدخل تحتها ما جمعوه فِى التصوف وفِى أحوالِ عبادِ الله الصالحين (**وبعضُهُمْ فِى الخُطَبِ**) جمع خطبةٍ وهِىَ الكلمةُ تُلْقَى فِى الجَمْعِ وبعضُهُم فِى التبرُّك وبعضُهم فِى المسلسلات وبعضُهُم فِى التراجم (**وكلُّها مقاصدُ صالحةٌ**) أىْ أغراضٌ حسنةٌ (**رَضِىَ اللهُ عن قاصدِيها وقد رأيتُ جَمْعَ أربعينَ**) أىْ توصَّلتُ بنظرِى وتفكيرِى إلى السَّعْىِ إلى جمعِ أربعينَ حديثًا (**أهمَّ من هذا كُلِّهِ وهىَ أربعون حديثًا مشتملةٌ على جميعِ ذلك**) أىْ تُحيطُ وتجمع كلَّ ذلك (**وكلُّ حديثٍ منها**) أىْ مِنَ الأربعينَ (**قاعدةٌ عظيمةٌ من قواعدِ الدِّينِ**) أىْ أصلٌ عظيمٌ يُبْنَى عليه كثيرٌ من مسائلِ المجتهدين (**قَدْ وَصَفَهُ العلماءُ أنَّ مدارَ الإسلامِ عَلَيْهِ**) أىْ أنَّ غالبَ أحكامِه تُبْنَى عليه لاستنباطِها منه مباشرة أو بواسطة مقدمات منضمة إليه كحديثِ إنَّ الحلالَ بَيِّنٌ وحديثِ الدينُ النصيحةُ (**أو**) قالوا فيه (**هو نصفُ الإسلامِ أو ثُلُثُه**) بضمّ اللَّامِ ويجوز تسكينُها كحديثِ إنما الأعمالُ بالنياتِ (**ونحوُ ذلك**) أىْ فَقِيل فِى كلِّ واحدٍ منها نصفٌ أو ثلثٌ أو ربعٌ أو خمسٌ وكان الحافظُ الفقيهُ الشافعىُّ أبو عمرو بنُ الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ قد أملَى مجلسًا ذَكَرَ فيه سبعةً وعشرينَ حديثًا مِن هذا النَّحْوِ فكان هو الأصلَ الذِى بَنَى عليه النووىُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كتابَهُ فإنَّه زادَ عليها فِى كتابِ الأذكارِ ثلاثةً فبلغت ثلاثينَ

ثم زاد عليها هنا اثْنَىْ عَشَرَ حديثًا وذَكَرَ تحت عنوانِ السابعِ والعشرين حَدِيثَيْنِ اعتبرَهُما كأنهما حديثٌ واحدٌ لاجتماعِهما على مَعْنًى واحدٍ ⊙ قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ **(ثم ألتزمُ فِى هذه الأربعينَ)** التِى أجمعُها **(أنْ تكونَ)** أسانيدُها **(صحيحةً)** أىْ ثابتةً غيرَ ضعيفةٍ فتتناول عبارتُه ما كان إسنادُهُ حسنًا **(ومعظمُها فِى صحيحَىِ البخاريِّ ومسلمٍ رحمَهُمَا الله تعالى)** جمعًا أو فردًا إذْ إنَّ مجموعَ ما فيهما معًا أو فِى أحدِهما تسعةٌ وعِشرونَ حديثًا والباقِى لغيرِهما **(وأذكرُها محذوفةَ الأسانيدِ ليسهُلَ حفظُها ويَعُمَّ الانتفاعُ بها)** أىْ لسهولةِ حفظِها **(إن شاء اللهُ تعالى ثم أُتبِعُها ببابٍ فِى ضَبْطِ خَفِيِّ ألفاظِها)** أىْ بيانِ معنى ما كان غريبًا منها **(وينبغِى لكلِّ راغبٍ فِى الآخرةِ)** أىْ مائلٍ لسلوكِ الطريقِ المُنْجِى فيها **(أنْ يَعرفَ هذه الأحاديثَ)** مبنًى ومعنًى **(لِمَا اشتملَتْ عليهِ مِنَ المُهِمَّاتِ)** فِى بيانِ العقائدِ الدينيَّةِ والقواعدِ الشرعيَّةِ **(واحْتَوَتْ عليهِ مِنَ التَّنبيهِ على جميعِ الطاعاتِ)** القلبيَّةِ والجسديَّةِ **(وذلك ظاهرٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ)** أىْ تأمَّلَ فيه وتَفَكَّرَ **(وعلى اللهِ)** لا على سواه **(اعتمادِى)** فِى كلِّ أُمُورِى **(وإليه)** لا إلى غيرِه **(تفويضِى)** أىْ انقيادِى واستسلامِى **(واستنادِى)** أىِ التجائِى واعتصامِى **(ولهُ الحمدُ)** أىْ هو مستحقُّهُ **(والنِّعمةُ)** أىِ العَطِيةُ فلا نعمةَ فِى الحقيقةِ إلا منه وليستْ مِن غَيْرِهِ إلا صورةً كما قال تعالى ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ **(وبِهِ التوفيقُ)** أىْ هو الذِى يخلُقُ قدرةَ الطاعةِ فِى العبدِ **(والعِصمةُ)** أىِ هو يمنعُهُ ويحفظُهُ منَ الشذوذ والعصيان ونقلَ ابنُ فُورَكَ عنِ الإمامِ أبِى الحسنِ الأشعرىِّ أنَّ اللُّطْفَ قدرةُ الطاعةِ وأنَّ أنواعَ الألطافِ إذا توالَتْ وفَعَلَها اللهُ بالمُكَلَّفِ ولم تتخلَّلْها كبيرةٌ قِيل لِمَن فُعِلَ به ذلك إنه معصومٌ مطلقًا وذلك كأحوالِ الأنبياءِ والمرسَلِين اهـ

(الحديثُ الأَوَّلُ)

هو حديثٌ صحيحٌ متفقٌ على صحتِهِ وعظيمِ موضعِهِ وجَلالَتِهِ وكثرةِ فوائدِهِ قال الإمامُ الشافعيُّ والإمامُ أحمدُ رحمهما الله تعالى يدخلُ فيه ثلثُ العِلْمِ اهـ واستحبَّ العلماءُ أن تُسْتَفْتَحَ المُصَنَّفَاتُ به ⊙

(**عنْ أميرِ المؤمنينَ**) لقبٌ أُطلِق على الخلفاءِ وأولُ منِ استُعمِلَ فِيه منهم سيدُنا عُمَرُ عليه رضوانُ الله تعالى (**أبِى حَفْصٍ عمرَ بن الخطّاب رَضِىَ اللهُ عنهُ**) القُرَشيِّ العَدَوِيِّ وكنيتُهُ هذه أىْ أَبو حفصٍ كَنَاهُ بها رسولُ الله ﷺ كما رواه الحاكمُ فِى المستدرَكِ وقال صحيحٌ على شرطِ مسلم ولم يُخرجاه اهـ والحَفْصُ الشِّبْلُ وهو وَلَدُ الأسدِ تُوُفِّىَ رضِىَ اللهُ عنه شهيدًا فِى المدينة المنورة سنةَ أربعٍ وعشرين عن ثلاثٍ وستينَ سنةً (**قال سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ إنَّمَا**) هِىَ لفظةٌ تقتضِى تأكيدَ الحُكمِ الواقعِ بعدها وحيثُ وردَتْ فاعتبرْها فإنْ دلَّ السياقُ والمقصودُ منَ الكلامِ على الحصرِ فِى شَىْءٍ مخصوصٍ فقُلْ به وإلا فاحْمِلِ الحصرَ على الإطلاقِ (**الأعمالُ**) أىِ الشرعيَّةُ (**بالنِّيَّاتِ**) الباءُ للسببِيَّةِ والتقديرُ وجودُ الأعمالِ شرعًا مستقرٌّ أو ثابتٌ بسببِها ⊙ والأعمالُ جمعُ عملٍ مُحَلًّى بألْ فيستغرقُ كلَّ عملٍ سواءٌ كان عبادةً أم معاملةً لأنَّ صحةَ المعاملات مشروطةٌ بالتراضِى ولكن لِكَوْنِ الوقوفِ عليه عَسِرًا أُنِيطَ الحكمُ بالإيجاب والقبول والعملُ أخصُّ منَ الفعلِ وهو كلُّ ما صدرَ بالجارحةِ مِنَ الإنسانِ وسائر الحيوانِ بقصدٍ فلا يتناولُ توجُّهَ القلبِ ⊙ والنيَّةُ لغةً القَصْدُ وهُنَا تَوَجُّهُ القلبِ نحوَ الفِعْلِ ابتغاءً لِوَجْهِ اللهِ وامتثالًا لأمْرِهِ وتقديرُ الحديثِ إنما اعتبارُ الأعمالِ بالنياتِ فكلُّ عملٍ شرعيٍّ إنما يكون

مُعْتَبَرًا بالنيةِ وما خَلَا عنها فلا يُعْتَدُّ به قال النوويُّ فِى شرحِ مسلمٍ فتقديرُ هذا الحديثِ أنَّ الأعمالَ تُحسبُ بنيَّةٍ ولا تُحْسَبُ إذا كانت بغيرِ نيةٍ وفيه دليلٌ على أنَّ الطهارةَ وهِىَ الوضوءُ والغُسلُ والتيمُّمُ لا تصحُّ إلا بالنيَّةِ وكذلك الصلاةُ والزكاة والصوم والحج والاعتكاف وسائر العبادات وأما إزالةُ النجاسةِ فالمشهورُ عندنا أنها لا تَفتقر إلى نِيَّةٍ لأنها مِن باب التُّرُوك والتَّرْكُ لا يحتاجُ إلى نِيَّةٍ وقد نقلُوا الإجماعَ فِى عدمِ احتياجِها إلى نيَّةٍ ⊙ **(وإنّما لكُلِّ امرئٍ ما نَوَى)** يُفيد معنًى خاصًّا غيرَ الأول وهو أنَّ تعيينَ المَنْوِيِّ شرطٌ فلو كان على إنسانٍ صلاةٌ مقضيَّةٌ لا يَكفيه أن يَنوِىَ الصلاةَ الفائتةَ بل يُشترَطُ أن يَنوِىَ كونَها ظهرًا أو عصرًا أو غيرَهما ولولا اللفظُ الثانِى لاقتضَى الأولُ صحةَ النيَّةِ بلا تعيينٍ أو أوهمَ ذلك ⊙ وهو يفيدُ أيضًا التعميمَ الذِى يدُلُّ عليه لفظُ ما فحاصلُ المَرْءِ كلُّ ما نواه سواءٌ كان محمودًا أم لا إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرٌّ فيُعْلَمُ منه أنه يُمْكِنُ أنْ تُجعلَ العاداتُ عباداتٍ كالمَآكِلِ والمشارِبِ والمَناكح إذا نَوَى بها التَّقَوِّىَ على الطاعة وكالتَّطَيُّبِ إذا نوَى إقامةَ السُّنَّةِ ودَفْعَ الرائحةِ الكريهةِ عنْ عبادِ اللهِ لا استيفاءَ اللَّذَّاتِ أوِ التَّوَدُّدَ إلى النِّسْوانِ وأنَّ مَنْ أَتَى بلفظٍ يَحتملُ الطلاقَ أو اليمينَ الغَمُوسَ فأتَى بذلك ووَرَّى أىْ توريةً قريبةً لا يُحْكَمُ بطلاقِهِ وحِنْثِهِ وكذلك إنْ حلَفَ وأوَّلَ إلَّا أن يكونَ المستحلِفُ القاضِىَ فإنَّ اليمينَ على نيتِهِ وأنَّ مَن صلَّى وصام وزكَّى إن قَصد بذلك محمدةَ الناسِ لم يتحصَّلْ مِن هذه الأعمالِ إلا على الوِزرِ تبعًا لنِيَّتِه ⊙ **(فَمَنْ كانتْ هجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ)** نيةً وقصدًا **(فهِجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ)** حكمًا وشرعًا أىْ وقعَتْ هجرتُهُ واحتُسِبَتْ على حسب نيَّتِهِ ⊙ وذَكَرَ اللهَ تعالى فِى جملةِ الشرطِ توطئةً لِذِكْرِ الرسولِ ﷺ وتعظيمًا للهجرةِ إليه ⊙ وقد جاءتْ عبارةُ إلى اللهِ وما

شابَهَهَا للتعظيم فِى نصوصٍ عديدةٍ منها قولُهُ تعالى إخبارًا عن سَيِّدِنا إبراهيم أنه قال ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ أىْ إلى الأرض التِى باركها رَبِّى وقولُهُ تعالى إخبارًا عن سيدنا عيسى ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ أىْ إلى محلِّ كرامَتِى وغيرُ ذلك كثيرٌ ⊙ وقال ﷺ فهجرته إلى اللهِ ورسولِهِ بدل أن يقولَ فهجرتُهُ إليهما لأنَّ مَن أحبَّ شيئًا أَكْثَرَ مِن ذِكْرِهِ وتبركًا وتعظيمًا لَهُمَا بتكرار ذِكْرِهِمَا **(وَمَنْ كانتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا)** أى لأجلِ دُنيا **(يُصِيبُهَا)** أىْ يقصد إصابَتها **(أو)** للتنويع لا للشكِّ مِنْ باب عطف الخاصِّ على العامّ **(امرأةٍ ينكِحُها)** أىْ لأجل ذلك **(فهِجرتُه إلى ما هاجر إليه)** مِن دُنيا أو امرأةٍ وأتى عليه الصلاةُ والسلامُ بالضمير فِى إليه ولم يَذكر الدنيا والمرأةِ صريحًا للإعراضِ عن هذا القصدِ وعدم الاحتفالِ بأمرِهِ ولأنه أبلغُ فِى الزجرِ عَنْ قصدِهِمَا كأنه قَالَ فهجرتُهُ إلى ما هاجرَ إليه وهو حقيرٌ مَهينٌ لا يُجْدِى ⊙

وعُلِمَ مِمَّا تقدَّم أنَّ الطاعةَ فِى أصلِ صحتِهَا مرتبطةٌ بالنِّيَّةِ وأنه لا ثوابَ فِى عملٍ خَلَا عن النية بخلاف نيةٍ صحيحةٍ تجرَّدَتْ عن عملٍ كما سيظهرُ فِى بعضِ ما يَلِى مِنْ أحاديثَ وأما إذا قصدَ بالعمل الرِّياءَ أىْ طَلَبَ مَحْمَدَةِ الناسِ فقد انقلب إلى مَهْلَكَةٍ موجِبَةٍ للنار رَوَى الحاكمُ وصحَّحَهُ عن أبِى هريرةَ يرفعُهُ قال أولُ الناس يدخل النارَ يوم القيامة ثلاثةُ نفرٍ يُؤتَى بالرجلِ فيقولُ يا ربِّ عَلَّمْتَنِى الكتابَ فقرأْتُهُ ءَانَاءَ الليلِ والنهارِ رجاء ثوابِكَ فيقال كذبتَ إنما كنتَ تُصَلِّى ليُقال إنك قارئٌ مصلٍّ وقد قيل اذهبُوا به إلى النار ثم يُؤْتَى بآخَرَ فيقول ربِّ رزقتنِى مالًا فوصلتُ به الرَّحِمَ وتصدقتُ به على المساكينِ وحملتُ ابنَ السبيل رجاءَ ثوابِكَ وجنَّتِكَ فيقال كذبْتَ إنما كنتَ تتصدَّقُ وتَصِلُ لِيُقال إنه سَمْحٌ جوادٌ وقد قيلَ اذهبُوا به إلى النار ثم يُجاءُ بالثالثِ فيقول يا ربِّ خرجتُ فِى سبيلِكَ فقاتلتُ فيكَ حتى

قُتِلْتُ مُقْبِلًا غيرَ مُدْبِرٍ رجاءَ ثوابِكَ وجنَّتِكَ فَيُقَالُ كذبْتَ إنما كنتَ تُقَاتِلُ لِيُقَالَ إنك جَرِيءٌ شُـجَاعٌ وقد قيلَ اذهبوا به إلى النارِ اهـ وفِى طبقاتِ الشافعيةِ الكُبْرَى أنَّ عبدَ المَلِكِ بنَ إبراهيمَ الهَمَذَانِىَّ كان إذا أرادَ أنْ يُؤَدِّبَ وَلَدَهُ يأخذُ العَصَا بيدِهِ ويقولُ نويتُ أن أضربَ ولَدِى تأديبًا كما أَمَرَ اللهُ ثم يضربُهُ فرُبَّما هَرَبَ قبلَ أن يُتِمَّ النِّيَّةَ اهـ

والحديثُ (**رواهُ إِمَامَا المُحدِّثين أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ إسماعيلَ ابنِ إبراهيمَ بنِ المُغِيرةِ بنِ بَرْدِزْبَه**) الجُعْفِىُّ مولاهم ولاءَ الإسلامِ لا العتقِ (**البخارىُّ**) المُتَوَفَّى فِى خَرْتَنْكَ قرب سَمَرْقَنْدَ سنةَ ستٍّ وخمسين ومِائَتين عن اثنين وستين عامًا وقد رواه رحمه اللهُ فِى سبعةِ مواضعَ مِنْ كتابِه (و)رواه (**أبو الحسينِ مسلمُ بنُ الحَجَّاجِ بنِ مسلم القُشَيرىُّ**) نسبة إلى قُشَيْرِ بنِ كعبِ بنِ ربيعةَ (**النَّيسابورىُّ**) المتوفَّى سنةَ إحدى وستين ومِائَتين عن سبعٍ وخمسينَ سنةً (**رَضِىَ اللهُ عنهُما فِى صَحِيحَيْهما اللَّذَيْنِ هُمَا أصحُّ الكتبِ المُصَنَّفَةِ**) فِى الأحاديثِ المسندةِ المَرفوعة ولا يَخْفَى أنَّ ما اجتمعا على إخراجِه هو فِى أعلى درجاتِ الصِّحَّةِ كما نصَّ على ذلك علماءُ الحديث وقد أخرجه مالكٌ وأصحابُ السُّنَنِ الأربعةِ أيضًا وكثيرٌ غيرُهُمْ ⊙

والله أعلمُ ⊙

(الحديثُ الثَّانِى)

هو حديثٌ عظيمٌ ترجعُ علومُ الشريعةِ كلُّها إليه وتتشعبُ منه لِمَا تضمنه من جُمَلِ علومِ السنةِ فهو كالأمِّ للسُّنَّةِ كما سُمِّيَتِ الفاتحةُ أمَّ القرءانِ لِمَا تضمَّنَتْهُ مِنْ جُمَلِ معانِى القرءانِ ⊙

(**عن عمرَ رَضِىَ اللهُ عنهُ أيضًا**) أىْ عودةً للرواية عنه (**قالَ بينما**

نحنُ) أىْ بينَ أوقاتٍ نحن حاضرون فيها أىْ فِى أثنائها **(عندَ رسولِ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ)** والمقصودُ ساعةٌ مِنَ النَّهارِ **(إذْ طلعَ)** أىْ فاجَأَنا أنْ طَلَعَ **(علينا رجلٌ)** أىْ شخصٌ فِى صورةِ رجلٍ **(شديدُ بَياضِ الثيابِ)** وروايةُ النسائىِّ عن أبِى هريرةَ وأبِى ذَرٍّ كانَ رسولُ اللهِ يجلس بينَ ظَهْرَانَىْ أصحابِهِ فَيَجِىءُ الغريبُ فلا يَدرِى أيُّهُم هو حتَّى يَسأل فطلبْنَا إلى رسول الله ﷺ أن نجعلَ له مجلسًا يعرفُهُ الغريبُ إذا أتاه فَبَنَيْنَا له دُكَّانًا مِنْ طينٍ كان يجلسُ عليه وإنَّا لَجُلوسٌ ورسولُ اللهِ ﷺ فِى مجلسِهِ إذ أقبلَ رجلٌ أحسنُ الناسِ وجهًا وأطيبُ الناسِ ريحًا كأنَّ ثيابَهُ لم يَمَسَّها دنسٌ اهـ وفيه إشارةٌ إلى بعضِ شأنِ طالبِ العلم وإلى استحباب البياضِ والنظافةِ فِى الثيابِ ومِن هنا أحبَّ كثيرون أنْ يَلبس طالبُ العِلمِ البياضَ كما رَوَى مالكٌ فِى الموطإ عن عمر رَضِىَ اللهُ عنهُ قال إنِّى لأُحِبُّ أن أنظرَ إلى القارئِ أبيضَ الثيابِ اهـ وعليه كان شيخُنا الهَرَرِىُّ رحمه الله تعالى يُحبُّ لطالبِ العلم البياضَ **(شديدُ سوادِ الشَّعَرِ)** إشارةً إلى أنَّ الشبابَ أوانُ الجِدِّ فِى طَلَبِ العلم **(لا يُرَى عليه أَثَرُ السَّفرِ)** أىْ لا يظهرُ عليه أَثَرُ ذلك **(ولا يعرفُه مِنَّا أحدٌ)** فأمرُهُ مُعجِبٌ[1] إذْ لو كان بشرًا مِن أهلِ المدينة لعرفناه أو غريبًا لكان أثرُ السَّفَرِ فِى سِيماهُ **(حَتَّى جَلَسَ إلى النبىِّ ﷺ)** وعند البيهقىِّ أنه جلسَ مُتَوَرِّكًا كجلسة الصلاة **(فأسندَ ركبتَيه إلى ركبتَيه ووضع كفَّيْهِ على فخِذَيْهِ)** أى فَخِذَىِ النَّبِىِّ ﷺ وعند النَّسَائىِّ حتى سلَّم فِى طرفِ البساطِ وفِى نُسَخٍ فِى طرفِ السِّماط أىِ الصفِّ مِنَ الناس فقال السلامُ عليك يا محمدُ فردَّ عليه السلامَ قال أَدْنُو يا محمدُ قال ادْنُهْ فما زال يقول أدنُو مرارًا ويقول له ادْنُ حتى وضع

---

(١) قوله (معجب) أىْ يُتَعَجَّبُ منه. الفقير.

يده على رُكْبَتَىْ رسولِ اللهِ ﷺ اهـ وعند غيرِهِ حتَّى وضع يديه على فَخِذَىِ النبيِّ ﷺ اهـ وهذه الهَيْئَةُ أقربُ إلى التواضعِ وأنسبُ إلى كمالِ الأدبِ وأبلغُ فِى الإصغاءِ وحضورِ القلبِ والصفاءِ والاستئناسِ وفيها تنبيهٌ على ما يَنبغِى للسائل مِنْ قوةِ النَّفْسِ عند السؤالِ وعدمِ المُبالاةِ بما يقطعُ عليه خاطِرَهُ وإن كان المسؤولُ مِمَّن يحترمُهُ ويهابُهُ **(وقالَ يا محمدُ)** ناداه باسْمِهِ لِيُظْهِرَ بذلك أنَّ له حالًا خاصَّةً مِنَ النَّبِىِّ ﷺ فإنَّ مَنْ كان على مثلِ هذا الأدبِ والتواضعِ لا يُوَاجِهُ رسولَ اللهِ ﷺ باسمِهِ ما لم يكنْ له منه عليه الصلاةُ والسلامُ حالٌ خاصَّةٌ ولم يُنْكِرْ عليه النَّبِىُّ ﷺ ذلك قال **(أخْبِرْنِى عنِ الإسلامِ)** وهو لغةً الانقيادُ والاستسلامُ ولذا أجابَ عليه الصلاةُ والسلامُ بأهمّ الأحكامِ التى يجب الانقيادُ لَهَا **(فقال رسولُ اللهِ ﷺ الإسلامُ أنْ تشهدَ أن لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ الله)** أىْ أن تقول ذلك أو ما يُعْطِى معناه معترِفًا معَ العلم والاعتقاد وأغربَ بعضُ الشافعيةِ فقال لو أسقطَ كلمةَ أشهدُ معَ القُدرة عليها لم يكفِ وهذا مع مخالفتِهِ لِمَا عليه الجمهورُ مخالفٌ للأحاديثِ الثابتةِ كحديث مَنْ قال لا إله إلا الله دخل الجنَّةَ اهـ رواهُ الترمذىُّ وابنُ حبانَ وابنُ خُزيمةَ ⊙ وذُكِرَتِ الشهادةُ الأولى فقط فِى بعضِ ما رُوِىَ بهذا الشأنِ مِن بابِ الاكتفاءِ والمُرادُ ضمُّ الإقرار بنبوةِ سيدنا محمد ﷺ إلى شهادةِ التوحيدِ فإنه صار معلومًا فِى عُرْفِ الشرع أنَّ طلبَ الإتيانِ بلا إله إلا الله فِى مثل هذا السياق يُراد منه الشهادةُ الأُخرى أيضًا لتلازُمِهما فِى اعتبارِ الشريعةِ **(وتقيمَ الصلاةَ)** أى تُداومَ على فِعْلِها محافظًا على شرائطها ومراعيًا أركانَها ⊙ ولا ريبَ أنه وإن كان حكمُ الإسلامِ يثبتُ بمجرد الشهادتين إلا أنَّ الانقيادَ لهُما ولتوابعهما المذكورةِ التِى هِىَ أظهرُ شعائرِهِ وأهمُّ أمورِهِ أكملُ وبالإتيانِ بها يتمُّ الاستسلامُ ويكمُلُ ⊙

(وتُؤْتِيَ الزكاة) أيْ تُعْطيَها فِي مصارفِها **(وتصومَ رمضانَ)** أيْ شهرَهُ **(وتَحُجَّ البيتَ)** أيْ تقصدَ الكعبةَ لأداءِ الأفعالِ المعلومةِ **(إنِ استطعتَ إليه سبيلًا)** أيْ طريقًا وفُسِّرَتِ الاستطاعةُ فِي حديث الحاكم وصحَّحَهُ بالزاد والراحلةِ ⊙ ثم إنَّ الاستطاعةَ تُطلَقُ على سلامةِ الآلاتِ والأسبابِ فتتقدم على الفِعْلِ وتُطْلَقُ على صفةٍ يتَّصِفُ بها المخلوقُ توجدُ مَع الفِعْلِ وبها يَفعلُ الأفعالَ الاختياريةَ والمُرادُ هنا المعنى الأولُ ⊙ ووُرُودُ الأفعالِ مِن تُقيمَ وتُؤْتِيَ وتصومَ وتحجَّ على صيغة المضارع يُفِيدُ الاستمرارَ المُنَاسبَ لكلٍّ منها فَفِي التوحيدِ الاستمرار الدائم مدةَ الحياةِ إلى المَمَاتِ وفِي الصلاة دونَهُ أيْ خمسَ مراتٍ فِي كلِّ يوم وليلة ثم فِي الصوم والزكاة دونَها ثم فِي الحج دونَهُما وقَدَّمَ الأهمَّ وأخَّرَ ما وجب فِي العُمُرِ مرةً **(قال)** أيِ السائلُ **(صدقْتَ فعجِبْنا له يسألُهُ ويصَدِّقُهُ)** أيْ أصابَنا العَجَبُ من تصرُّفِهِ الناشِئُ عن جهلِنا بحالِهِ وبسببِ أقوالِهِ فإنَّ سؤالَهُ يقتضِى عدمَ علمِهِ وتصديقَهُ يقتضِى خلافَ ذلك **(قال فَأَخْبِرْنِى عنِ الإيمانِ)** أيْ أعظم أمورِهِ وهو لغةً التصديقُ وإنْ شئتَ قلتَ إذعانُ النفسِ وطمأنينتُها بالشَىْءِ الذِى عَرَفَتْهُ وقد يُطلَقُ شرعًا على الإسلامِ وبالعكسِ والمَسْؤُولُ عنه هُنا والمذكورُ حدُّه فِى الجواب هو الإيمانُ الشَّرْعِيُّ الذِى يزيدُ بزيادةِ اليقينِ والتفكُّرِ بآياتِ اللهِ والبُعْدِ عن الغفلةِ والازديادِ مِنَ الطَّاعاتِ والقُرُباتِ وينقُصُ بصرفِ الجهدِ والوقتِ والمَالِ فِى المَعَاصِى والشرورِ والآثام **(قال)** ﷺ فِى بيانِهِ **(أنْ تُؤْمِنَ)** أى تُصَدِّقَ جازمًا **(باللهِ)** بِعَقْدِ القلبِ بلا تردُّدٍ أنه ذاتٌ لا يُشْبِهُ الذواتِ مُتَّصِفٌ بصفاتِ الكمالِ اللائقةِ بِهِ التِى لا تُشْبِهُ الصِّفَاتِ وقد أجمعوا على وجوبِ معرفةِ ثلاثَ عشرةَ صفةً للهِ تعالى منها صفةٌ نفسيَّةٌ هِيَ الوجودُ وثمانِ صفاتِ معانٍ زائدةٌ على الذاتِ متحققةٌ يَصِحُّ أن تُرَى فيراها العبدُ لو

رُفِعَ عنه الحجابُ ليستْ عينَ الذاتِ أى مِنْ حيثُ المفهومُ وليستْ غيرَ الذاتِ أىْ ليستْ غيرًا مُنْفَكًّا عنِ الذاتِ بحيثُ يَصِحُّ وجودُها من غيرِ وجودِ الذاتِ هِىَ الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والبقاء جمعها بعضُهُمْ فِى قولِهِ

حـيـاةٌ وعـلـمٌ قـدرةٌ وإرادةٌ كلامٌ وإِبْصَارٌ وسمعٌ مَعَ البَقَا

وأربعٌ سلبيَّةٌ تُفيدُ سَلْبَ أىْ نَفْىَ ما لا يَلِيقُ باللهِ عنه هِىَ القِدَمُ والوحدانيةُ والقيامُ بالنفس والمخالفةُ للحوادث اهـ

قال ﷺ **(وملائكتِهِ)** والملائكةُ جمعُ مَلَكٍ وهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أجسامُهُمْ نورانيةٌ لطيفةٌ لا يَأكلون ولا يَشربون ولا يَنامون وليسوا ذكورًا ولا إناثًا ذَوُو قدرةٍ على التَّشَكُّلِ بِتَشَكُّلَاتٍ مختلفةٍ معصومون عَنِ المخالفة لا يعصُونَ اللهَ ما أمرَهُمْ ولهم وظائفُ مختلفةٌ منهم وسائطُ بين اللهِ تعالى وبين أنبيائه المبعوثين إلى الخليقة ومنهم مَنْ وُكِّلَ بالريحِ ومنهم مَن وُكِّلَ بالمطرِ ومنهم مَن وُكِّلَ بالزَّرع ومنهم مَن وُكِّلَ بالجبال ومنهم مَن وُكِّلَ بقبضِ الأرواحِ ومنهم مَن وُكِّلَ بالعذاب ومنهم مَن وُكِّلَ بِوِقايَتِنَا مِن أذَى الشياطين إلى غيرِ ذلك فلكلٍّ مقامٌ معلومٌ وقرارٌ مقسومٌ **(وكُتُبِهِ)** فالمقصودُ الإيمانُ بالكُتُبِ التِى أنزلها اللهُ على أنبيائِهِ مكتوبةً فِى لوحٍ أو على غير ذلك أىِ الاعتقادُ جزمًا بأنَّها وَحْىٌ مِنَ اللهِ تعالى فيها أمْرٌ ونهْىٌ ووعدٌ ووعيدٌ وأخبارٌ وروَى ابنُ حِبَّانَ وغيرُهُ أنَّ عددَها مِائَةُ كتابٍ وأربعةُ كُتُبٍ اهـ أُنْزِلَ منها خمسون على شِيثٍ وثلاثون على إدريسَ وعشرةٌ على إبراهيمَ وعشرةٌ على موسى قبل التوراةِ والتوراةُ عليه أيضًا والزَّبورُ على داودَ والإنجيلُ على عيسى والقرءانُ على محمدٍ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم اهـ وهِىَ كلُّها

عباراتٌ عن كلامِ اللهِ الذاتِيِّ أيِ القائمِ بذاتِهِ تعالى الأزلِيِّ القديمِ المُنَزَّهِ عن حرفٍ أو صوتٍ أو حدوثٍ وهذا معنَى قولِ أهلِ السُّنَّةِ القرءانُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ مكتوبٌ فِى مصاحِفِنا محفوظٌ فِى صُدُورِنَا مقروءٌ بألسنتِنَا غيرُ حالٍّ فيها ⊙ **(ورُسُلِهِ)** أىْ كلِّ الأنبياءِ الذين أرسلَهُمْ للدعوةِ إليه والتبليغِ عنه والنَّبِىُّ هو إنسانٌ ذَكَرٌ نزَلَ عليه الوَحْىُ وأُيِّدَ بالمعجزةِ وأُمِرَ بالدعوةِ إلى شريعةٍ مُنْزَلَةٍ فإنْ كانتْ شريعةً نزَلَتْ قَبْلَهُ كما دعَا داودُ وسليمانُ إلى اتباعِ شريعةِ سيدِنا موسى عليه وعليهمُ الصلاةُ والسلامُ فهو نبىٌّ غيرُ رسولٍ وإن أُمِرَ بشرعٍ فيه أحكامٌ لم تكُنْ فِى شرعِ الرسولِ الذِى كان قبلَهُ فهو نبىٌّ رسولٌ ⊙ ويجب اتصافُ كلِّ نَبِىٍّ بالإيمانِ والعِصْمَةِ والذكاءِ والتبليغِ والأمانةِ ويستحيلُ فِى حقِّهِ الكُفْرُ والكبائرُ وصغائرُ الخِسَّةِ والرذالةُ والسفاهةُ وما يُنَفِّرُ الناسَ مِن قَبُولِ الدعوة منه كالجُذام والبَرَص وخُروجِ الدُّودِ مِنْ جِلدِهِ وما شابهَها ويجوز فِى حَقِّهِ الأمراضُ غيرُ المُنَفِّرَةِ وسائرُ ما يَعْرِضُ للبشر مِمَّا لا يُنافِى عُلُوَّ منصبِهِ ⊙ وقُدِّمَ ذِكْرُ الملائكةِ على الأنبياءِ مراعاةً لترتيبِ الوجودِ والواقعِ لا لكونِهِمْ أفضلَ ⊙ **(واليومِ الآخِرِ)** سُمِّىَ كذلك لأنَّهُ ءاخِرُ أيَّام الدُّنيا ولا ليلَ بعدَهُ ولا نهارَ والمُرَادُ التصديقُ بيومِ القيامةِ وما اشْتَمَلَ عليه مِنَ الإعادةِ بعدَ الموتِ والنَّشْرِ والحشرِ والحساب والمِيزانِ والصراطِ والشفاعةِ ودخولِ الجنةِ أَوِ النارِ وباستمرارِ الزَّمَانِ أبدًا دائمًا لا انقطاعَ له مع بقاءِ الجنةِ وبقاءِ أهلِها مُنَعَّمِينَ فيها وبقاءِ النارِ وبقاءِ أهلِها مُعَذَّبينَ فيها ⊙ **(وتُؤْمِنَ بالقدَرِ خيرِه وشرِّه)** أعادَ فِعْلَ تُؤمن إمَّا لِبُعْدِ العهدِ أو لشرفِ قَدْرِ المذكورِ بعدَهُ وتعاظُمِ أمْرِهِ فإنَّ المذكورَ بعدَهُ هو الإيمانُ بالقدَرِ وهو مِنْ أعظمِ أركانِ الإيمانِ حتَّى قال الإمامُ أبو الحَسَنِ الأشعرىُّ رحمَهُ الله تعالى إنَّ مَنْ خالفَ فِى ذلك واقعٌ

فِى نوعٍ مِنَ الشِّرْكِ اهـ وقال الإمامُ أبو منصورٍ الماتريدِىُّ إنه ناقضٌ للتوحيدِ اهـ والخيرُ لغةً ما يَصلُحُ به حالُ الإنسانِ أو ما يَرْغَبُ فيه الكُلُّ والشرُّ بخلافِهِ وكلٌّ منهما مُطْلَقٌ لم يزَلْ مرغوبًا فيه أو عنه أو مُقَيَّدٌ بكَوْنِهِ بالنسبة إلى أحدٍ خيرًا وإلى الآخر شرًّا كالمالِ ثم كُلٌّ مِنَ الخَيْرِ والشَّرِّ أُخرويٌّ ودنيويٌّ ونفسانِيٌّ وجسمانِىٌّ ⊙ والمرادُ الإيمانُ بأنَّ الخَيْرَ والشرَّ يحصُلانِ بتقديرِ اللهِ الأزلِىِّ والتصديقُ جزمًا بما دلَّ عليه قولُهُ تعالى فِى سورةِ التَّكويرِ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ وقولُهُ تعالى فِى سورةِ القَمَرِ ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ وقولُهُ تعالى فِى سورةِ الصَّافَّاتِ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ وما أجمعَ عليهِ المسلمونَ ورُوِىَ عن أعلامِ السَّلَفِ والخَلَفِ مِنْ قولِهِمْ ما شاءَ اللهُ كانَ وما لم يَشَأْ لم يكنْ اهـ فالقدَرُ فِى الحديثِ معناه التقديرُ الذِى هو صفةٌ أزليةٌ أبديةٌ للهِ تعالى ومعناه جَعْلُ كلِّ شَىْءٍ على ما هو عليه والضميرُ فِى قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ خيرِهِ وقولِهِ شرِّهِ يرجعُ على القَدَرِ لكن بمعنَى المَقدورِ فإنَّهُ هو الذِى يُوصَفُ بأنَّ منه خيرًا ومنه شرًّا لا صفةُ الحَقِّ جَلَّ وعزَّ ⊙

قال القرطبِىُّ فِى المُفْهِمِ ومذهبُ السلفِ وأئمةِ الخَلَفِ أنَّ مَنْ صدَّقَ بهذه الأُمُورِ تصديقًا جازمًا لا ريْبَ فيه ولا تَرَدُّدَ كان مؤمنًا حقًّا سواءٌ كان ذلك عن براهينَ قاطعةٍ أو اعتقاداتٍ جازمةٍ اهـ

(قال) أىِ السائلُ **(صَدَقْتَ قالَ فَأَخْبِرْنِى عنِ الإحسانِ)** أىِ المَعْنَى الأخَصِّ مِن أفرادِ الإحسانِ **(قالَ أنْ تَعْبُدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ)** ولا يَخْفَى أنَّ العبدَ إذا قامَ بين يَدَىْ مَوْلاهُ معاينًا له لم يتركْ شيئًا مِمَّا قدر عليه مِنَ الخشوعِ وحُسْنِ السَّمْتِ **(فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنَّهُ يراكَ)** أىْ فلا تُغْفِلْ أَنَّهُ يَراكَ ⊙

قال الشيخُ مُحْيِى الدينِ فِى شرحِهِ لصحيحِ مسلمٍ أهمُّ ما يُذْكَرُ فِى هذا الحديثِ بيانُ الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ ووجوبُ الإيمانِ بإثباتِ قَدَرِ اللهِ تعالى اهـ هذا وقد اتفقَ أهلُ الحقِّ وهم الأشاعرةُ والحنفيةُ يَعْنِى الماتريديةَ على أنه لا عِبْرَةَ بإيمانٍ بلا إسلامٍ وعكسِهِ إذ لا يَنْفَكُّ أحدُهما عَنِ الآخر فِى الشريعة وإن كانا متغايِرَيْن فِى أصلِ اللغةِ فعُلِمَ أنه باختلالِ أحدِ الأمرينِ ينتفِى الإيمانُ فِى الدَّارَيْنِ وقد اجتهد الأئمة الأربعةُ وأتباعُهم مِن أهلِ العلم والفضل فِى رعايةِ المِلَّةِ الحنيفيةِ ومِنْ ثَمَّ كَفَّروا اتفاقًا فِى ما تقطعُ النصوصُ الثابتةُ بالدلالةِ عليهِ واختلفُوا فِى ما للنَّظَرِ فيه مجالٌ فذهبَ كلٌّ إلى ما أداه إليه نظرُهُ وهم جميعًا لم يختلفُوا فِى أصولِ العقائِدِ ولا فِى أُمَّهاتِ المسائلِ ولا قَصَّرُوا فِى الذَّبِّ عَنِ الشريعةِ ولا تَوَانَوْا فِى الحكمِ بالتكفيرِ عَلَى مَنْ استخَفَّ بها أو جَحَدَ حُكْمًا من أحكامِها أىْ ردَّه بعدَ العِلْمِ بكونِهِ مِنَ الشَّرْعِ ⊙ ومِمَّا أجمعوا عليه ما نقله ابنُ جُزَيٍّ فِى القوانين الفقهية قال لا خلاف فِى تكفيرِ مَنْ نَفَى الرُّبوبيةَ أو الوَحدانيةَ أو عَبَدَ مع اللهِ غيرَهُ أو كان على دينِ اليهودِ أو النَّصارَى أو المجوسِ أو الصابِئين أو قال بالحلولِ أو التناسخِ أو اعتقدَ أنّ الله غيرُ حيٍّ أو غيرُ عليمٍ أو نَفَى عنه صفةً مِنْ صفاتِهِ أىْ مِنَ الصفاتِ الثلاثَ عشرةَ التِى أجمعَ العلماءُ على وجوب معرفتِها أو قال صَنَعَ العالَمَ غيرُهُ أو قال هو متولِّدٌ من شَىْء أو ادَّعَى مجالسةَ اللهِ حقيقةً أو قال بقِدَمِ العالمِ أو شكَّ فِى ذلك كُلِّهِ أو قال بنبوَّةِ أحدٍ بعدَ سيدِنا محمدٍ ﷺ أو جَوَّزَ الكذبَ على الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام أو قال بتخصيصِ الرسالةِ بالعربِ أوِ ادَّعَى أىُّ شخصٍ بعد نبِىّ اللهِ ﷺ أنه يُوحَى إليه أو يَدْخُلُ الجنةَ فِى الدنيا حقيقةً أو كفَّرَ جميعَ الصحابة أو جَحَدَ شيئًا مِمَّا يُعْلَمُ من الدِّين ضرورة أو سَعَى إلى الكنائس بِزِىّ النصارى أىْ

لابِسًا زِيَّهم الخاصَّ بهم أو قالَ بسقوطِ العبادةِ عن بعضِ الأولياءِ أو جحدَ حرفًا فأكثرَ مِنَ القُرْءَانِ أىْ أنكر كونَه مِنَ القرءانِ بعد معرفتِهِ بأنه منه أو زاده أىْ عنادًا أىْ مع معرفته أنه ليس منه أو غيَّرَهُ أىْ عنادًا أو قال القرءانُ ليس بمُعْجِزٍ أو قال الثوابُ والعقابُ معنويان أو قال الأئمةُ أفضلُ مِنَ الأنبياءِ اهـ

(قالَ) أىِ السَّائلُ **(فأخبرْنِى عنِ السَّاعةِ)** أىْ عَن قيامِ السَّاعةِ كما صَرَّحَ به فِى روايةِ مسلمٍ أىْ عَنْ وقتِ وقوعِ أولِ القيامةِ وليس المُرادُ بها الساعةَ الفلكيةَ التِى هِىَ جزءٌ مِنَ اثْنَىْ عشرَ جُزْءًا من النهار أو مِنَ الليلِ ولا الساعةَ المُصْطَلَحَ عليها عند أهلِ الهَيئةِ وهِىَ جُزْءٌ مِن أربعٍ وعشرينَ جُزْءًا متساويًا مِنَ اليومِ والليلةِ **(قالَ مَا المَسْؤولُ عَنْهَا)** أىْ عن وقْتِها **(بأعلمَ)** بذلكَ **(مِنَ السَّائِلِ)** فنَفَى ﷺ أنْ يكونَ عالِمًا بما يُسْأَلُ عنه لأنه مِن مفاتِحِ الغيب أىْ خَزَائنِ الغيبِ أىْ مواضع تَفتح عن المُغَيَّبات لا يعلمُها إلا اللهُ ولَمْ يقلْ لَسْتُ أعلمَ بوقتِها منكَ بل عدَل إلى لفظِ المسئُولِ والسائلِ ليفيدَ العمومَ وأنَّ كل سائل ومسئُول مِنَ الخَلْقِ متساويان فِى عَدَمِ العِلْم بهذا الأمر ⊙ ولا يَخفى أنَّ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يعلَمُ أنَّ النبىَّ ﷺ لم يُطْلِعْهُ اللهُ تعالى على وقتِ قيامِ الساعةِ ولكنه سألَ لتنبيهِ الصحابةِ بطريقِ السُّؤَالِ والجوابِ إلى أنَّهُ ليس للمَرْءِ أنْ يُجِيبَ بغيرِ عِلم وإلى عدم الاستنكافِ مِنْ قولِ لا أَدْرِى وإلى زيادةِ تأكيدِ كونِ هذا الأمرِ مُغَيَّبًا عنِ الخَلْقِ فإذا كان رسولُ الله ﷺ لا اطِّلاعَ له عليه فغيرُهُ أَوْلَى وفِى البخارىّ مفَاتِيحُ الغيبِ خمسٌ لا يعلمهُنَّ إلا اللهُ وتلَا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآيةَ اهـ وما ذكَرَهُ بعضُ أهلِ الهندِ المتأخّرينَ مِنْ أنَّ النبىَّ ﷺ لم يَمُتْ حتَّى أعلمَهُ اللهُ بذلك ليس له سندٌ مِنْ ءايةٍ قرءانيةٍ أو حديثٍ ثابتٍ بل هو خَرْقٌ للإجماعِ وتكذيبٌ لِمَا عُلِمَ من الدِّينِ بالضرورة

قال العراقِىُّ فِى طرحِ التثريب بعد أن نقلَ عنِ ابنِ عباسٍ أنَّ هَذِهِ الخمسَةَ لا يَعْلَمُهَا ملَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِىٌّ مُرْسَلٌ قالَ فمَنْ ادَّعَى أنَّهُ يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ هذِهِ فَقَدْ كفرَ بالقُرْءَانِ اهـ **(قال)** أىِ السائلُ **(فأخبرْنِى عَنْ أمارَتِها)** وهِىَ العلامةُ والمرادُ جنسُها أىْ علاماتُها الدَّالَّةُ على اقترابِهَا **(قالَ أنْ تلِدَ الأَمَةُ ربَّتَها)** أىْ نفسًا هىَ رَبَّتُها فالتأنيثُ باعتبارِ النَّفْسِ فيشملُ البنتَ والابنَ وفِى روايةٍ ربَّها والتذكيرُ فيها باعتبارِ الشخصِ فيشملُ جنسَ ولدِها وكذا فِى روايةٍ بعلَها أىْ سيدَها قيلَ هو عبارةٌ عنِ العُقوقِ وإضاعةِ حقوقِ الوالدِ وهو متلائمٌ مع ما يُذْكَرُ بعدَهُ مِن انقلابِ أحوال الناس وقيلَ غيرُ ذلك **(وأن تَرَى)** أىْ تُبْصِرَ أو تعلمَ أنَّ **(الحُفاةَ)** جمعَ حافٍ وهو مَنْ لا نَعْلَ فِى رجليه **(العُراةَ)** جمعَ عارٍ وهو عُرْفًا مَن لا يَسْتُرُ إلا العورةَ **(العَالَةَ)** أىِ الفُقَرَاءَ جمع عائلٍ **(رِعاءَ الشَّاءِ)** رِعَاءٌ جمعُ راعٍ والشاءُ اسمُ جنسٍ للشاةِ والمَعْنَى حُفَّاظ الغنَم **(يَتَطَاوَلُونَ)** أىْ يتفاضلون ويتنافسون **(فِى)** رفعِ **(البُنْيَانِ)** وهو مشاهَدٌ فِى أيامِنا فِى جزيرةِ العربِ لا يَكَادُ يَخْفَى على أحدٍ فإنَّ كثيرًا مِنْ أهلِهَا كانوا أهلَ رعايةٍ وفاقةٍ فصارُوا أهلَ ثَرَواتٍ طائلةٍ بعد استخراجِ النِّفْطِ مِنْ أراضيها فإذا بَنَى بانٍ منهم فِى بَلَدِهِ بناءً عاليًا بادرَ ءَاخَرُ فِى بلدِهِ أو فِى بلدٍ ثانٍ إلى منافستِهِ وبناءِ ما يفوقُهُ ارتفاعًا حتى زاد ارتفاعُ البِنَاءِ على ألفَىْ ذِراعٍ بلا ضرورةٍ ولا حاجةٍ إلا التَّنَافُسَ على الدنيا الدَّنِيَّةِ ⊙ وفِى الحديثِ كراهةُ ما لا تدعُو الحاجةُ إليه مِنْ تطويلِ البناءِ وتشييدِهِ ⊙

ومضمونُ ما ذُكِرَ مِنْ أشراطِ الساعةِ فِى هذا الحديثِ يرجعُ إلى أنَّ الأمورَ تُوَسَّدُ إلى غيرِ أهلِهَا كما قال النَّبِىُّ ﷺ لِمَنْ سألَهُ عنِ الساعةِ إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أَهْلِهِ فانتظرِ الساعةَ فإنه إذا صارَ الحفاةُ العُراةُ رعاءُ الشاءِ أهلُ البداوةِ وهم غالبًا أهلُ جهلٍ وجفاءٍ رؤساءَ الناسِ

وأصحابَ الثروةِ والأموالِ حتى يتطاولُوا فِى البنيانِ فإنَّهُ يفسُدُ بذلك نظامُ الدِّينِ والدنيا اهـ قلتُ وءَاثَارُ هذا الفسادِ مُشَاهَدةٌ فِى أيامِنا لا تَخْفَى على ذِى عينينِ اهـ

(ثُمَّ انْطَلَقَ) أىْ ذهبَ السائلُ قال عمرُ رَضِىَ اللهُ عنهُ **(فلبِثْتُ)** أىْ مكثْتُ وتوقفْتُ لا أدرِى مَنِ الرجلُ **(مَلِيًّا)** أىْ وقتًا طويلًا وهو ثلاثةُ أيامٍ كما فِى روايةِ أبِى داودَ والترمذىِّ وهذا بالنسبةِ لعُمَرَ وأمَّا بالنسبةِ لأبِى هُرَيْرَةَ الذِى روَى هذا الحديثَ أيضًا فكان إخبارُ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم له فِى المجلس فإنَّ أبا هريرةَ قال فأدْبَرَ الرجلُ فقال ﷺ رُدُّوهُ فأخذُوا لِيَرُدُّوه فلم يَرَوْا شيئًا فقال هذا جبريلُ الحديثَ اهـ فكأنَّ سيدَنا عمرَ شُغِلَ فقامَ منَ المجلس فأعادَ النَّبِىُّ ﷺ السؤالَ له بعد أيامٍ ثلاثةٍ ولِذَا عَبَّرَ بقوله **(ثُمَّ قالَ يا عمرُ أتدرِى مَنِ السَّائِلُ قلتُ اللهُ ورسولُهُ أعْلَمُ)** لأنَّ الأماراتِ السابقةَ والتَّعَجُّبَ فِى الحالة اللاحقة أوقعتْهُ فِى التَّرَدُّدِ بشأنِه ⊙ وفِى جوابِ عمرَ بيانُ أدبِ خطابِ التلميذِ مع أستاذِهِ إذا سأله عَنْ شَىْءٍ بأن يقولَ له أنت أعلمُ ليسمعَ بيانَها منه ⊙ **(قالَ)** أىْ رسولُ اللهِ ﷺ **(فإنَّهُ جبريلُ أتاكُمْ)** أىْ جاءَكُمْ **(يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)** وفِى روايةِ ابنِ حِبَّانَ يُعَلِّمُكُمْ أمرَ دينِكُمْ اهـ أىْ يُقَرِّرُ لكم أمْرَهُ أىْ قواعدَهُ أو كُلِّيَّاتِهِ بطريق السؤالِ والجوابِ ليتحصَّلَ لكم ذلك بعدَ الطلبِ ويكونَ أثبتَ فِى القلبِ مِنَ الْمُنْسَاقِ عفوًا بغيرِ تعبٍ ⊙ ويتلخَّصُ منه أنَّ كمالَ الدِّينِ هو باجتماعِ الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ ⊙

وقد قيل إنَّ مَجِىءَ جبريلَ هذا كان قبلَ وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ بشهرٍ ⊙

والحديثُ **(رواه مسلمٌ)** وغيرُهُ وأخرج الشيخان والترمذىُّ وغيرُهُم

عَنْ أَبِى هُريرةَ وأنسِ بنِ مالكٍ وابنِ عباس وغيرِهِم مِنَ الصحابةِ نحوَهُ ⊙

والله أعلم ⊙

(الحديثُ الثالثُ)

(عَنْ أَبِى عبدِ الرَّحمٰنَ عبدِ الله بنِ عمرَ بن الخطاب رَضِىَ اللهُ عنهُما) تُوُفِّىَ بمكةَ بعد ابنِ الزُّبير بثلاثةِ أشهرٍ سَلَّطَ عليه الحجاجُ مَنْ سَمَّهُ وهو ابنُ أربعٍ وثمانينَ سنةً وكان اعتزلَ قتالَ معاويةَ مع سيِّدِنا عليٍّ ثم ندِمَ على ذلك فقال ما ءَاسَى على شَىْءٍ كما ءَاسَى عَلَى أنِّى لم أُقاتلْ مع عَلِىٍّ الفئةَ الباغيةَ اهـ رواه الحاكمُ **(قال)** رَضِىَ اللهُ عنهُ **(سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ بُنِىَ الإسلامُ)** أىْ دينُ الإسلامِ **(على خمسٍ)** أىْ خمسِ دعائمَ كما هو مُصَرَّحٌ به فِى روايةِ عبد الرزاق وفِى رواية مسلم خمسةٍ بالتاء أىْ خمسةِ أركانٍ أو أشياءَ أو أصولٍ أو نحوِ ذلك والمُرَادُ أَنَّ الدِّينَ يقوم بهذه الخمسة ⊙ ويُقَرِّبُ فَهْمَهُ أَنْ يُمَثَّلَ الدينُ بِخِباء قائمٍ على خمسةِ أعمدةٍ القطبُ مِن بينِها الذى ما دام قائمًا لا يَسقطُ الخباءُ هو الشهادةُ والأربعةُ الباقيةُ هِىَ الصلاةُ والزكاةُ والصيامُ والحجُّ ثُمَّ مهما غُرِسَتْ أوتادٌ قويةٌ متعددةٌ ورُبِطَ الخباءُ بها زادَ ثباتًا وقوةً وعَسُرَ على العَوَاصفِ اقتلاعُهُ وهذا مثالُ الأعمالِ الشرعيةِ الأخرى كُلَّمَا قويَتْ وكثُرَتْ قَوِىَ الإيمانُ فِى القلبِ وصَعبَ دخولُ النقصِ فِى دينِ صاحبِه **(شهادةِ)** بالجرِّ وهو الروايةُ **(أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُهُ)** وهو الأصلُ الذِى يُبْتَنَى عليه كلُّ عقائدِ وأعمالِ الدينِ الأُخرَى **(وإقامِ الصلاة)** أىْ أداءِ الصلواتِ الخمس على وجهِها معَ المداومةِ على ذلك ⊙ ومِنْ أدائِها على الوجهِ مراعاةُ شروطِها وأركانِها كما تقدَّم ومن ذلك إخراجُ

الحروف من مخارجها فِى أذكارِها الواجبةِ التِى لا بُدَّ منها وإهمالُ ذلك بَلِيَّةٌ عَمَّتْ فِى أيامنا لا سيما الصادُ والطاءُ والضادُ فإنَّ كثيرًا مِنَ الناس يُخرجون الصادَ بينها وبين السين لا هِىَ صادٌ خالصةٌ ولا هِىَ سِينٌ خالصةٌ ويُخرجون الطاءَ تاءً والضادَ دالًا أو ظاءً ولا تصِحُّ الصلاة مع ذلك ⊙ ولا بدَّ مِنْ إيقاعِ كلِّ صلاةٍ منها فِى وقتها المُحَدَّدِ لَهَا فِى الشرع ولا يكفِى لذلك الاعتمادُ على الأذانِ الذِى يُوضَعُ فِى الإذاعات ولا على أذانِ أغلبِ المُؤَذِّنين إذِ الشرطُ فِى ذلك أن يكون المؤذِّنُ عارفًا ثقةً وأمثالُه ندرةٌ فِى هذا الزمن فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون (**وإِيتاءِ الزكاة**) بإخراج القَدْرِ الذِى أوجبَه اللهُ منها وصرفِهِ عند وجوبِها لِمُسْتَحِقِّيها مِنَ الأصنافِ الثمانيةِ الذين ذَكَرَهُمُ اللهُ فِى القرءَانِ وهمُ الفقراءُ والمساكينُ والعاملونَ عليها والمؤلَّفَةُ قلوبهم والغارمونَ وفِى الرِّقابِ والمجاهدونَ مِن غير المُرْتَزِقة(١) أهلِ الفَىْءِ وأبناءُ السبيل فَمَن أخرج غيرَ ما يُجزِئُ أو دفعَها لغيرِ الأصنافِ الثمانيةِ مِن بناءِ مسجدٍ أو شِراءِ مقبرةٍ أو بناءِ سُورِها أو طباعةِ كتابٍ أو بناءِ مدرسةٍ أو نحوِ ذلك لم تَبْرَأْ ذِمَّتُهُ به ويأتِى يومَ القيامة وهِىَ فِى رقَبَتِه ولا حُجَّةَ له فِى قوله تعالى ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لأنَّ هذه الكلمةَ حيث أُطْلِقَتْ فِى النصوصِ الشرعيةِ فالمُراد منها الجهادُ فتفسيرُها فِى ءَايَةِ الصدقات بكلِّ عملِ خيرٍ خروجٌ عنِ الصوابِ ومخالفةٌ لحديثِ رسولِ اللهِ ﷺ ولإجماعِ الأُمَّةِ (**وحَجِّ البَيْتِ**) ولا بد أيضًا مِن مراعاة شروطه وأركانه ومِن ذلك إيقاعُ السَّعْيِ فِى مكانه الذِى عَيَّنَهُ له رسول الله ﷺ وتبعَه فِى ذلك المسلمون أربعةَ عشرَ قرنًا إلى أنْ قام بعضُ الحُكام بتخصيصِ المَسْعَى الذِى بين الصفا

(١) قوله (المرتزقة) هم الذين رصدوا أنفسهم للجهاد كُلَّما طُلِبوا وجعلوا رزقهم من الفَىْء. الفقير.

والمَرْوة للرجوع مِن المَرْوةِ إلى الصَّفَا وعَمِلَ مَسْعًى جديدًا خارجًا عَمَّا بَيْنَهُمَا وعنِ الحَدِّ الذِى حَدَّهُ رسولُ الله ﷺ فَأَفْسَدَ بذلك على كثيرٍ مِنَ الناس نُسُكَهُمْ فَمَنْ تَعَلَّمَ وتَفَطَّنَ للأمر سَعَى ذهابًا ورجوعًا فِى المَسْعَى القديم ومَنْ لم يفعلْ رجعَ مِنَ الحَجِّ بلا سَعْيٍ ولم يرجعْ بالثوابِ والمغفرةِ فجازَى اللهُ كلَّ مَن أعانَ على هذه المصيبةِ فِى الدِّينِ بما يستحقُّ ⊙ **(وصوم رمضانَ)** فيصوم كلَّ يوم مِن أيام هذا الشهر إلا مِنْ عُذْرٍ ⊙ ويُعْرَفُ أَوَّلُهُ بترائِى الهلالِ بعد غروبِ شمسِ التاسعِ والعشرينَ مِن شعبانَ فإنْ شهدَ برؤيته رجلٌ واحدٌ عدلٌ فِى الظاهر كان اليومُ الذِى يَلِى أولَ أيام رمضان وإلا اسْتُكْمِلَ شعبانُ ثلاثين يومًا وكانَ اليومُ الذِى بعده الأولَ مِن رمضان ⊙ ولا يجوزُ الاعتمادُ فِى هذا الأمر على حسابات الفَلَكِيّينَ لأنَّ رسولَ الله ﷺ قال صُومُوا لرؤيته وأفطرُوا لرؤيتِه فإذا غُمَّ عليكم فأكمِلُوا عدَّةَ شعبانَ ثلاثينَ اهـ رواه البخاريُّ وغيرُهُ وهو صريحٌ فِى المُرادِ ⊙ ولا يجوزُ للصائم أنْ يأكلَ أو يشربَ قبل أن يعلمَ غروبَ الشمسِ بمشاهدةِ غروبها أو مشاهدةِ زوالِ شعاعِ الشمسِ مِن رءُوسِ الجبال أو إقبالِ الظُّلمة مِنَ المشرق أو بأذانِ مُؤَذِّنٍ ثقةٍ أو نحوِ ذلك فإذا غرَبَتِ الشمسُ فقد زالَ الشُّعاعُ وأقبلتِ العتَمَةُ فلا يُشترطُ أنْ يُراقبَ هاتَيْنِ العلامتَيْنِ أيضًا أو إحداهما إلَّا أنْ يَحُولَ بينهُ وبينَ المغربِ حائلٌ من جبلٍ أو غيم أو نحوِ ذلك فيَنتظرُ عند ذلك حتَّى يتحقَّقَ إقبالَ العتَمَةِ أو زوالَ الشُّعاعِ ⊙ ويأتِى فِى معرفةِ دخولِ وقتِ الفجرِ الذِى هُوَ أَوَّلُ وقتِ الإمساكِ الواجبِ ومعرفةِ دخولِ وقتِ المغربِ الذِى به يبدأُ وقتُ الفطر ما سبقَ ذِكْرُهُ فِى أوقاتِ الصلواتِ الخمس مِن تركِ الاعتمادِ على أذان المؤَذِّنين غيرِ الثقاتِ ⊙

والحديثُ مِنْ أَصَحِّ الصحيحِ **(رواه البخاريُّ ومسلمٌ)** وأخرجَه

أيضًا غيرُهُما ⊙

والله تعالى أعلم ⊙

(الحديثُ الرابعُ)

هذا الحديثُ مِنْ أهمِّ الأصولِ كما رُوِىَ عن أحمدَ بنِ حنبلٍ وإسحٰقَ بنِ راهويه رضِىَ اللهُ عنهما ⊙

(عن أبِى عبدِ الرحمنِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ) هاجر الهِجْرتين وشَهِدَ بدرًا والمشاهدَ كُلَّها وبَيْعَةَ الرِّضْوان وصلَّى إلى القِبْلَتَيْنِ وكانَ صاحبَ سِوَاكِ رسولِ اللهِ ﷺ ووِسادَتِهِ وطَهُورِه فِى السَّفَرِ وسبقَ ذِكْرُ أنَّ وفَاتَهُ كانت سنةَ اثنتينِ وثلاثينَ ⊙ **(قال حدَّثَنَا رسولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ)** فِى قولِه وفِعله وحالِه **(المَصْدُوقُ)** فِى ما يأتيه مِنَ الوَحْيِ الكريمِ أىْ فلا يَأْتِيهِ إلا الصِّدْقُ والجمعُ بينهما للتأكيد **(إنَّ أَحَدَكُمْ يُجمَعُ خلقُه)** أى تُضَمُّ وتُحْرَزُ مادَّةُ خَلْقِهِ أىْ ما يُخلق هو منه **(فِى بَطْنِ أُمِّهِ)** أىْ فِى رحِمِها **(أَرْبَعِينَ يَوْمًا)** أىْ حالَ كونِهِ نطفةً كما صَرَّحَ بذلك فِى بعضِ النسخ أىْ منيًّا سائلًا يتفرَّقُ فِى أجزاء بدن المرأةِ ثم يجتمعُ فِى مدة الأربعين ليصيرَ دمًا بعد ذلك **(ثُمَّ يَكُونُ)** عَقِبَ هذه الأربعين **(عَلَقَةً)** أىْ قطعةَ دم طَرِيَّةً تَعْلَقُ بالرَّحِمِ **(مِثْلَ ذَلِكَ)** أىْ أربعينَ يومًا أيضًا **(ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً)** أىْ قطعةَ لحمٍ قدرَ ما يُمْضَغُ أو قطعةَ لحم كأنها مَمْضوغةٌ **(مِثْلَ ذَلِكَ)** أىْ أربعينَ يومًا **(ثُمَّ)** عند انتهائها **(يُرْسَلُ المَلَكُ)** المُوَكَّلُ بالرَّحِمِ **(فَيَنْفُخُ)** بأمر الله **(فِيهِ الرُّوْحَ)** فيصيرُ حيًّا ويكونُ النفخُ بعد التَّشَكُّلِ بشكلِ ابنِ ءَادَمَ والتصوُّرِ بصورتِهِ وهذا يُظْهِرُ حكمةَ كونِ عِدَّةِ الوفاةِ أربعةَ أشهرٍ وعشرًا **(وَيُؤمَرُ)** أىِ الملَكُ **(بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ)** أىْ بكتابةِ أربعةِ أحكامٍ أو

قضايا فإنَّ كلَّ قضيةٍ تُسَمَّى كلمةً وتكونُ الكتابةُ بين عينيه كما فِى رواية البَزَّار أىْ على جبهتِهِ وهو مَشْهُورٌ بين العامَّةِ (**بكَتْبِ رِزْقِهِ**) أىْ ما يَنتفعُ به مِنْ مأكولٍ وغيرِهِ سواءٌ كان حلالًا أم حرامًا (**وأجَلِهِ**) أىْ مدةِ عمرِهِ طويلًا كان أو قصيرًا (**وعمَلِهِ**) أىْ ما سيعمله صالِحًا كان أو طالِحًا (**وشقىٌّ**) فِى الآخرةِ (**أو سعيدٌ**) فِيها، وهذه الروايةُ التِى اختارها الشيخُ مُحيِى الدينِ تحتمل الكتابةُ فيها أن تكونَ قبل نفخ الروح وتحتملُ أن تكون بعدَهُ لأنَّ الواوَ لِمُطْلَقِ الجمعِ لا للترتيبِ (**فوالذِى لا إلهَ غيرُهُ**) الفاءُ هِىَ الفصيحةُ أىْ لأنَّ الشقاوةَ والسعادةَ مكتوبَتَانِ فوالذِى لا إله غيره إلى ءَاخِرِهِ وأكَّدَهُ بالقسم لتأكيدِ أَمْرِ القضاءِ فِى القضيَّةِ (**إنَّ أحدَكم لَيعملُ بِعَمَلِ أهلِ الجنةِ**) أىْ فيما يُبْدِى للنَّاسِ (**حَتَّى ما يكونُ بينه وبينها إلا**) قَدْرُ (**ذِرَاعٍ**) وهو مَثَلٌ يُضرب بمعنى المقاربةِ (**فَيَسبِقُ**) أىْ فيغلبُ (**عليه الكتابُ**) أىْ حكمُ كتابِ الشَّقاوةِ الذِى كُتِبَ له فِى بطنِ أمِّهِ مستنِدًا إلى سابقِ علم اللهِ الأزلِىِّ (**فَيَعْمَلُ**) فِى ذلك الوقت وفِى تلك الحالة (**بعملِ أهلِ النَّارِ**) ويموت على ذلك بحكمِ القدَرِ الجارِى عليه (**فيدخلُها وإنَّ أحدَكم لَيَعْمَلُ بعملِ أهلِ النَّارِ حتى ما يكونُ بينَه وبينَها إلا ذِراعٌ فيسبِقُ عليه الكتابُ**) أىْ يغلبُ عليه كتابُ السعادةِ (**فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ**) بأنْ يتوبَ ويُحْسِنَ فيموتَ على ذلك (**فيدخلها**) بفضل الله تعالى ورحمته (**رواه البخارىُّ ومسلمٌ**) وغيرُهُما وفِى بعض رواياتِهِ إنما الأعمالُ بخواتيمِها اهـ

وفِى الحديثِ إثباتُ القَدَرِ كما هو مذهب أهل السنة وأنَّ جميعَ الواقعاتِ بقضاءِ اللهِ تعالى وقَدَرِهِ خيرِها وشرِّها نفعِها وضرِّهَا ولا اعتراضَ عليه يفعلُ فِى مُلكه ما يُريدُ ويحكُمُ فِى خلقِهِ بما يشاءُ كما قال الله تعالى ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ وليسَ فيه تَرْكُ

العملِ بدعوَى الاتِّكَالِ على ما سبقَ من القَدَرِ بل ثَبَتَتِ الأحاديثُ بالنَّهْيِ عن ذلك فإنَّ الأعمالَ والتكاليفَ التِى أمرَ بها الشرعُ يجبُ الإتيانُ بها ولا يجوزُ إهمالُهَا وكلٌّ ميسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له لا يصدُرُ منه غيرُهُ فَمَنْ كان مِن أهل السعادة يَسَّرَهُ الله تعالى لِعَمَلِ أهلِ السعادةِ ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الشقاوةِ يَسَّرَهُ اللهُ لِعَمَلِ أهلِ الشقاوةِ كما قال تعالى ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ وقال ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ وقد يُسْلَكُ بأهلِ السعادةِ طريقُ أهلِ الشقاوةِ حتى يُقالَ ما أشبَهَهُمْ بِهِمْ بل هُمْ منهم وتُدْرِكُهُمُ السعادةُ فَتَسْتَنْقِذُهُمْ وقد يُسْلَكُ بأهلِ الشَّقَاوَةِ حتى يُقالَ ما أشبَهَهُمْ بأهلِ السعادةِ بل هم منهم وتُدرِكُهُمُ الشقاوةُ ومَنْ كَتَبَهُ اللهُ سَعِيدًا فِى أمِّ الكتابِ لم يُخرِجْهُ مِنَ الدُّنيا حتى يستعملَهُ بعملٍ يُسْعِدُهُ قبلَ موتِهِ وإنما الأعمالُ بالخواتيم ⊙

وكتابُ اللهِ تعالى ولَوْحُهُ وقَلَمُهُ كلٌّ ذلك مِمَّا يجبُ الإيمانُ بِهِ وأمَّا كيفيةُ ذلكَ وصفتُهُ فعلمُهُ إلى الله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ ⊙

والله أعلمُ ⊙

(الحديثُ الخامسُ)

هذا الحديثُ قاعدةٌ عظيمةُ النَّفْعِ لتمييزِ الحَسَنِ مِنَ القبيحِ والمقبولِ فِى أمرِ الدينِ مِنَ المَردود كما قال أحمدُ وابنُ راهويهِ وأبو عُبيد وغيرُهم ⊙

(عن أمِّ المؤمنين) وهى كُنيةُ كلٍّ مِنْ أزواجِ رسولِ اللهِ ﷺ لقولِهِ تعالى ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ أىْ فِى التعظيمِ والتَّكْرِيمِ وحُرمةِ النِّكاحِ دون نحوِ النظرِ والخَلوةِ وسائرِ المحرماتِ المتعلِّقةِ بالأجنبياتِ **(أمِّ**

عبدِ اللهِ عائشةَ رَضِىَ اللهُ عنهُا) كُنِيَتْ بأمّ عبد الله مِن دون أن يكون لَهَا ولدٌ اسمُهُ عبدُ الله وتَزَوَّجَها رسولُ اللَهِ ﷺ وهى بنتُ سِتٍ بمكةَ قبلَ الهِجْرَةِ ودخلَ بها فِى المدينة مُنْصَرَفَهُ مِن بدرٍ سنة اثنتينِ من الهِجْرَةِ وهى بنتُ تسعٍ وبقيتْ معه تسعَ سنينَ وعاشَتْ بعده أربعين سنة وتُوُفِّيَتْ سنةَ سبعٍ وخمسين ورُوِىَ عنها ألفٌ ومِائَتَا حديثٍ وعشرةُ أحاديثَ **(قالتْ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ مَن أحدثَ)** أىْ أَتَى بأمرٍ حادثٍ ابتدعَه مِن قِبَلِ نفسه بناءً لمجرد رأيه **(فِى أمرِنا)** أىْ شَرْعِنَا كما تدلُّ عليه روايةُ مَنْ أحدثَ فِى دِينِنَا اهـ **(هذا)** اسمُ إشارةٍ بدلٌ أو صفةٌ يفيدُ التعظيمَ والتفخيمَ ويُشْعِرُ بأَنَّ أمرَ الدينِ كَمَلَ وظهرَ ظُهورَ المحسوسِ فِى مقام التكريم **(ما ليس منه)** أىْ ما ليس مستنِدًا إليه كتابًا أو سُنَّةً أو إجماعًا **(فَهُوَ رَدٌّ)** أىْ فذلك المُحْدَثُ مردودٌ ⊙

وفيه بيان سقوطِ البِدَعِ الخارجةِ عن حدود الشريعة ويُستدل به على إبطال جميع العقود المَمْنوعة وعدمِ وجودِ ثمراتِها ⊙

والحديثُ **(رواه البخاريُّ ومسلمٌ)** وأبو داود وابنُ ماجَهْ **(وفِى روايةٍ لمسلمٍ مَن عَمِلَ عملًا)** أىْ تلبس بحالٍ أو اعتقادٍ قلبىٍّ أو طاعةٍ بدنيةٍ أو عملٍ دنيوىٍّ **(ليس عليه أمرُنا)** أىْ لا بِإِذْنِنَا وحُكْمِنَا بل أَتَى به على حَسَبِ هواه المُجَرَّدِ ولو أراد بذلك طاعة المَوْلَى عزَّ وجلَّ **(فهو رَدٌّ)** أىْ مردودٌ عليه غيرُ مقبولٍ سواءٌ سُبِقَ إلى هذا الأمر أم لا كما صحَّ مرفوعًا فِى حديث مسلم إنَّ أحسنَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهَدْىِ هَدْىُ محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمورِ مُحْدَثَاتُها وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ اهـ زادَ البيهقىُّ وكلَّ ضلالةٍ فِى النار اهـ والمُحْدَثَةُ والبدعةُ المُرَادَتَانِ هنا هما ما ابتُدِعَ واستُحْدِثَ مِمَّا لا أصلَ له فِى الشريعةِ ولا يوافقُها قال الحافظ ابنُ الجوزىِّ فِى غريبِ الحديثِ له قولُهُ كلِّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ البدعةُ فِى عرفِ الشرعِ أى عند الإطلاقِ ما يُذَمُّ

لِمُخالفتِهِ الأصولَ اهـ فإنَّ قوله ﷺ ليس عليه أمرُنا يَدُلُّ بمفهومِهِ على أنَّ مَنْ عمل عملًا عليه أمرُنا فهو مقبولٌ وهو المُسَمَّى بالسُّنةِ الحسنةِ أو البدعةِ الحسنةِ ويدلُّ عليه أيضًا حديثُ مسلم مرفوعًا مَنْ سَنَّ فِى الإسلامِ سنةً حسنةً فَلَهُ أجرُها وأجرُ مَنْ عملَ بها إلى يوم القيامة لا يَنقص مِنْ أُجُورهم شَىْءٌ ومَنْ سَنَّ فِى الإسلام سنةً سيئةً فعليه وِزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها إلى يوم القيامةِ لا يَنقص مِن أوزارهم شَىْءٌ اهـ وهو كالمُفَسِّرِ للحديث الذِى أورده المصنفُ رحمه الله ولأجلِ ما تقدَّمَ قال الإمامُ الشافعىُّ رَضِىَ اللهُ عنهُ ما أُحْدِثَ وخالفَ كتابًا أو سنةً أو إجماعًا أو أثرًا فهو البدعةُ الضَّالَّةُ وما أُحْدِثَ مِنَ الخيرِ ولم يخالفْ شيئًا من ذلك فهو البدعةُ المحمودةُ اهـ ومثالُ المَحمودةِ صلاةُ ركعتين عند القتلِ صبرًا وجَمْعُ المصحفِ وجمعُ الناسِ على إمام واحدٍ لصلاةِ التراويحِ فِى المسجدِ والأذانُ الثانِى يومَ الجمعةِ وشَكْلُ كلماتِ المصحفِ ونَقْطُها وبناءُ الرُّبُطِ والكتبُ الموضوعةُ فِى العلومِ الشرعيةِ وءَالاتِهَا والاحتفالُ بالمولدِ الشريفِ قال الإمامُ أبو شامة وما أَحْسَنَ ما ابْتُدِعَ فِى زماننا كلَّ عامٍ فِى اليومِ الموافِقِ ليوم مولده عليه السلام منَ الصدقات وإظهار السرور والزِّينةِ فإنَّ ذلك مع ما فيه من الإحسانِ إلى الفقراء يُشعر بمحبة خاتم الأنبياء وتعظيم سيد الأصفياء اهـ أىْ وما أشعرَ بذلك مرغوبٌ مندوبٌ إليه ولو كانَ فِى أصلِهِ مباحًا كما بَيَّنَهُ حديثُ التِى قالتْ لرسولِ اللهِ ﷺ إنِّى نذرت إنْ ردَّكَ اللهُ سالمًا أن أضرب بين يديك بالدُّفِّ فقالَ أَوْفِى بِنَذْرِكِ اهـ رواه الترمذىُّ وابنُ حبانَ وغيرُهُما ولو لم يكن مندوبًا إليه لَمَا أَمَرَهَا ﷺ بالوفاءِ بالنَّذْرِ ولولا نيةُ إظهارِ الفرحِ والسرورِ ونحوهِمَا لَمَا كان مندوبًا إليه وهو ظاهرٌ ⊙

وفِى الحديثِ الذِى ذكره الشيخُ رحمه الله دليلٌ على صحةِ

الإجماعِ واعتبارِهِ ولذلك قال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ ما رَءَاهُ المسلمونَ حسنًا فهو عند الله حسنٌ اهـ

تنبيهٌ. مِنْ بِدَعِ زمانِنَا المَرذولةِ المَردودةِ تغييرُ الأوضاعِ الشرعيةِ فِى بعضِ البلادِ كجعلِ عقوبةِ السرقةِ والقتلِ الحبسَ وجعلِ عقوبةِ الزِّنَى غرامةً ماليةً والتفريقِ بينَ الزوجينِ بمجردِ طَلَبِ الزوجةِ ومعاقبةِ الأهلِ إذا أَدَّبُوا أولادَهُمْ أو لم يُدخِلوهم المدارسَ العامةَ لِيَتَعَلَّمُوا المِنْهاجَ الَّذِى وضعَهُ أهلُ السُّلطانِ والحُكْمِ وكإعطاءِ قسمٍ مِن مالِ الزوجِ لامرأتِهِ عند طلاقِهِا زيادةً على ما تَستحِقُّهُ وإعطاءِ الوارثِ ذكرًا كان أو أُنْثَى فوقَ ما يَستحقُّ مِنَ الإرثِ والإذنِ بإعلانِ الكفرِ والرِّدَّةِ والطعنِ فِى الشريعةِ ومنعِ الشخصِ مِنَ التصرُّفِ بما يملكُهُ فِى الوجوهِ المباحةِ إلا بإذنٍ من قاضٍ أو والٍ أو عاملٍ أو نحوِهِم بعدَ دفعِ مالٍ لخزينةِ الدولةِ إلى غيرِ ذلك من قوانينَ تُوضَعُ كلَّ مدةٍ ثمَّ تُغَيَّرُ مِنْ غيرِ اعتبارٍ فيها لِحُكْمِ الدِّينِ بل على حَسَبِ تبدُّلِ الحكامِ والأفكارِ والرغباتِ فهذا كلُّهُ باطلٌ مِنْ أَصْلِهِ ⊙ وما ذُكِرَ من نحوِ دفعِ المالِ للزوجةِ بغيرِ رِضَى صاحبِهِ لا يَنتقلُ به المُلْكُ لأنَّ هذا غيرُ معهودٍ فِى أحكامِ الإسلامِ ويدُلُّ على ذلك أنَّ النبىَّ ﷺ قال لِلَّذِى سأَلَهُ إنَّ ابْنِى كان عَسِيفًا على فلانٍ فَزَنَى بامرأتِهِ فافتديتُ منه بِمِائَةِ شاةٍ وخادمٍ فقال النبىُّ ﷺ المِائةُ الشاةُ والخادمُ رَدٌّ عليك وعلى ابنِكَ مِائةُ جلدةٍ وتغريبُ عامٍ اهـ

وإلى اللهِ المُشتكَى وهو تعالى أعلم ⊙

(الحديثُ السادسُ)

(عن أبِى عبدِ اللهِ النُّعمانِ بنِ بَشِيرٍ رَضِىَ اللهُ عنهُما) هو وأبوه صَحَابيَّانِ وهو أولُ مولودٍ وُلِدَ للأنصار بعد الهجرة كما أنَّ عبدَ اللهِ ابنَ الزُّبيرِ رَضِىَ اللهُ عنهُما هو أولُ مَن وُلِدَ للمهاجرين بعدها، تُوُفِّـىَ سنةَ أربعٍ وستينَ فِى قريةٍ مِن قُرَى حِمْصَ وإليه تُنْسَبُ مَعَرَّةُ النُّعمان لأنه أقامَ بها ودَفَنَ فيها ابنَهُ، ولم يَنفردْ بروايةِ هذا الحديثِ بل رواه أيضًا سبعةٌ غيرُهُ مِنَ الصحابة **(قالَ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ إنَّ الحلالَ)** يعنِى المَحْضَ المَنصوصَ عليه والمُلْحَقَ لوضوحِه بالمنصوصِ **(بَيِّنٌ)** أى ظاهرٌ حِلُّهُ واضحٌ غيرُ خَفِيٍّ كأكلِ الطَّيِّبَاتِ من الزُّرُوعِ والثمارِ وبهيمةِ الأنعام ولُبْسِ ما يُحتاج إليه من القطنِ والكتانِ والصُّوفِ والشعرِ والنكاحِ **(وإنَّ الحرامَ)** المَحْضَ المَنصوصَ على حُرْمَتِهِ والمُلْحَقَ به مِمَّا قام الإجماعُ على حُرْمَتِهِ أو ظهر لكلِّ أحدٍ ضَرَرُهُ ومفسدتُهُ كأكلِ المَيْتَةِ ولحمِ الخنزيرِ وشربِ الخمرِ والربا والسرقةِ والغصبِ **(بَيِّنٌ)** جَلِيٌّ لا خفاءَ فيه **(وبينهما)** أمورٌ **(مشْتبِهاتٌ)** تتنازعُها الأدلةُ وتتجاذبُها الأصولُ والمَعَانِى وذلك لوقوعِها بين أصلَين مُتَغَايِرَيْنِ أو بين دليلَين متعارِضَيْنِ فيقع الاشتباهُ فيها هل حُكْمُهَا الحِلُّ أو الحُرْمَةُ كأكلِ القُنفذ والضَّبُعِ وبيعِ الحديدِ بالحديدِ مِن غير تساوٍ وغيرِ ذلك من أحكامٍ مِمَّا كان حكمُهُ مأخوذًا مِنْ عُمُومٍ أو مَفْهُومٍ أو قياسٍ اختلفَتْ أفهامُ العلماءِ فِى كُلٍّ منها أو اختلفتِ الأفهامُ فِى كونِ النصِّ دالًّا على الوجوبِ أو النَّدْبِ أو فِى كونِهِ دالًّا على التحريمِ أو كراهةِ التَّنْزيهِ أو تردَّدَ الفرعُ بين أصولٍ تتجاذبُهُ كتحريمِ الرجلِ زَوْجَتَهُ أىْ قولِه لها أنتِ حرامٌ علَيَّ تردَّدَ بين تحريمِ

الظهارِ وتحريم الطلقةِ الواحدةِ وتحريم الطلاقِ بالثلاثِ ونحوِ ذلك مِن أسبابِ الاشتباهِ **(لا يَعْلَمُهُنَّ)** أى لَا يعرف حُكْمَهُنَّ على ما هو عليه فِى نفسِ الأمرِ **(كثيرٌ مِنَ النَّاسِ)** لا كلُّهم فيدلُّ أنَّ مِنَ العلماءِ المجتهدينَ والمحققينَ العارفينَ مَن يعرفُ حكمَها لا يَشتبه ذلك عليهم وقليلٌ ما هم فلا بُدَّ فِى الأُمَّةِ مِنْ عالِم يوافقُ قولُهُ الحقَّ حتى لا يكونَ الحقُّ مهجورًا وكَىْ لا تجتمعَ الأمةُ على خلافِ الصَّوابِ فيكونُ هذا العالِمُ عارفًا بالحكم على وجهِهِ والاشتباهُ واقعًا على غيرِهِ ⊙ وإذا كان الحالُ على ما وُصِفَ **(فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهاتِ)** أىْ مَنِ اجتنَبَها واحترَزَ عنها حيث لا يَعلم حُكْمَها **(اسْتَبْرَأَ)** أىْ طَلَبَ البراءةَ **(لِدِينِهِ)** مِنَ الذَّمِّ الشرعىِّ **(وعِرْضِهِ)** مِنَ الطَّعْنِ العُرْفِىِّ لاتهامِ كثيرٍ له بمواقعةِ المَحْظُوراتِ إذا لَمْ يَتَّقِ الشُّبُهاتِ والمَعْنَى صانَ دينَهُ وحَمَى عِرْضَهُ عَن وقوعِ الناس فيه ⊙ والعِرْضُ موضعُ المَدْحِ والذَّمِّ مِنَ الإنسانِ سواءٌ كان فِى نفسِهِ أم سَلَفِهِ أىْ ما يرتفعُ بذكرِهِ بين الناس أو يسقطُ ومِنْ أجلها يُحمَدُ ويُذَمُّ اهـ **(ومَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهاتِ)** أىْ تعاطَى المُشْتَبِهَ وفَعَلَهُ مرةً بعدَ مرةٍ لا لِاعتقادِهِ باجتهادٍ سائغٍ أو تقليدٍ جائزٍ أَنَّهُ حلالٌ فِى نفسِ الأمرِ بَلْ مَعْ كونِهِ مشتبِهًا عندَهُ **(وقعَ فِى الحرامِ)** أىْ أفضَى به الحالُ مُتَدَرِّجًا إلى الوقوع فِى الحرامِ الواضحِ المقطوعِ بِحُرْمَتِهِ ⊙ وفِى روايةٍ للصحيحَيْنِ ومنِ اجْتَرَأَ على ما يُشَكُّ فيه منَ الإثمِ أَوْشَكَ أنْ يواقِعَ ما استبانَ اهـ وذلك أنَّ مَنْ لم يَتَّقِ اللهَ وتجرَّأَ على الشبهاتِ أظلمَ عليه قلبُهُ لفقدانِ نُورِ العلمِ ونُورِ الورعِ فَحَمَلَهُ التساهُلُ فِى أمرِها على الجُرْأَةِ على الحرام ⊙ واستعملَ الجمعَ السالِمَ لبيانِ أنه لا يُشترط تعاطِى المُشتبهاتِ كثيرًا لِيُفْضِىَ ذلك به إلى الحرامِ البَيِّنِ ⊙ وفِى مراسيلِ أبِى المتوكلِ الناجى عنِ النَّبِىِّ ﷺ مَنْ يَرْعَى بجَنَباتِ الحرامِ يوشكُ أن يُخالِطَه ومَنْ تهاونَ بالمُحَقَّراتِ

يوشِكُ أن يُخالِطَ الكبائرَ او منه يُعلَم ما ذكره العلماءُ مِنْ مَنْع اتِّبَاع رُخَصِ الأئمةِ مِن غير أن يَفْهَمَ ما قالوه ويَتبينَ له شروطُهُ وأركانُهُ ومنعِ التلفيقِ مِمَّن لا يعلم متَى يجوز له أن يُلَفِّقُ وكيف يُلَفِّقُ فإنَّ مَن لَفَّقَ بلا علم أهلكَ نفسه ومَنِ استرسلَ فِى تَتَبُّعِ الرُّخَصِ طلَبًا للراحة فتمكَّنَ منه الكسلُ فساقَهُ إلى تَرْكِ الواجبِ ومواقعةِ الحرامِ فلا يَلُومَنَّ إلا نفسَهُ ⊙ ومَنْ لم يتوَقَّ الشُّبَهَ كانَ حالُهُ **(كالراعِى)** أىْ كحالِ راعِى الإبل ونحوها **(يَرْعَى)** دوابَّهُ **(حولَ الحِمَى)** أىْ ما يُحْمَى منَ الأرضِ لأجل الدوابِّ **(يُوشِكُ)** أىْ يُسْرِعُ ويَقْرُبُ **(أن يرتعَ)** أىْ يرعَى ماشيَتَهُ **(فيه)** لتساهلِهِ فِى المُحافظةِ وجُرْأَتِهِ على المُقارَبة فيدخل الحمَى فتقع عليه العقوبةُ وهذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ لِمَحارمِ اللهِ عزَّ وجلَّ وأصلُهُ أنَّ العربَ كانت تحمِى مراعِىَ لِمَواشيها وتَخْرُجُ بالتوعُّدِ بالعُقُوبَةِ إلى مَنْ قَرُبَهَا ⊙

وحيثُ لا يُعرفُ هل يجوز الإقدامُ على الأمر أو لا لم يَجُزْ له الإقدامُ قبلَ العِلم لأنه لا يجوز للمكلَّفِ الدخولُ فِى أمرٍ حتَّى يعلَمَ ما أحلَّ اللهُ منه وما حَرَّمَ واللهُ أعلم اهـ

(ألا) حرفُ تنبيهٍ أتى به إشارة إلى أن ما دخله هذا الحرف يستحق أن ينتبه المخاطب له وأن يُستأنف الكلام لأجله **(وإنَّ لكلِّ مَلِكٍ)** مِن ملوكِ العربِ **(حِمًى)** كان فِى الجاهليةِ يمنع الناس عنه ويعاقب من يَرْعَى فيه فالخائفُ من عقوبةِ السلطانِ يَبْعُدُ بماشيتِهِ عن ذلك الحِمَى لأنه إذا قَرُبَ منه فالغالبُ الوُقُوعُ فيه لأنه قد تَنْفَرِدُ الفاذَّةُ وتشذُّ الشاذَّةُ ولا ينضبط فالاحتياطُ أنْ يجعلَ بينه وبين ذلك الحِمى مسافةً يأمنُ فيها وقوعَ ذَلِكَ **(ألا وإنَّ حِمَى اللهِ تعالى محارِمُه)** أىْ وهكذا محارمُ اللهِ أىْ أنَّ ما حماه اللهُ ومَنَعَ دخولَهُ هو الأمور التِى حَرَّمَها كما قال تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ﴾ فإياكم أنْ تَحُومُوا حولها

فَتُقارفوها (**ألا** لا وإلى **إنَّ فِى الجسَدِ مُضغةً**) أىْ قطعةَ لحم صغيرةً بقدر ما يُمْضَغ (**إذا صَلَحَت**) بفتح اللامِ أفصحُ من ضَمِّها (**صلَحَ الجسدُ كُلُّه**) أىْ كلُّ أعضائِهِ من أُذُنٍ وعينٍ وفَمٍ ولسانٍ ويدٍ ورِجْلٍ وبَطْنٍ وفَرْجٍ لأنها كلَّها تابعةٌ للقلبِ وعن إشارتِهِ تعملُ (**وإذا فَسَدَت فَسَدَ الجسدُ كُلُّه ألا وَهِىَ القلبُ**) سُمِّىَ به هذا العُضْوُ الذِى هو أشرفُ الأعضاءِ لتردُّد الخواطرِ عليه وسرعةِ تقلُّبِها فيه وخَصَّ اللهُ تعالى نوعَ الإنسانِ من سائر الحيوانات بالعقلِ وأضافَه إلى القلبِ فقال تعالى فِى سورة الحجِّ ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ﴾ وقد جعلَ اللهُ الجوارحَ مسخَّرَةً له ومطيعةً فما استقرَّ فيه ظهرَ عليها وعملتْ على معناه إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرٌّ فإذا فهِمتَ ذلك وظهرَ لك معنى الحديثِ ووَقَرَ فِى نفسِكَ فاحرصْ على إصلاحِ قَلْبِكَ بِتَدَبُّرِ القرءانِ وخلوِّ الجوفِ وقيامِ الليلِ والتطوُّعِ فِى السَّحَرِ ومجالسةِ الصالحين وأكلِ الحلال والأصلِ الأعظمِ بأداءِ الواجبات واجتناب المحرمات وبتركِ الشبهات فِى المَطْعَمِ وغيرِهِ ⊙

وَقَدْ حَلَّتْ فِى زماننا مصيبةٌ عظيمةٌ وبَلِيَّةٌ كبيرةٌ فِى المكاسبِ بشيوعِ المعاملاتِ المحرمة وانتشارِ ما يُسَمَّى بالبنوكِ الأهليةِ والخاصةِ والبنوكِ المركزيةِ للدُّوَلِ والحكوماتِ فصار الحصولُ على الحلالِ الخالِى عن الشبهةِ صعبًا شاقًّا نعم الضروراتُ تُبِيحُ المحظوراتِ ولكنَّ الكثيرين يتساهلونَ فِى هذا الأمرِ ويخوضون فِى هذا المالِ المُشْتَبِهِ أو المُحَرَّم خوضًا لا يَكتفون فيه بما تقتضيه الحاجةُ أو الضرورة أو ما يقارِبُهُما فلا عَجَبَ بعد ذلك أن تَقِلَّ التَّقْوَى وتخفَّ البَرَكَةُ وتنتشرَ العظائمُ وتعمَّ المصائبُ والبَلَايَا، وإذا كان هذا كما بيَّنَا فكيف يكون حالُ مَنْ تَعَاطَى الوظائفَ الدينيةَ طمعًا بالمَالِ المَجموعِ

بالرِّبَا أو بالمَكْسِ والضرائبِ التِى تأخذُها الحكوماتُ واللهُ المُسْتَعَانُ وإليه الملجأُ ⊙ والحديثُ **(رواه البخاريُّ ومسلمٌ)** وأصحابُ السُّنَنِ ⊙

والله أعلمُ ⊙

(الحديثُ السابعُ)

هذا الحديثُ أحدُ الأحاديثِ التِى يدورُ عليها الفقهُ شأنَهُ عظيمٌ حتَّى قيل إنه ربُع الدِّينِ اهـ

(عن أبى رُقَيَّةَ) كُنِى بابنةٍ له لم يُولَدْ له غيرُها **(تَميمِ بنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رَضِىَ اللهُ عنهُ)** كان نصرانيًّا فأسلَمَ وذَكَرَ للنبىِّ ﷺ قصةَ الجَسَّاسةِ ولقائِهِ بالدَّجَّال فَحَدَّثَ بها عليه الصلاةُ والسلامُ على المِنْبَرِ، كان يختِمُ القرءانَ فِى ركعةٍ ورُبَّما قام بآيةٍ الليلَ كُلَّهُ حتى يُصبح مات سنة أربعين ودفن فِى قرية بيتِ جبريلَ ويقال لها بيت جبرين من أعمالِ الخليلِ **(أنَّ النبىَّ ﷺ قال الدِّينُ النَّصيحةُ)** أىْ عِمادُ الدِّينِ وقِوَامُهُ ومدارُ قواعدِهِ النصيحةُ ⊙ والنصيحةُ مأخوذةٌ منَ النُّصْحِ ضد الغِشِّ مِن قولِك نصحْتُ العسلَ إذا صفَّيتَهُ وهِىَ كلمةٌ جامعةٌ قيلَ فِى معناها لغةً إرادةُ جملةِ الخيرِ للمنصوحِ له وقيلَ هِىَ عنايةُ القلبِ للمنصوحِ له كائنًا مَنْ كانَ وهِىَ مِنْ وجيزِ الأسماءِ ومختصرِ الكلامِ قالوا ليسَ فِى كلامِ العرب كلمةٌ مفردةٌ يُسْتَوْفَى بها العبارةُ عن مَعْنَى هذه الكلمة وهِىَ على وجهينِ نصيحةٌ فريضةٌ وأُخرَى نافلةٌ فالأُولَى شِدَّةُ العنايةِ مِنَ الناصحِ باتباعِ محبةِ اللهِ فِى أداءِ ما افترضَ ومجانبةِ ما حرَّمَ والثانيةُ هِىَ إيثارُ محبتِهِ على محبةِ نفسِهِ وذلك فيما إذا عَرَضَ له أمرانِ أحدهما لنفسِهِ والآخَرُ لربِّهِ أنْ

يبدأَ بما كان لربِّهِ ويؤخِّرَ ما كان لنفسِهِ **(قلنا لِمَنْ)** سألوا للإبهامِ المتعَمَّدِ فِى كلامِه ﷺ إذْ لم يُضِفِ النصيحةَ إلى أحدٍ لزيادةِ الوقعِ فِى النفس **(قال)** ﷺ مُبَيِّنًا لهم **(للهِ)** وذلك بأنْ ينصحَ العبدُ نفسَهُ فِى مرضاةِ اللهِ تعالى بالإيمان به ونَفْيِ الشِّرْكِ عنه وتركِ الإلحادِ فِى صفاتِهِ ووصفِهِ بصفاتِ الكمالِ اللائقةِ به وتَنْزيهِهِ عن جميعِ النقائصِ والقيامِ بطاعتِهِ واجتنابِ معاصِيهِ والحبِّ فيه والبغضِ فيه وجهادِ مَنْ كَفَرَ به والاعترافِ بنعمتِهِ والشكرِ عليها ومحبةِ الطاعةِ وبغضِ المعصيةِ والإخلاصِ فِى جميعِ الأمور والدعاءِ إلى جميعِ الأوصافِ المذكورةِ **(ولِكِتَابِهِ)** بأن ينصحَ العبدُ نفسَهُ فِى ما يتعلقُ بالقُرْءَانِ الكريمِ وذلك بالإيمانِ بأنَّ كلامَ اللهِ تعالى القائمَ بذاتِهِ لا يُشبهُهُ شَىْءٌ مِنْ كلامِ الناسِ وأنَّ النَّظمَ المُنَزَّلَ على سيدنا محمدٍ لا يَقْدِرُ على مثلِهِ أحدٌ مِنَ الخَلْقِ وبتعظيمِهِ وتلاوتِهِ حقَّ التلاوةِ وتحسينِها والخشوعِ عندها وإقامةِ حروفِهِ فِى التلاوةِ وذبِّ تأويلِ المُحَرِّفِين عنه والتصديقِ بما فيه والوقوفِ مع أحكامه وتفهُّمِ علومِهِ وأمثالِهِ والاعتبارِ بمواضعه والتفكرِ فِى عجائبِهِ والعلمِ بمحكمه والتسليمِ لمُتشابهه والبحثِ عن عمومِهِ والدعاءِ إليه وإلى ما ذُكِرَ من نصيحته **(وَلِرَسُولِهِ)** ﷺ وذلك بتصديقِهِ على الرسالةِ والإيمانِ بجميع ما جاء به وطاعتِهِ فِى أمرِهِ ونهيه ونصرتِهِ حيًّا وميتًا ومعاداةِ مَنْ عاداه وموالاة مَنْ والاه وإعظامِ حَقِّهِ وتوقيرِهِ وإحياءِ طريقتِهِ وإجابةِ دَعْوَتِهِ ونَشْرِ سُنَّتِهِ ونَفْيِ التُّهَمَةِ عنها والتَّفَقُّهِ فِى معانيها والدعاءِ إليها والتلطُّفِ فِى تعليمِهَا وإعظامِها وإجلالِهَا والتَّأَدُّبِ عند قراءتِها والإمساكِ عنِ الكلامِ فيها بغيرِ علمٍ وإجلالِ أهلِهَا لانتسابِهِمْ إليها ومجانبةِ مَنِ ابْتَدَعَ فيها والتخلُّقِ بأخلاقِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ والتأدُّبِ بآدابه ومحبةِ أهلِ بيتِهِ وأصحابِهِ والتشبُّهِ بهِ فِى زِيِّهِ ولِبَاسِهِ ونحوِ ذلك **(ولِأَئِمَّةِ**

المُسْلِمِينَ) بمعاونتِهِمْ على الحقِّ وطاعتِهِم وأمْرِهِمْ به وتنبيهِهِمْ وتذكيرِهِمْ برفقٍ ولطفٍ وإعلامِهِمْ بما غَفَلوا عنه وتبليغِهِمْ مِن حقوق المسلمين وتركِ الخروج عليهم بالسيف وتأليفِ قلوبِ الناس لطاعتهم والصلاةِ خَلْفَهُمْ والجهادِ معهم وأن يَدْعُوَ لَهُمْ بالصَّلاحِ **(وَلِعَامَّتِهِم)** وهم مَنْ عَدَا ولاةَ الأمرِ بإرشادِهِمْ لِمَصالِحِهِمْ فِى ءاخِرَتِهِم ودُنياهُمْ وإعانتِهِم عليها وسترِ عوراتهم وسدِّ خَلَّاتهم ودفعِ المَضارِّ عنهم وجَلْبِ المَنافع لهم وأمرِهِم بالمَعروف ونهيِهِم عنِ المُنكر برفقٍ وإخلاصٍ والشفقةِ عليهم وتوقيرِ كبيرِهِم ورحمةِ صغيرِهم وتَخَوُّلِهِم بالمَوعظةِ الحسنةِ وتركِ غَشِّهِم وحَسَدِهم وأن يُحبَّ لَهُم ما يحبُّ لنفسِهِ من الخَيْرِ ويكرهَ لَهُم ما يكره لنفسِهِ من المَكْروهِ والذبِّ عن أموالِهِمْ وأعراضِهِم وغيرِ ذلك مِنْ أحوالِهِمْ بالقولِ والفعلِ وحَثِّهِم على التَّخَلُّقِ بجميعِ ما ذُكِرَ مِنْ أنواعِ النصيحةِ ⊙

والحديثُ **(رواه مسلمٌ)** وغيرُهُ عن تمِيمٍ ⊙

والله أعلم ⊙

(الحديثُ الثامنُ)

(عن ابنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عنهُما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال أُمِرْتُ) أىْ أَمَرَنِى رَبِّى ولم يُعَيِّنِ الآمِرَ للعِلْم به إذ ليس يأمرُهُ ﷺ غيرُ رَبِّهِ عزَّ وجَلَّ **(أنْ أُقاتلَ الناسَ)** قال ابنُ الصبَّاغِ فِى الشَّامل لَمَّا بُعِثَ النبىُّ ﷺ فُرِضَ عليه التوحيدُ والتبليغُ وقراءةُ القُرْءَانِ لقوله تعالى ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ ولم يُؤْذَنْ له فِى الجهادِ بمكةَ وأُذِنَ له بالمدينة لِمَنِ ابتدأه ثم بابتدائِهِمْ به دون الحَرَمِ والأشْهُرِ الحُرُمِ ثم نُسِخَ ذلك وأُبيح ابتداؤُهم فِى الأشهر الحُرُم والحَرم اهـ قال تعالى فِى سورةِ

البقرة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أىْ وصَدٍّ عنه ﴿وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ الآيةَ ⊙ قال ﷺ (**حَتَّى يَشهدوا أنْ لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسول الله**) وفِى روايةٍ حتى يَقُولُوا وهى صَرِيحةٌ فِى لزوم النطق بالشهادتين للدخول فِى الإسلام قال النووىُّ[1] اتَّفَقَ أهلُ السُّنَّةِ مِنَ المُحدِّثينَ والفقهاءِ والمُتكلمينَ على أنَّ المُؤمنَ الذِى يُحكَمُ بأنَّهُ مِنْ أهلِ القِبلةِ ولا يَخْلُدُ فِى النَّار لا يكون إلا مَنِ اعتقدَ بقلبِهِ دينَ الإسلامِ اعتقادًا جازمًا خاليًا مِنَ الشكوكِ ونَطَقَ بالشهادتينِ فإنِ اقتصرَ على إحداهُما لم يكنْ مِنْ أهلِ القِبلةِ أصلًا إلا إذا عجزَ عن النطقِ لِخَلَلٍ فِى لسانِهِ أو لعدمِ التمكنِ منه لِمُعَاجَلَةِ المنيَّةِ أو لغيرِ ذلك فإنه يكون مؤمنًا اهـ قال واسْتُغْنَى فِى بعضِ الأحاديثِ بذِكْرِ إحدى الشهادتَيْنِ عنِ الأخرى لارتباطِهِما وشهرتِهِما اهـ فالمُرَادَ بلا إله إلا اللهُ فِى الأحاديثِ التِى وَرَدَتْ بهذا الشأنِ ولم يُذكر فيها محمدٌ رسولُ اللهِ ما يَشْمَلُ الشهادةَ الثانيةَ واقْتُصِرَ فيها على ذِكْرِ الأولى مِنْ بابِ الاكتفاءِ كما تقَدَّمَ وصارَ هذا معلومًا فِى عُرف الشرع كما تَدُلُّ عليه الرواياتُ المُثْبِتَةُ لهَا وعلى هذا الجمهورُ ⊙ وأما مَنْ قال يَكْفِى الإيمانُ بالقلبِ دونَ النُّطق باللسان ليكونَ الإنسانُ مؤمنًا عندَ اللهِ أىْ ما لم تُعْرَضْ عليه الشهادةُ فَيَأْبَ فهو مذهبٌ مردودٌ مخالفٌ لظاهرِ قولِهِ تبارَكَ وتَعَالَى ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ الآيةَ كما قالَهُ البيهقِىُّ وغيرُهُ ولظاهرِ ما تَقَدَّمَ مِنَ الحديثِ وللإجماعِ المُتَقَدِّمِ نَقْلُهُ فلا يُلْتَفَتُ إليه اهـ (**ويُقِيمُوا الصلاةَ ويُؤْتُوا الزكاةَ فإذا فَعَلُوا ذلك عَصَمُوا**) أى حَفِظُوا (**مِنِّى دماءَهُمْ وأموالَهُمْ**) أىْ مِنَ التَّعَرُّضِ لهَا بأىِّ

(١) قوله (قال النووىُّ إلخ) قال مثلَهُ القاضِى عياضٌ فِى شرح مسلم له أيضًا. الفقير.

سببٍ مِنَ الأسبابِ وفيه دلالةٌ على قتالِ تارِكِى الصلاةِ وكذا تَارِكُو الزَّكَاةِ إذا كانوا جَمْعًا ذَوِى شوكةٍ لا يستطيعُ الإمامُ حَمْلَهُمْ على أدائِهَا بلا قتالٍ كما قال تعالى ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ **(إلا بحقِّ الإسلامِ)** كالقتلِ بالقِصاصِ وزنا المُحْصَنِ والقطعِ بالسرقةِ وغرامةِ ما أَتلف ونحوِ ذلك مِن عقوبةٍ بدنيةٍ أو غرمِ مالٍ لأنها واجبة بحق الإسلام وهو الْتَزَمَهَا بإسلامِهِ فتُقام عليه بمقتضَى التزامه **(وحسابُهُم)** أىْ محاسبةُ بَوَاطِنِهِمْ **(على الله تعالى)** فيُحكم عليهم بحسب الظاهر بأحكام الإسلام ويحاسبهم الله تعالى فِى الآخرة على ما حصل منهم ظاهرًا وباطنًا ⊙ ويَشْهَدُ لِهَذَا أخبارٌ منها قوله ﷺ لأُسامةَ هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ اهـ وهى تَدُلُّ على أنَّ مَنْ أظهرَ الإسلامَ أجرينا عليه حكمَ الظاهرِ وقَبِلْنَا إسلامَهُ ظاهرًا ولو أبطنَ الكُفْرَ ⊙

وليسَ تاركُ الصلاةِ وتاركُ الزكاةِ كافرًا بمجردِ ذلك وكذا مَنْ قارفَ سائر الذنوب التِى هِىَ دون الكفر قال رسول الله ﷺ خمسُ صلواتٍ كتبهُنَّ اللهُ على العباد فمن جاء بهنَّ لم يُضَيِّعْ منهنَّ شيئًا استخفافًا بحقِّهِنَّ كان له عند اللهِ عهدٌ أن يُدخِلَهُ الجنةَ ومَنْ لم يأتِ بهنَّ فليس له عند الله عهدٌ إن شاء عذَّبَهُ وإنْ شاءَ أدخلَهُ الجنةَ اهـ رواه مالكٌ وأبو داود والنسائىُّ وغيرُهُم وقال بعضُ الأئمة كأحمدَ بنِ حنبلٍ مَنْ تَرَكَ الصلاةَ كَسَلًا كافرٌ وحملوا على ذلك نحوَ قولِهِ ﷺ العهدُ الذِى بيننا وبينهم الصلاةُ مَنْ تركها فقد كفر اهـ وخالفَهم الجمهورُ فقالوا معناه قاربَ الكفرَ جمعًا بين الأحاديث وتوفيقًا بين الأدلة ⊙

قال النووىُّ فِى شرح صحيح مسلم ولا بُدَّ مع هذا مِنَ الإيمانِ بجميعِ ما جاءَ بِهِ رسولُ اللهِ ﷺ كما جاءَ فِى الرواية الأُخْرَى لأبِى هُريرة رَضِىَ اللهُ عنهُ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويُؤْمِنُوا بِى وبِمَا

جئتُ به اهـ

وقالَ إنَّ فيه دلالةً ظاهرةً لِمَذهبِ المحققين والجماهير مِنَ السلف والخلف أنَّ الإنسانَ إذا اعتقدَ دينَ الإسلام اعتقادًا جازمًا لا تردُّدَ فيه كفاه ذلك أىْ لصحةِ الإيمانِ ولا يُشتَرَطُ تَعَلُّمُ أدلةِ المتكلمينَ ومعرفةُ اللهِ تعالى بها لأنَّ النبىَّ ﷺ اكتفَى بالتصديقِ بما جاءَ بِهِ ولم يَشترطِ المعرفةَ بالدَّليلِ وقد تظاهَرَتْ بهذا أحاديثُ فِى الصحيحِ يحصُلُ بمجموعها التواترُ بأَصْلِها والعِلْمُ القَطْعِىُّ واللهُ أعلمُ اهـ نَعَمْ يجبُ على كُلِّ مُكَلَّفٍ معرفةُ دليلٍ ولو إجماليًا على توحيدِ اللهِ تعالى لقولِهِ تعالى فِى سُورةِ الأعرافِ ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ وقولِهِ تعالى فِى سُورةِ ءَالِ عِمرانَ ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴿١٩١﴾﴾ فمَنْ ءَامَنَ تقليدًا مِنْ غيرِ استدلالٍ بالمرةِ فهو عاصٍ وإن كان إيمانُهُ صحيحًا ⊙ ويكفِى الاستدلالُ الطبيعِىُّ كأنْ يَستحضِرَ أنَّ الكتابةَ لا بدَّ لَهَا من كاتبٍ أو أنَّ البِناءَ لا بد له من بَنَّاءٍ والكتابةُ والبناءُ جزءٌ من هذا العالَمِ إذًا هذا العالَمُ لا بُدَّ له من مُوجِدٍ أوجده وخالِقٍ خلقَهُ لا يُشبهُهُ أو يقولَ أنا كنتُ بعد أن لم أكنْ وما وُجِدَ بعد عدم محتاجٌ إلى مُوجِدٍ أوجدَهُ وكذلك كلُّ ما فِى العالَمِ إذًا فلا بُدَّ للعالَمِ مِن خالقٍ قديرٍ خلقَهُ ولا يُشبهُهُ ولا يُتَصَوَّرُ أنْ يخلُوَ مؤمنٌ عن ذلك إلا أن يكونَ نحوَ شخصٍ نَشَأَ بشاهقِ جَبَلٍ منقطعًا عَنْ أهلِ الحقِّ ثم مرَّ به قومٌ ذوُو سَمْتٍ حَسَنٍ وفَهْمٍ ثاقبٍ فسمعهم يقولون إنَّ للخلقِ ربًّا خلقَهُم يستحقُّ العبادةَ فصدَّقَهُم إجلالًا لَهُمْ عن الخطإ مِنْ غيرِ أَدْنَى استدلالٍ فمثلُ هذا هو المُقَلِّدُ الذِى قال جمهورُ أهلِ السنةِ بِصِحَّةِ إيمانِهِ وإسلامِهِ مَع عِصيانِهِ بتركِ

الاستدلال ⊙ وفِى كتابِ الدليلِ القويمِ لشيخِنا عبدِ اللهِ الهرريّ زيادةُ بيانٍ للأمرِ من غير بسطٍ مُمِلٍّ فيراجعُهُ مَن شاءَ ⊙

وحديثُ المَتْنِ (**رواهُ البُخَارِىُّ ومُسْلِمٌ**) وهو حديثٌ متواترٌ كما نَصَّ عليه منَ الحفاظِ السُّيُوطِىُّ وغيرُهُ ونَقَلَ الزبيدِىُّ فِى شرحِ الإحياء عن الحافظِ العراقِىّ أنه رواه ستةَ عشرَ مِنَ الصحابة رَضِىَ اللهُ عنهُم ⊙

والله أعلم ⊙

(الحديثُ التاسعُ)

(**عَنْ أبِى هُرَيْرَةَ**) وهِىَ كُنْيَتُهُ أسلمَ عامَ خيبرَ وَشَهِدَ فَتْحَهَا ولازمَ النبىَّ ﷺ الملازمةَ التَّامَّةَ رغبةً فِى العلمِ مُنْصَرِفًا عَنْ ما سوى ذلك فَشَهِدَ ما لم يَشْهَدْ غيرُهُ ورَوَى ما لم يَرْوِ غيرُهُ وحدَّثَ عنه نحوُ ثَمانِمائَةٍ من صحابِىّ وتابعِىّ وتُوُفِّىَ سنةَ سبعٍ وخمسينَ بالمدينة ودُفن بالبقيع وأصحُّ الأقوال فِى اسمه (**عبد الرَّحْمَنِ بنِ صَخْرٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ**) وجملةُ الأقوالِ فِى ذلك خمسةٌ وثلاثون قولًا (**قال سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ**) أىْ فِى حجة الوداع فِى خطبةٍ قال فيها يا أيها الناسُ قد فُرِضَ عليكمُ الحَجُّ فحُجُّوا فقال رجلٌ هو الأقرعُ بنُ حَابِسٍ أكلَّ عامٍ يا رسولَ اللهِ فسكتَ حتى قالَهَا مِرَارًا فقال رسولُ اللهِ ﷺ لو قلتُ نَعَمْ لوجَبَتْ ولَمَا استطعتُم ثم قالَ (**ما نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ**) أىِ اجعلوه جانبًا واتْرُكُوهُ ولا تقربوه فإنْ أباحَهُ عذرٌ كأكلِ المَيْتَةِ عند الضرورةِ لم يَكُنْ منهِيًّا عنه (**وما أمرتُكُمْ بِهِ فافْعَلُوا منه ما استطعْتُمْ**) أىْ ما قَدَرْتُمْ عليه كما قال تعالى ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ وهذا مِنْ قواعد الإسلام المُهِمَّةِ ومِمَّا أُوتِيَهُ ﷺ مِنْ جوامعِ الكَلِمِ ويدخلُ فيه ما لا يُحصَى من الأحكام كالصلاة إذا عجزَ عن بعضِ أركانها أو

بعضِ شروطِها أتَى بالباقِى وإذا عَجزَ عَنْ غَسْلِ بعضِ أعضاءِ الوضوءِ غَسَلَ المُمْكِنَ وإذا وَجَبَتْ فطرةُ جماعةٍ مِمَّن تلزمُهُ نفقتُهُم ولم يقدِرْ على الإخراجِ عن جميعِهِمْ قَدَّمَ بعضَهُمْ[(١)] وإذا لم يستطع إزالةَ جميعِ المنكراتِ أزالَ ما يُمْكِنُهُ وأشباهِ ذلك مِمَّا هو مشهورٌ فِى كتبِ الفقهِ ومِن هنا قالوا الكافرُ إذا كان أخرسَ وأرادَ الدخولَ فِى الإسلام وقَدَرَ على تحريكِ شَفَتَيْهِ بالشهادتينِ خلافًا للغالبِ فِى الأخرس لَزِمَهُ ذلك مِن باب الإتيان بما يستطيع اهـ

وأما قولُهُ تعالى ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ فمعناهُ امتثالُ أمرِهِ واجتنابُ نهيِهِ وهو تعالى لم يأمرْ إلا بِمُسْتَطَاعِ العبدِ كما قال فِى سورةِ البقرةِ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ وقال فِى سورةِ الحجِّ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ فلا يناقضُ ما سبقَ ⊙

قالَ بعضُهم ويُؤخذ من هذا الحديث القاعدةُ المشهورة أنَّ دَرْءَ المفاسدِ مُقَدَّمٌ على جَلْبِ المصالحِ فإذا تَعارَضَتْ مفسدةٌ ومصلحةٌ فِى أمرٍ قُدِّمَ دَفْعُها على نفعِها لأنَّ اعتناءَ الشَّارعِ بالمَنْهِيَّاتِ أشدُّ منه بالمأموراتِ لأنه لم يُقَيِّدِ النَّهْىَ بشَىْءٍ وقَيَّدَ الأمرَ بالاستطاعةِ وفِى روايةٍ فإذا أمرتُكُمْ بِشَىْء فأْتُوا منه ما استطعتم وإذا نهيتُكُم عن شَىْء فَدَعُوه اهـ (**فإنما أهلَكَ الذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**) أىْ صار سببَ هلاكهم (**كَثْرَةُ مَسَائِلِهم واختلافُهُم**) بضمِّ الفاء لا بكسرها (**على أنبيائِهِم**) أى كثرةُ سؤالهم فِى غيرِ حاجةٍ كما فعل بنو إسرائيلَ فِى قَضِيَّةِ البقرة فإنه مُشْعِرٌ بالتَّعَنُّتِ أو مُفْضٍ إليه ولَمَّا أكثروا السؤالَ وشدَّدُوا شُدِّدَ عليهم وذُمُّوا على ذلك فخافَ النَّبِىُّ ﷺ على أُمَّتِهِ مثلَ ذلكَ ⊙ ورَوَى أبو

---

(١) قوله (قدَّمَ بعضَهم) أىْ فيقدمُ زوجَهُ بعد نفسِهِ فولده الصغير فأباه وإنْ عَلَا ولو من قبل الأم فأمَّهُ وإن علتْ فولدَهُ الكبير فرقيقَهُ. الفقير.

داودَ وأحمدُ أنه ﷺ نَهَى عنِ الأُغْلُوطاتِ اهـ وفُسِّرَ بأنها ما لا يُحتاجُ إليه مِنْ كيفَ وكيفَ اهـ ورَوَى ابنُ عبدِ البَرِّ فِى جامعِ بيانِ العِلْمِ وفضلِهِ عنِ الأوزاعيِّ أَنَّهُ قالَ إنَّ اللهَ إذا أرادَ أنْ يَحْرُمَ عبدَهُ بَرَكَةَ العِلْمِ ألقى على لسانِهِ الأغاليطَ فَلَقَدْ رأيتُهُمْ أقلَّ النَّاسِ علمًا اهـ ولا يَخفى أنَّ مَوْرِدَ هذا مُتَعَنِّتٌ يُغالِطُ العالِمَ ونحوُهُ كمُوَسْوِسٍ فإنَّ دواءَهُ تركُ إجابتِهِ وأما مَن سأل عَمَّا يحتاجُهُ فهو مطيعٌ لربِّهِ مُثَابٌ على سؤالِهِ لقوله تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ لا سيما إذا كان المسؤولُ معدنَ فوائدَ ومنبعَ حقائقَ فإنَّ السائلَ شاربٌ عندئذٍ زلالًا صافِيًا متدفقًا فَليَتَضَلَّعْ منه وكذا السائلُ للتعليمِ والاختبارِ كامتحانِ الأستاذِ أفهامَ التلامذةِ أو تشحيذِها ⊙

قال الحافظُ فِى الفتحِ وفِى الحديثِ إشارةٌ إلى الاشتغالِ بالأهمِّ المُحتاجِ إليهِ عاجلًا عَمَّا لا يُحتاجُ إليه فِى الحالِ فكأنه قال عليكم بفعلِ الأوامرِ واجتنابِ النواهِى فاجعلُوا اشتغالَكُمْ بها عوضًا عن الاشتغال بالسؤالِ عمَّا لم يَقَعْ فينبغِى للمسلم أن يبحثَ عما جاء عن اللهِ ورسولِهِ ثم يجتهدَ فِى تَفَهُّمِ ذلك والوقوفِ على المُراد به ثم يتشاغلَ بالعمل به فإنْ كانَ مِنَ العِلْمِيَّاتِ يتشاغلُ بتصديقِهِ واعتقادِ حَقِّيَّتِهِ وإنْ كانَ مِنَ العَمَلِيَّاتِ بَذَلَ وسْعَهُ فِى القيامِ بِهِ فعلًا وتركًا فإنْ وَجَدَ وقتًا زائدًا على ذلك فلا بأس بأن يصرفَهُ فِى الاشتغال بِتَعَرُّفِ حكمِ ما سيقعُ على قصدِ العملِ به أنْ لو وقعَ فأَمَّا إذا كانت الهِمَّةُ مصروفةً عند سماعِ الأمرِ والنَّهْيِ إلى فرضِ أمورٍ قد لا تقعُ مع الإعراضِ عن القيام بمقتضَى ما سَمِعَ فإنَّ هذا مِمَّا يدخلُ فِى النَّهْيِ فالتَّفَقُّهُ فِى الدِّينِ إنَّمَا يُحمد إذا كان للعمل لا للمِرَاءِ والجدالِ اهـ وقد سأَلَ رجلٌ ابنَ عمرَ رَضِىَ اللهُ عنهُما عن استلام الحجرِ فقال له رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ يستلمُهُ ويُقَبِّلُهُ فقال له الرجلُ أرأيتَ إنْ غُلِبْتُ عنه

أرأيتَ إنْ زُوحِمْتُ فقال له ابنُ عمرَ اجْعَلْ أرأيتَ باليمنِ رأيتُ رسولَ الله ﷺ يستلمُهُ ويُقَبِّلُهُ اهـ أخرجَهُ التِّرْمِذِيُّ ومرادُ ابنِ عمرَ أنْ لا يكونَ لك همٌّ إلا فِى الاقتداءِ بالنبيِّ ﷺ ولا حاجةَ إلى فرضِ العجزِ عن ذلك أو تعسُّرِهِ قبلَ وقوعِهِ فإنه يُفَتِّرُ العزمَ عن التصميمِ على المتابعة ورَوَى الخطيبُ البغداديُّ فِى الفقيه والمتفقِّهِ عن عمرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال أُحَرِّجُ عليكم أن تسألونا عمَّا لم يكن فإنَّ لَنَا فيما كان شُغْلًا ورَوَى عن زيدِ بنِ ثابتٍ أنه كان إذا سُئل عن شَىْءٍ قال كانَ هذا فإنْ قالوا لا قال دعوه حتى يكون ورَوَى هو وأبو خَيْثَمَةَ فِى العلم وغيرُهُما عن مسروقٍ قال سألتُ أبَىَّ بنَ كعبٍ عن شَىْءٍ فقال أكانَ بعدُ فقلتُ لا فقالَ فأجِمَّنَا حتى يكونَ يعنِى أَرِحْنَا حتى يكون ⊙ وبمثلِهِ أجابَ شيخُنا رحمه الله مرارًا ⊙

وأما اختلافهم على أنبيائهم فهو عصيانُهُم على أنبيائهم صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِمْ أو تردُّدُهُمْ فِى أنبائهم ⊙ وفِى الحديثِ إشارةٌ إلى وجوبِ اتِّبَاعِهِ ﷺ والتسليمِ لِمَا جاء به من الأحكام من غير معارضة ولا مدافعة وأنَّ المصلحةَ منحصرةٌ فِى مَا أَتَى به فالحَسَنُ ما حَسَّنَهُ الشرعُ والقبيحُ ما قَبَّحَهُ الشرعُ لا يُتَوَصَّلُ إلى ذلك بمجردِ الفِكْرِ ولا يَسْتَقِلُّ بمعرفتِهِ النَّظَرُ ⊙

وظاهرُ قولِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ لو قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ دليلٌ للمذهبِ الراجحِ مِن أنه ﷺ كانَ له أنْ يجتهدَ فِى الأحكامِ إذِ السياقُ يُبْعِدُ أنْ يكونَ بِوَحْيٍ وليس فيه ما يدُلُّ على أنَّ اللهَ قدْ خَيَّرَهُ بين الحكم بالوجوبِ أو عدمِهِ وهو يدلُّ أيضًا على المَذْهَبِ الصحيحِ منْ أنَّ ما حَكَمَ عليه النَّبِىُّ ﷺ بالوجوبِ اجتهادًا فهو واجِبٌ فِى نفسِ الأمرِ موافقٌ لِمَا هو الحُكْمُ عند اللهِ تعالى وكذا ما حكمَ عليه بالحُرْمَةِ ⊙ ويَشْهدُ له كذلك حديثُ مسلمٍ إنما أنا بشرٌ فإذا أمرتُكُمْ

بشَىْء مِنْ أمْرِ دينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ وإذا أمرتُكُمْ بشَىْء مِنْ أمرِ دُنْيَاكُمْ فإنَّما أنا بشرٌ اهـ أىْ فيجوزُ علىَّ الخطأُ فيه فظهرَ أنَّ ما جاء به ﷺ وحكمَ به مِنْ أمور الدينِ كلُّهُ صوابٌ وحيًا كان أو اجتهادًا وأنَّ هذا هو القولُ الصحيحُ الذِى لا يجوز المصيرُ إلى خلافِهِ ⊙

وروايةُ مسلم لِهَذا الحديثِ ذَرُونِى ما تَرَكْتُكُمْ فإنما أهلكَ الذين مِنْ قبلِكُمْ كثرةُ سؤالِهِمْ واختلافُهُم على أنبيائِهِم فإذا أمرتُكُمْ بِشَىْءٍ فَأْتُوا منه ما استطعْتُمْ وإذا نهيتُكُمْ عن شَىْءٍ فَدَعُوهُ اهـ فيها إشارةٌ إلى ما قالوه من أنَّ التَّرْكَ لا يَدُلُّ على التحريم فإنَّ معنَاه أنه طالَمَا لم يَذْكُرْ عليه الصلاةُ والسلامُ شيئًا بتحريم ولا غيرِهِ فإنه لا يُحْكَمُ عليه بالحُرْمَةِ ولو تَرَكَ رسولُ اللهِ ﷺ فِعْلَهُ كما يدلُّ عليه أيضًا حديثُ الشيخينِ عن عائشةَ رَضِىَ اللهُ عنهُا قالتْ إنْ كان رسولُ الله ﷺ لَيَدَعُ العَمَلَ وهو يُحِبُّ أن يعملَ به خشيةَ أن يعملَ به الناسُ فيُفْرَض عليهم اهـ

والحديثُ **(رواه البخارىُّ ومسلمٌ)** وأخرجه أيضًا أحمدُ فِى مسندِهِ ⊙

والله أعلمُ ⊙

(الحديثُ العاشرُ)

(عن أبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ إنَّ اللهَ تعالى طَيِّبٌ) أىْ طاهرٌ مُنَزَّهٌ عن جميع النقائص أىْ مُتَّصِفٌ بصفاتِ الكمالِ اللائقةِ به مُنَزَّهٌ عن سَمْتِ الزَّوَالِ والنُّقْصَانِ **(لا يَقبلُ)** مِنَ الاعتقاداتِ والأعمالِ والأقوالِ والأحوالِ **(إلا طَيِّبًا)** أىْ موافقًا لِشَرْعِهِ طاهرًا خالصًا مِنَ المُفْسِدَاتِ وما يَمنعُ الأجرَ والثوابَ

كالعُجب والرّياء فانتفاءُ القبولِ قد يُؤْذِنُ بانتفاءِ الصحةِ كما فِى حديثِ الشيخينِ وغيرِهما لا يَقبل اللهُ صلاةَ أحدِكم إذا أحدثَ حتَّى يتوضأ اهـ وقد يكون بالحرمان مِنَ الثواب كما فِى خبرِ أحمدَ مَنْ صَلَّى فِى ثوبٍ قيمتُهُ عَشْرَةُ دراهم فيه درهمٌ حرامٌ لم تُقْبَلْ له صلاةٌ ما كان عليه منه اهـ فَمَن حَرَصَ على قَبُولِ أعمالِهِ انتقَى الحلالَ الخالصَ لِيُنفق منه بالنية الحسنة حالَ كونِهِ مُتَحَلِّيًا بالعِلْمِ بما يأتِى وما يَذَرُ وانتقَى الثوبَ الحلالَ الطاهرَ والمكانَ الخالِىَ عَنِ الشبهة النظيفَ عن الدَّنَسِ ليصلِّىَ فيهما مع خُلُوّ البطنِ عنِ الحرامِ والشُّبُهَاتِ وخُلُوّ القلبِ عن شِرْكِ الرِّياءِ وإرادةِ السُّمْعَةِ وغيرِ ذلك مِنَ المُحْبِطَاتِ مُتَحَلِّيًا بالعلم بأركانِها وشروطِها ومبطلاتِها خاشعًا فيها مقبلًا على الحقّ مبتعِدًا عن شواغِلِ الخَلْقِ وهكذا فِى سائر الأعمال وأما مَنْ لَمْ يراعِ قلبَهُ وبطنَهُ ومالَهُ وأعضاءَهُ ولم يتزيَّنْ بالعلم بل خَبَطَ خَبْطَ عشواءَ فهو أعمى يَمْشِى بين الحفائر أو ضالٌّ فِى أرضٍ مَسْبَعَةٍ مليئةٍ بالأشواكِ والهَوَامِّ القاتلةِ فَمَا بقاؤُهُ قَبْلَ عَطَبِهِ ⊙

ومِنْ أهمّ ما يَحْصُلُ به للمؤمن طِيبُ الأعمالِ هو طِيبُ مَطعمِهِ وأنْ يكونَ مِنْ حلالٍ (**وإنَّ اللهَ عزَّ**) شأنه (**وجَلَّ**) برهانُهُ (**أمرَ المُؤمنينَ بما أمرَ به المُرسلينَ**) فالرُّسُلُ وأُمَمُهُم سواءٌ فِى الدخولِ تَحْتَ هذا الخطابِ (**فقالَ تعالى** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾) جمعُ رسولٍ (﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾) أىِ المَأكولاتِ المُتَّصِفَةِ بالحِلِّ (﴿وَٱعۡمَلُواْ صَـٰلِحًا﴾) أىْ ما يَصْلُحُ مِنَ العبادات وفيه إشارةٌ إلى عدمِ قَبُولِ العبادة كالصلاة أو انعدام ءاثارِها كالاستجابة للدعاء فِى حالِ احتواءِ الجوف على الأكلِ المُحَرَّم (**وقالَ تعالى** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقۡنَـٰكُمۡ﴾) أَىْ مِنْ حلالاتِ ما مَلَّكْنَاكُمْ وأعطيناكُمْ لا مِنَ الرِّزْقِ الخبيثِ ⊙ ومِنْ تبعيضيةٌ تشيرُ إلى أنَّ الله تعالى رَزَقهم فوقَ ما

يحتاجون ⊙

وفِى الآيةِ أيضًا إشارةٌ إلى أنَّ الحرامَ رِزْقٌ كما هو مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ فإنَّ قولَهُ ﴿طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ يُفْهَمُ مِنْهُ أنَّ مِنَ الرِّزْقِ ما ليس طيبًا قال أبو الثناء الأرمويُّ الرِّزقُ عند أهل السنة كلُّ ما يَنتفعُ به حَىٌّ فيندرجُ فيه المَأكلُ والمَشْرَبُ والمَلبَسُ والمَسْكَنُ قالَ تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ والإجماعُ عليه اهـ

قال أبو هريرة رَضِىَ اللهُ عنهُ (**ثم ذَكَرَ**) النبىُّ ﷺ (**الرَّجلَ يُطِيلُ السَّفَرَ**) أىْ فِى العبادةِ كالحجِّ وطلبِ العلمِ والغَزْوِ وذَكَرَ الإطالةَ لأنها أقربُ إلى الإجابة (**أشعثَ**) أىْ متفرقَ الشعرِ كما هو الحال فِى السفر الشاقِّ (**أغبرَ**) أىْ مُغْبَرَّ الوجهِ وهو وما قبلَه صفتان أُخريان للرجلِ تدلانِ على أنَّ رثاثة الهيئةِ عند الدعاء مِن أسبابِ الإجابة لأنَّ فيها زيادةَ ظهورِ الحاجةِ إلى اللهِ تعالى ومِن ثَمَّ طُلِبَ فِى صلاةِ الاستسقاءِ لُبْسُ البِذْلَةِ مِنَ الثياب (**يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماء**) أىْ يَرفعُهُما فِى الدعاء إليها لأنها قِبْلَةُ الدعاء قائلًا (**يا ربِّ يا ربِّ**) أى مكثرًا للدعاء ومكررًا له وفيه إشارةٌ إلى طلبِ رفعِ اليدين فِى الدعاء لِمَا فيه مِن الإشعار بالذُّلِّ والانكسارِ والإقرارِ بِسِمَةِ العَجْزِ ورَوَى أحمدُ وأبو داودَ والترمذىُّ والحاكمُ والبيهقىُّ عن أَبِى مُوسَى مرفوعًا إنَّ الله كريمٌ يَستحِى مِن عبدِهِ أنْ يرفعَ إليه كَفَّيْهِ ثُمَّ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خائبتينِ اهـ ففِى ما تقدَّمَ ذِكْرُ أسبابٍ أربعةٍ لإجابةِ الدعاءِ أحدُها إطالةُ السَّفَرِ فإنَّ السَّفَرَ بمجردِهِ سَبَبٌ لذلك كما فِى حديثِ أبِى داودَ والترمذىِّ وابنِ ماجهْ ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتٌ لا شكَّ فيهِنَّ دعوةُ المَظلومِ ودعوةُ المُسافِرِ ودعوةُ الوالدِ لولدِه اهـ وفِى روايةٍ على ولدِهِ اهـ ومَتَى طالَ كانَ أقربَ إلى الإجابةِ لأنه مَظِنَّةُ حصولِ انكسارِ النَّفْسِ بطولِ الغُرْبَةِ وتحمُّلِ المَشاقِّ والانكسارُ مِنْ أعظمِ أسبابِ إجابةِ الدُّعاءِ، وثانِى

الأسبابِ حصولُ التَّبَذُّلِ فِى اللِّباسِ والهيئةِ بالشَّعَثِ والاغْبِرَارِ كَمَا يَدُلُّ عليه أيضًا خروجُ رسولِ اللهِ ﷺ للاستسقاءِ متبذِّلًا متواضِعًا متضرِّعًا، وثالثُها مَدُّ يديهِ إلى السماءِ كما فِى الحديثِ المُتَقَدِّمِ وفِى حديثِ رَفْعِ النبيِّ ﷺ يديه فِى الاستسقاءِ حتَّى رُئِىَ بياضُ إبطيهِ وحديثِ رفعِ يَدَيْهِ يومَ بدرٍ يَستنصرُ على المشركينَ حتى سَقَطَ رداؤه عَنْ منكبيه اهـ رَوَاهما الشيخانِ، والرابعُ الإلحاحُ على اللهِ تعالى بتكرارِ ذكرِ رُبُوبِيَّتِهِ وقد رَوَى أبو نُعَيْم عن الحسنِ البصريِّ الاستدلالَ لذلك بقولِهِ تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ وخرَّجَ البزَّارُ مِنْ حديثِ أمِّ المُؤمنينَ عائشةَ رَضِىَ اللهُ عنها مَرْفُوعًا إذا قال العبدُ يا ربِّ يا ربِّ أربعًا قال اللهُ لبيكَ عَبْدِى سَلْ تُعْطَهْ اهـ (**و**)لكن إذا كان الدَّاعِى مع ما تقدَّمَ مِنْ وَصْفِهِ (**مَطعَمُهُ حرامٌ ومَشربُهُ حرامٌ وملبَسُهُ حرامٌ وغُذِىَ بالحرام**) أىْ والحالُ أنه حَصَلَتْ تغذيتُهُ وتنميتُهُ وتربيتُهُ بالحرامِ ففيه إشارةٌ إلى ما سبقَ الدعاءَ مِنْ حالِهِ (**فَأَنَّى**) استفهامٌ للاستبعادِ أىْ مِنْ أينَ (**يُستجابُ لذلك**) ولكنه ليس صريحًا فِى استحالةِ الإجابةِ ومَنْعِها بالكُلِّيَّةِ ⊙

وإذا كان هذا حالَ المُتَبَذِّلِ الذى يُطيلُ السَّفَرَ فِى الطاعاتِ فكيف بِمَنْ هو مُنْهَمِكٌ فِى الدنيا مع حُرْمَةِ مَطعمِهِ ومَشربِهِ ومَلْبَسِهِ وغِذائه أو منهمكٌ فِى مَظَالِمِ العبادِ أو غارقٌ فِى الغَفْلَةِ عَنْ أداءِ الواجباتِ بل قد رَوَى البزارُ فِى المسند والطبرانِىُّ فِى مُعْجَمَيْهِ الأوسطِ والكبيرِ

مرفُوعًا لَتَأْمُرُنَّ بِالمعروفِ ولَتَنْهَوُنَّ عنِ المُنكر أو لَيُسَلِّطُنَّ اللهُ عَلَيْكُم شِرَارَكُمْ فيدعو خياركم فَلَا يُسْتَجَاب لَهُم اهـ يعنِى واللهِ إنَّ أحد الْأَمرَيْنِ لكائنٌ إما أن تأمروا بالمعروفِ وتنهَوْا عنِ المُنكر أو يُسرِعَ نزولُ العذابِ والتسليطِ بكم مع عدم قبول الدُّعاء برفْعِهِ ⊙

ومع ما تقدَّم فقد يستجيبُ اللهُ لِمَنْ ليس أهلًا للإجابة تَفَضُّلًا وكَرَمًا ولُطفًا ⊙

ومِنْ أبلغِ أسبابِ إجابةِ الدُّعاءِ أداءُ الواجباتِ والتَّوَرُّعُ عن المُحَرَّماتِ ولِهذَا قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ مَثَلُ الذِى يدعُو بغيرِ عَمَلٍ كَمَثَلِ الذِى يَرْمِى بغيرِ وَتَرٍ اهـ رواه ابنُ أَبِى شيبةَ فِى مصنَّفِهِ وابنُ المباركِ فِى الزُّهْدِ وأخذ هذا المَعْنَى بعضُ الشعراءِ فقال

نحنُ ندعُو الإلَهَ فِى كلِّ كربٍ ثُمَّ ننساهُ عند كشفِ الكُروبِ
كيفَ نرجُو إجَابَةً لِدُعَاءٍ قَدْ سَدَدْنَا طَرِيقَهُ بالذُّنُوبِ

وقال بعضُهُمْ للدعاءِ جناحان صدقُ النِّيَّةِ والتَّوَجُّهِ والمَقَالِ أَىْ والفعالِ وأكلُ الحلالِ أىْ وطِيبُ المَلْبَسِ والمَسْكَنِ اهـ ولأجلِ ذلك رَحَلَ العُبَّادُ وقصدَ الزُّهَّادُ مُوحِشَ الوِديانِ ورؤوسَ الجبالِ فِى طَلَبِهِ لكنَّ الحلالَ فِى هذا الزمن أقلُّ بكثيرٍ مِمَّا قبلُ فمن لم يجده صافيًا فليقتصرْ مِمَّا فيه شبهةٌ على الأقربِ إلى الصافِى اهـ قال بعضُ العارفين إذا كنتَ مضطرًا إلى أكلِ المَيْتَةِ فينبغِى أنك ما دُمْتَ تَلْقَى غَنَمًا لا تأكلُ مِنْ حمارٍ وما دُمْتَ تجدُ حمارًا لا تأكلُ مِن كلبٍ وما دمت تصادفُ كلبًا لا تباشرُ خنزيرًا اهـ ففيه إشارةٌ إلى أنه وقتَ الابتلاء بِعُمُوم المحرمات والشبهاتِ ينبغِى أنْ يُرَاعِىَ العاقلُ ما يُوجَدُ أقربَ إلى الحلالاتِ الصافيةِ غَيْرَةً على نَفْسِهِ وسعيًا على ما يَنْبَغِى فِى نجاتِها ⊙ والحديثُ (**رواه مسلمٌ**) ⊙ والله أعلمُ ⊙

(الحديثُ الحادِىَ عَشَرَ)

(عن أبِى محمدٍ الحَسَنِ بنِ عليّ بنِ أبِى طالبٍ سِبْطِ) أىِ ابنِ بنتِ **(رسولِ اللهِ ﷺ ورَيْحَانَتِهِ رَضِىَ اللهُ عنهُما)** ومَعْنَى رَيْحَانَتِهِ طِيْبُ قَلْبِهِ ﷺ إذْ كان ﷺ يُسَرُّ به وبأخيهِ الحُسَيْنِ ويرتاح قلبُهُ ويطيبُ بهما كما قال عليه الصلاةُ والسلامُ فيما رواه البخاريُّ هُمَا رَيْحَانَتَاىَ مِنَ الدُّنيا اهـ وقد تُوُفِّـىَ الحسنُ رَضِىَ اللهُ عنهُ مسمومًا سنةَ خمسينَ ودُفِنَ بالبَقِيع، ومناقبُهُ جمَّةٌ حجَّ خمسَ عشرةَ مرةً ماشيًا والنجائبُ[1] تُقادُ بين يديه وخرج مِنْ مالِهِ مرتين وقاسَمَ اللهَ عز وجل ماله ثلاثَ مراتٍ حتَّى كان يُمْسِكُ نعلًا ويعطِى نعلًا وأحصنَ سبعينَ امرأةً وَلِىَ الخلافةَ بعد أبيه أشهرًا ثم تنازلَ عنها حقنًا لدِمَاءِ المسلمينَ مصداقًا لِمَا رواه البخاريُّ وغيرُهُ أنَّ النَّبِىَّ ﷺ كان يخطب إذْ جاءَ الحسنُ بنُ عليٍّ فَصَعِدَ إليه فضمَّهُ رسولُ اللهِ ﷺ وقالَ إنَّ ابْنِى هذا سيدٌ وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لَعَلَّهُ أنْ يُصْلِحَ به بين فِئتينِ عظيمتينِ مِنَ المسلمين اهـ **(قالَ حفظتُ مِن رسول الله ﷺ دَعْ ما يَريبُك إلى ما لا يَريبُك)** أىِ اتْرُكْ ما شككْتَ فيه واعدِلْ إلى ما لا تَشُكُّ فيه أى خُذْ ما أيقنتَ أنه حسنٌ وحلالٌ واتركْ ما شككْتَ فيه هل هو حسنٌ أو قبيحٌ أو هل هو حلالٌ أو حرامٌ أو هل هو سنةٌ أو بدعةٌ ففِى الإحياءِ عن يوسفَ بنِ أسباط قال منذ ثلاثينَ سنةً ما حاكَ فِى قلبِى شَىْء إلا تركتُهُ اهـ وفِى الورعِ للمَرْوَزِىّ ولابن أبِى الدنيا عن حسانِ بنِ أبِى سِنانٍ ما شَىْءٌ عندِى أسهلَ منَ الورع إذا حاكَ فِى صدرِى شَىْءٌ تركْتُهُ اهـ وفِى الرسالةِ القُشَيْرِيَّةِ عَن سُفيانَ الثورِىّ ما رأيتُ أسهلَ من الورعِ مَا حَاكَ فِى

---

(١) قوله (والنجائب) هِىَ الإبلُ الكريمةُ واحدتها نجيبة. الفقير.

نفسِكَ تَرَكْتَهُ اهـ قلتُ وهذا بحسبِ مَقَامِهِما وإلا فهو على كثيرٍ أصعبُ مِنْ نَقْلِ الجبالِ اهـ

ومعنَى الحديثِ يرجعُ إلى الوُقوفِ عند الشُّبُهاتِ واتقائِها والاقتصارِ على الحلالِ المَحْضِ الذِى لا يحصلُ لِمُؤْمِنٍ فِى قلبِهِ منه رَيْبٌ أىْ قلقٌ واضطرابٌ بل تسكنُ إليه النَّفْسُ ويطمَئِنُّ إليه القَلْبُ بل عادةُ أهلِ اللهِ أن يجعلوا بينَهُم وبين الحرامِ حاجزًا مِنَ الحلالِ فضلًا عن وَدْعِ الإثْمِ وما تشابَهَ منه ⊙ والمقصودُ أن يَبْنِىَ المكلَّفُ أمورَهُ على اليقينِ على وَفْقِ حديثِ الحلالُ بَيّنٌ والحرامُ بَيّنٌ وبينهما أمورٌ مشتبهاتٌ اهـ ولذلكَ قال العلماءُ لا يجوزُ للمُكلَّفِ الدُّخولُ فِى شىْءٍ حَتَّى يعلمَ ما أحلَّ اللهُ منه وما حَرَّمَ ⊙

وقد جاءَتْ أمورٌ فِى الشريعة الأصلُ فيها الحُرْمَةُ فوجبَ الابتعادُ عنها إلى أن يُعْلَمَ حِلُّها كالأبضاعِ الأصلُ فيها الحُرمةُ إلا ما حلَّ بالطريق الشرعِىّ فطالما شَكَّ الإنسان فِى الحِلِّ لم يَجُزْ له الإقدامُ عليها وكاللُّحُومِ الأصلُ فيها الحُرْمَةُ فلا يجوزُ أكلُها إلا ما عُلِمَ حِلُّهُ فحيثُ شكَّ الإنسانُ فِى اللَّحم هل هو مُذَكًّى ذكاةً شرعيةً أو لا لم يَجُزْ له أكلُهُ مع الشكِّ بالإجماعِ كما نقلَهُ السُّيُوطِىُّ فِى الأشباهِ والنظائرِ وغيرُهُ قبلَه وبعدَه وهو مبنِىٌّ على أحاديثَ صريحةٍ كحديثِ سؤالِ بعضِ الصحابةِ رسولَ الله ﷺ عن الصيدِ إذا وجدَ عندَهُ كَلْبَهُ المُعَلَّمَ وكلبًا ءاخَرَ فلم يَدْرِ أكَلْبُهُ الذِى قتلَ أو الآخرُ أجابَهُ ﷺ بالمَنْعِ منَ الأكل رواه البخارىُّ وغيرُهُ ومنه يُعْلَمُ أنَّ اللَّحْمَ إذا وُجِدَ فِى البلدِ وكان لا يُعْلَمُ هَلْ ذَبَحَهُ مَنْ تَحِلُّ ذبيحتُهُ أو ذُبِحَ بالآلاتِ الأُوتوماتيكيَّةِ التِى لا يُحرِّكُها إنسانٌ عِنْدَ كلِّ ذَبْحَةٍ لم يَجُزِ الإقدامُ على تناولِهِ ⊙

والرِّيبَةُ تَقَعُ فِى العباداتِ كما تقعُ فِى المعاملاتِ ومِن ثَمَّ كان الخروجُ مِن خِلافِ المَذاهبِ حيثُ يُستطاع ذلكَ أفضلَ بإجماعِ علماءِ الأمةِ لأنه أبعدُ مِنَ الشبهةِ نعم قد تكونُ الرُّخَصةُ ثَبَتَتْ عن رسولِ اللهِ ﷺ من غيرِ معارِضٍ ولم تبلغْ بعضَ العلماءِ فلم يَقُولوا بها لذلكَ فالأولَى فِى هذهِ الحالِ اتِّباعُ الرُّخْصَةِ وكذا لو عَمِلَ بالرُّخصةِ شذوذٌ مِنَ الناسِ واشتهرَ فِى الأمةِ العملُ بخلافِها فِى أمصارِ المسلمينَ فِى عهدِ الصحابةِ رَضِىَ اللهُ عنهُم والتابعينَ وأتباعِهِمْ فإنَّ الأخذَ بما كانَ العملُ عليه من قِبَلِ أهلِ القرونِ الثلاثةِ الفاضلةِ أولَى مِنْ روايةٍ شاذَّةٍ ⊙

ورُبَّمَا دَقَّقَ فِى التَّوَقُّفِ عنِ الشُّبُهاتِ مَنْ لَمْ تَسْتَقِمْ أحوالُهُ ولا تشابَهَتْ أعمالُهُ فِى التَّقْوَى فيقعُ فِى انتهاكِ المُحَرَّماتِ الظاهرةِ ثم يريدُ أن يتورَّعَ عن بعضِ دقائقِ الشُّبْهَةِ فمثلُ هذا لا يَنبغِى السُّكُوتُ له بل يُنكَرُ عليه تَبْكِيتًا على قلةِ تقواه وتنبيهًا على أنَّ الأولَى أنْ يشتغلَ بتركِ المُحَرَّماتِ قبلَ السؤالِ عن دقائقِ الوَرَعِ كما سألَ بعضُ أهلِ العراقِ ابنَ عمرَ رَضِىَ اللهُ عنهُما عَنْ دَمِ البعوضِ يصيبُ الثوبَ فقال انظروا إلى هذا يسألُ عَنْ دمِ البعوضِ وقد قتلُوا ابنَ رسولِ اللهِ ﷺ اهـ يعنِى الحسينَ رَضِىَ اللهُ عنهُ رواه الترمذىُّ وغيرُهُ ⊙

وحديثُ المَتْنِ **(رواه الترمذىُّ)** نسبةً لمدينةٍ قديمةٍ على طرفِ جَيْحُونَ وهو نهرُ بَلْخ وهو أبو عيسى محمدُ بن عيسى بن سَوْرة الحافظُ الكبيرُ مِن أَوْعِيَةِ الفقهِ والحديثِ تُوُفِّىَ بِتِرْمِذَ سنةَ تسعٍ وسبعين ومِائَتَيْنِ **(والنَّسائىُّ)** نسبةً لِنَسَا فِى خُراسان وهو أبو عبدِ الرحمنِ أحمدُ بنُ شُعَيْبٍ مِنْ أعلامِ العلماءِ الفقهاءِ الحُفَّاظِ ماتَ سنةَ ثلاثٍ وثلاثِمِائَةٍ بسببِ سؤالٍ سُئِلَهُ مِن بعضِ أهلِ الشامِ قالوا لِمَ لا تُخْرِجُ فضائلَ معاويةَ فقالَ ماذا أُخْرِجُ له حديثَ لا أشبعَ اللهُ بَطْنَهُ

فانهالوا عليه رَفْسًا ثم حُمل إلى مكةَ أو إلى الرملةِ حيثُ ماتَ مِن أَثَرِ ذلك رَحِمَهُ اللهُ تعالى (**وقال الترمذيُّ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ**) ⊙

واللهُ أعلمُ ⊙

(الحديثُ الثانِىَ عَشَرَ)

هو حديثٌ جليلٌ عظيمٌ كما قال أبو داودَ وغيرُهُ (**عن أبِى هريرة رَضِىَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ مِن حُسْنِ إسلامِ المَرْءِ تَرْكُه ما لا يَعْنِيهِ**) أىْ أنَّ الحالَ الحسنةَ التِى ينبغِى أن يكونَ عليها الإنسانُ المتحَلِّى بالإسلامِ حينَ الإتيانِ بأحكامه هِىَ تركُه ما لا يعنيه ⊙ وهذا (**حديثٌ حَسَنٌ رواه الترمذيُّ وغيرُهُ**) ⊙

وهذا مِنَ الكلامِ الجامعِ للمعانِى الكثيرةِ الجليلةِ فِى الألفاظِ القليلةِ اهـ ذكرَ مالكٌ فِى المُوَطَّإِ أنه بلَغَه أنه قيل لِلُقْمَانَ ما بلغَ بِكَ ما نَرَى يريدون مِن الفضل فقال صدقُ الحديثِ وأداءُ الأمانةِ وتركُ ما لا يعنينِى اهـ ورَوَى أبو عُبيدة عن الحسن قال مِنْ علامةِ إعراضِ اللهِ تعالى عنِ العبدِ أن يجعلَ شُغله فيما لا يَعْنِيهِ ورُوِىَ مثلُهُ عنِ الجُنَيْدِ ومعروفٍ الكَرْخِيِّ رَضِىَ اللهُ عنهُما ومعنَى يَعْنِيهِ أنه تتعلقُ به عِنَايَتُهُ ويكونُ مِنْ مَقْصِدِهِ ومَطلوبِهِ مِن العَنَا بمعنى شدة الاهتمام يقالُ عَنَاهُ يَعْنِيهِ إذا اهتمَّ به وطلبَهُ والمُرادُ أنْ يتركَ ما لا يُعْتَنَى بِهِ بِحُكْمِ الإيمانِ والإسلامِ والإحسانِ على ما مَرَّ بيانُهُ فِى حديثِ جبريلَ لا بِـحُكْمِ الهَوَى والمُيُولِ النَّفْسانيَّةِ فإنَّ كمالَ الإيمانِ يَقتضِى كمالَ الإسلامِ ومنه أداءُ الواجباتِ واجتنابُ المُحرماتِ كما تدلُّ عليه الأحاديثُ ⊙ والإحسانُ يقتضِى فوقَ ما تَقَدَّمَ الزيادةَ مِنَ الطاعاتِ والحياءَ مِنَ اللهِ تعالى ومنهُ تركُ المَكْرُوهاتِ والمُشتبهاتِ وفضولِ المباحاتِ وعليهِ

فما يَعْنِى الإنسانَ مِنَ الأمورِ هو ما يتعلقُ بضرورةِ حياتِهِ فِى معاشِهِ مِمَّا يَكْفِيهِ الجوعَ والعطشَ ويسترُ عورتَهُ ويُعِفُّ فَرْجَهُ ويُسْكِنُهُ وما يتعلقُ بضرورةِ سلامَتِهِ فِى مَعَادِهِ وهو الإسلامُ والإحسانُ وذلك يَسِيرٌ بالنسبةِ إلى ما لا يَعْنِيهِ فإذا سَلِمَ المرءُ مِنَ الآفاتِ النَّفسانيَّةِ والشُّرُورِ القَلبيَّةِ والمخاصماتِ التِى هى لِحَظِّ النفسِ لا لإحقاقِ الحقِّ وإبطالِ الباطلِ وأعرضَ عن الأغراض الشَّهَوِيَّةِ مِنَ التَّوَسُّعِ فِى الدنيا الدَّنِيَّةِ وطلَبِ المناصبِ الرئاسيَّةِ واشتغلَ بما فيه صلاحُ مَعَاشِهِ ومعادِهِ وَوَجَّهَ هَمَّهُ فِى الدنيا لأخذ زادِهِ للآخرة وسَعَى فِى الكمالاتِ العلميةِ والعمليةِ التى هِىَ سبيلُ تحصيل المصالح الأُخروية ووسيلةُ الوصولِ إلى السعادات الأبَديَّة والنِّعم السَّرمديَّة فقد جانبَ ما لا يَعنيه وصَرَفَ وقتَهُ فِى ما يَعْنِيهِ وإن عملَ على العكس مِن ذلك فقد اشتغل بما لا يَعنيه وضَيَّعَ عمُرَه فيه وفَاتَهُ بذلك ما يَعنِيه وكَمْ مِنْ أُناسٍ مَضَتْ أعمارُهم فِى الاهتمامِ لِسَعَةِ بيتِ فلانٍ وضِيقِ بيتِ الآخَرِ وأثاثِ بيتِ امْرِئٍ ومعيشةِ امْرِئٍ ءَاخَرَ ووسيلةِ الاتصالِ التِى يحملُها ونوعِ التِى يحملُها الآخَرُ وكيفيَّةِ تنقُّلِه وماذا يستقِلُّ وكيف وبأيشٍ ينتقلُ الآخرُ وعنْ جمالِ إنسانٍ وبشاعةِ ءَاخَرَ وزعامةِ فلانٍ أو زعامةِ ءَاخَرَ ثم مَاتُوا عن قَرِيبٍ وأفاقوا مِن سُباتِ غَفْلَتِهِمْ لِيَجِدُوا مزاودَهُمُ الأُخرويةَ خاليةً من الحسناتِ فارغةً مِنَ الثوابِ أعاذنا اللهُ مِن مثلِ ذلك ⊙

وأما الكلامُ فَحَدُّ ما لا يَعْنِيك منه أن تتكلمَ بما لو تكلمتَ به لم تُثَبْ ولو سكتَّ عنه لم تأثَمْ ولم تتضرَّرْ حالًا أو مآلًا فإنك إنْ نطقتَ به ضَيَّعْتَ زمانَكَ وعَرَّضْتَ نفسَكَ للمحاسبةِ على ما جَرَى به لسانُكَ إن زلقَ فِى أثنائه واستبدلْتَ الذِى هو أَدْنَى بالذِى هو خيرٌ ومشيْتَ على شفيرِ مَهْوَاةِ الرياءِ ووَهْدَةِ المِراءِ وحفرةِ السُّمعةِ ولو صَرَفْتَ هذا الوقتَ فِى الفِكْرِ والدُّعَاءِ والذِكْرِ لوجهِ اللهِ عزَّ وجلَّ لوجدتَ جَدْوَى

ذلك ولتعرضتَ لنفحاتِ الخيرِ فَلَوْ سَبَّحْتَ مَثَلًا لكان لكَ غَرْسٌ فِى الجنة ولو حَوْقَلْتَ لَنِلْتَ كنزًا مِن كنوزها ولو جَلَسْتَ فِى حَلْقَةٍ مِنْ حِلَقِ العلمِ والذِّكرِ لَرَتَعْتَ فِى رياضِها فَمَنْ قَدَرَ على ذلك كيف يَعْدِلُ عنه إلى ما هو دُونَهُ عَيْنًا كان أو عَرَضًا ⊙ روَى أبو نُعيم فِى الحلية أنَّ داودَ بنَ نُصَيْرٍ الطَّائىَّ رَضِىَ اللهُ عنهُ كان يجلس فِى حلقةِ الإمامِ أبِى حنيفة يَسمعهم يتكلمون فِى المسئلةِ وهو يجيدُ التكلمَ فيها ويَشتهِى ذلك أشدَّ مِنْ شهوةِ العطشانِ إلى الماءِ فلا يفعلُ إذْ كان فِى كلام غيره ما يُغْنِى عن كلامه اهـ هذا وكلامُهُمْ كان فِى أحكام الدين وأمور الآخرة وإنما أرادَ كسرَ شهوةِ نفسِهِ ورياضتَها على التواضعِ والإخلاصِ وتركِ ما لا يُحتاج إليه فكيف بِمَنْ يأخذُ ليلَ نهارَ فِى معاصٍ مُوبِقَةٍ وأكاذيبَ مُهْلِكَةٍ يُسْخِطُ بها ربَّهُ أو فِى أفاعيلَ وأحاديثَ سخيفةٍ وأضاحيكَ ركيكةٍ يُرِيقُ بها ماءَ وَجْهِهِ ويُسْقِطُ مَرْتَبَتَهُ ⊙ وقد قالَ ربُّنا تبارك وتعالى فِى وَصْفِ أهلِ الكمالِ مِنَ المؤمنين ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ وروَى ابنُ حِبَّان مرفوعًا أنَّ فِى صُحُفِ إبراهيم عليه السلام على العبدِ أن يكونَ بصيرًا بزمانه مقبلًا على شأنِهِ حافظًا للسانه ومَنْ حسَبَ أىْ عَدَّ كلامَهُ مِنْ جملةِ عَمَلِهِ قلَّ كلامُهُ إلَّا فِى مَا يَعْنِيهِ اهـ فكيفَ إذا غَفَلَ الإنسانُ عن قولِهِ تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ وعن قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ غفَلَ عن هذا كلِّهِ وأطلَقَ لِسانَهُ مِنْ عِقالِهِ بلا مبالاةٍ بما يقولُ وهل هو مِمَّا يعنِيهِ أو لا ⊙

ومِمَّا يَعنِى الإنسانَ القيامُ بالنصيحةِ للهِ عزَّ وجلَّ ولكتابِهِ ولرسولِهِ

ولأئمةِ المسلمينَ ولِعَامَّتِهِمْ كما مَرَّ ومِن ذلك الأمرُ بالمعروفِ والنَّهْىُ عنِ المُنْكَرِ فلا يصحُّ أن يُقالَ إنَّ تَرْكَ ذلك إعراضٌ عمَّا لا يَعْنِى المَرْءَ بل هو سببٌ للهَلَكةِ فقد رَوَى أبو داود والترمذىُّ وقال حسنٌ صحيحٌ والنَّسَائىُّ وابنُ ماجهْ وابنُ حِبَّانَ وغيرُهُم عن سيِّدِنا أَبِى بكرٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ أنه قالَ يا أيها الناسُ إنكم تقرؤُونَ هذه الآيةَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ وإنَّكُمْ تضعونها على غيرِ مواضِعِها وإنِّى سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ إنَّ الناسَ إذا رَأَوُا المُنْكَرَ ولم يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ اللهُ أنْ يعمَّهُمْ بعقابِهِ اهـ واللهُ يَهْدِى مَنْ يشاءُ وبه الحولُ والقوةُ وهو أعلمُ ⊙

(الحديثُ الثالثَ عَشَرَ)

(عن أَبِى حمزةَ أنسِ بنِ مالكٍ) الأنصارىِّ الخَزْرَجِىِّ النَّجَّارِىِّ **(خادمِ رسولِ اللهِ ﷺ)** عشرَ سنينَ فِى المدينة إلى أن تُوُفِّىَ ﷺ وهو عنه راضٍ ودَعَا له عليه الصلاة والسلام بطولِ العُمُرِ وكثرةِ الوَلَدِ والمالِ فعاش أكثرَ من مِائَةِ سنةٍ ودَفَنَ مِنْ أولادِهِ وأحفادِهِ مِائَةً وكان نخلُهُ يُثْمِرُ فِى السنة مرَّتَيْنِ قصد البصرة وماتَ بقصرِهِ على فرسخين منها سنة تسعين وَرُوِىَ له ألفان ومِائَتَا حديثٍ **(عن النَّبِىِّ ﷺ قال لا يُؤْمِنُ أحدُكُمْ)** أى إيمانًا كاملًا أىْ لا يبلغُ غايتَهُ وأقصاهُ ونَفْىُ اسمِ الشَىْءِ على معنَى نَفْىِ الكمالِ عنه مستفيضٌ شائعٌ فِى لسانِ العربِ كما يقولون فلانٌ ليس بإنسانٍ وليس بشَىْءٍ وليسَ بعاقلٍ **(حَتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ)** وفِى بعضِ الرواياتِ زيادةُ المسلمِ **(ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)** أىْ مثلَ ما يُحِبُّ لنفسِهِ مِنَ الطاعاتِ والخَيراتِ والنِّعَمِ المَحمودةِ العاقبةِ ⊙ ويُوضِحُهُ روايةُ النَّسَائىِّ وهِىَ ما يحب لنفسه مِنَ الخَيْرِ اهـ قال أبو عَمْرِو بنُ الصلاحِ فِى صِيَانةِ صحيحِ مسلمٍ مِنَ الإخلالِ والغَلَطِ وهذا

قَدْ عُدَّ مِنَ الصَّعْبِ المُمْتَنِعِ وليس كذلك إذْ معناه لا يَكْمُلُ إيمانُ أحدِكُم حتى يحبَّ لأخِيهِ فِى الإسلام ما يحبُّ لنفسِهِ والقيامُ بذلك يحصلُ بأنْ يحبَّ له حصولَ مثلِ ذلكَ مِنْ جهةٍ لا يُزَاحِمُهُ فيها بحيثُ لا يَنْقُصُ عليه شَىْءٌ مِنَ النِّعْمَةِ وذلك سَهْلٌ قريبٌ على القلبِ السَّلِيمِ وإنما يَعْسُرُ على القلبِ الدَّغِلِ يعنِى الحقودَ عافانا اللهُ وإخوانَنا أجمعين اهـ ونقله النووىُّ فِى شرح مسلم اهـ

هذا وإذا كانَ المُؤمنُ متواضعًا يَنْظُرُ إلى نفسِهِ بعينِ النَّقْصِ ويحزنُ على نفسِهِ لتقصيرِهِ ولِتَخَلُّفِهِ عنِ اللَّحاقِ بِرَكْبِ السَّابقينَ مِنْ أهلِ الدرجاتِ العُلْيَا أحبَّ عندئذٍ للمُؤْمِنِينَ أنْ يَكُونُوا خيرًا منه إذْ هو يُحِبُّ لنفسِهِ حالًا خيرًا مِنْ حالِهِ ولا يَرْضَى بما هِىَ عليه بل يَسْعَى فِى صلاحِها ⊙

وكذا مِنْ كمالِ الإيمانِ أنْ يُبْغِضَ لأخيه ما يُبْغِضُ لنفسه ولم يذكرْهُ لأنَّ حُبَّ الشَىْء مستلزِمٌ لبُغْضِ نَقِيضِهِ فيكون مِن باب الاكتفاءِ كما اكتفَى فِى الحديث السابق بترك ما لا يَعنِيه عن فعلِ ما يَعنيه وقد جاءَ فِى خبرِ الإمام أحمد أفضلُ الإيمان أن تحب للناس ما تحبُّ لنفسك وتكرهَ لَهُم ما تكرهُ لنفسك اهـ قال ابنُ هُبيرة فِى الإفصاح فِى هذا الحديث مِنَ الفِقهِ أنَّ المؤمنَ مَعَ المُؤْمِنِ كالنَّفْسِ الواحدةِ فينبغِى أنْ يُحِبَّ له ما يُحِبُّ لنفسه من حيث إنهما نفس واحدة كما جاء فِى الحديثِ الآخَرِ المُؤمنون كالجسد الواحد اهـ وإذا تَرَقَّى المسلمُ مِن أهل السنة والجماعة إلى هذه الدرجةِ استحقَّ الجنةَ بلا عذابٍ كما جاء فِى حديثِ ابنِ أبِى شيبةَ والطبرانِىّ وغيرِهِما مَنْ سَرَّهُ أنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ ويُدخَلَ الجنة فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وهو يَشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله وَلْيَأْتِ الناسَ بما يحب أن يُؤْتَى إليه اهـ وربما تجاوزَ بعضُ الناسِ هذه المرتبةَ فوصلوا إلى درجةِ الإيثارِ بأنْ يُؤْثِرُوا

غيرَهُمْ على أنفسهم أىْ لا فِى الطاعاتِ والعباداتِ فلا يُؤثرُ غيرَهُ مثلًا بالصفِّ الأولِ فِى صلاةِ الجماعةِ بل يُنافسُ فِى مثلِ ذلك، وهذه أىْ درجةُ الإيثارِ مرتبةٌ عظيمةٌ جدًا مَدَحَ الله تعالى أهلها فِى الكتاب الكريم فقال ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ وجاءَ فيها عند الشيخين وغيرِهما حديثُ أبِى طلحةَ الأنصاريّ الذِى نَزَلَ به ضيفٌ وليس عنده ما يزيد عن قوتِ صبيانِهِ فقال لزوجِهِ عَلّلِى صبيانَكِ بشَىْءٍ ونَوِّمِيهِمْ فإذا دخل ضَيْفُنا فَأَرِيهِ أنَّا نأكلُ فإذا أَهْوَى بيدِهِ فقُومِى إلى السراجِ كَىْ تُصلِحيهِ فَأَطْفِئيهِ ففعلَتْ فقعدُوا فَأَكَلَ الضيفُ وأظهرا فِى الظلمةِ كأنهما يأكلان وباتا طاوِيَيْنِ فلمَّا أصبحَ أبو طلحة غدا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ لقد عَجِبَ اللهُ من صنيعكما بضيفِكُمَا الليلة اهـ قال الكلاباذِىُّ أى عظَّمَ اللهُ ذلكَ قال والعَجَبُ استعظامُ الشَىْء اهـ وقال الخطَّابِىُّ والقاضِى عياضٌ وغيرُهُما معناه الرِّضَا اهـ وفِى هذهِ الحادثةِ نزلَ قولُهُ عزَّ وجلَّ فِى سورةِ الحشر ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ⊙ ومِنْ أعلى ما يُرْوَى فِى الإيثار ما رواه ابنُ عساكر عن أبِى جَهْم بنِ حُذَيْفَةَ قال انطلقتُ يومَ اليَرموكِ أطلبُ ابنَ عَمِّى ومعِى شَنَّةُ ماءٍ وإناءٌ فقلتُ إنْ كانَ بِهِ رَمَقٌ سقيْتُهُ مِنَ المَاءِ ومسحْتُ به وجهَهُ قال فإذا أنا به يَنْشَغُ أىْ يَشهقُ حتَّى يكاد يبلغ به ذلك الغَشْىَ فقلتُ له أسقيكَ فأشار أنْ نعم فإذا رجلٌ يقول ءَاه فأشار ابنُ عَمِّى أنِ انطلقْ به إليه فإذا هو هشامُ بنُ العاص أخُو عمرِو بنِ العاص فأتيتُهُ فقلتُ أسقيكَ فسمع ءَاخَرَ يقول ءَاه فأشار هشامُ أنِ انطلقْ به إليه فجئْتُهُ فإذا هو قد ماتَ ثم رجعتُ إلى هشامٍ فإذا هو قد ماتَ ثم أتيتُ ابنَ عَمِّى فإذا هو قد ماتَ اهـ

والحديثُ **(رواه البخاريُّ ومسلمٌ)** وأخرجه الإمامُ أحمدُ وأصحابُ السُّنَنِ ⊙

والله تعالى أعلمُ ⊙

(الحديثُ الرابعَ عَشَرَ)

(عنِ ابنِ مسعودٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لا يَحِلُّ دَمُ امرئٍ مسلمٍ) أىْ لا يَحِلُّ إراقةُ دَمِهِ أىْ قتلُهُ وفِى بعض روايات الصحيحين زيادةُ يَشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وهىَ كالتفسيرِ لقوله مسلمٍ **(إلا بإحدى ثلاثٍ)** أىْ ثلاثِ خِصَالٍ أىْ لا يجوز قتلُ مسلم بسببٍ مِنَ الأسباب إلا بارتكابِ أمرٍ مِنْ هذه الثلاثِ أَحَدُها **(الثَّيِّبُ)** بالرفع وهو الروايةُ **(الزَّانِى)** والمرادُ هنا بالثيِّبِ المُحْصَنُ وهو المُكَلَّفُ الحُرُّ الذِى جامعَ فِى نكاحٍ صحيحٍ ويقتلُهُ الحاكمُ لا غيرُهُ رَجْمًا لا بضربِ عُنُقٍ ولا غيرِ ذلكَ مِن سُبُلِ القَتْلِ إجماعًا على وَفْقِ ما ثَبَتَ فِى الصحيحينِ وغيرِهما عنْ رسولِ اللهِ ﷺ ⊙ وكان رَجْمُ المُحْصَنِ يُتْلَى قُرْءَانًا ثم نُسِخَتْ تلاوتُهُ وبَقِىَ حكمُهُ كما فِى رواياتِ الطَّيَالِسِىِّ وابنِ حِبَّانَ والطبرانِىِّ والبيهقِىِّ وغيرِهِم عن عدةٍ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ وقد رَجَمَ رسولُ الله ﷺ وَرَجَمَ الخلفاءُ الراشدون ومِنْ بَعْدِهِم السلاطينُ على تَوَالِى العصورِ بلا إنكارٍ مِنْ أَحَدٍ مِمَّن يُعتد به فانضافَ الإجماعُ العَمَلِىُّ إلى الإجماعِ القَوْلِىِّ بشأنِهِ زيادةً على النصوصِ الصريحةِ فيه ⊙ قال إمامُنَا الشافعىُّ رَضِىَ اللهُ عنهُ أخبرنا مالكٌ عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ يقول قال عمر بن الخطاب رَضِىَ اللهُ عنهُ إيَّاكُم أنْ تَهْلِكُوا عن ءَايَةِ الرَّجْمِ أن يقولَ قائلٌ لا نجدُ حدَّينِ فِى كتابِ اللهِ فَقَدْ رَجَمَ رسولُ الله ﷺ وَرَجَمْنَا فَوَالَّذِى نفسِى بيدِهِ لولا أن يقولَ

النَاسُ زاد عمرُ فِى كتابِ اللهِ لكتبتُهَا الشيخُ والشيخةُ إذا زَنَيَا فارجموهما ألبتة فإنَّا قد قرأناها اهـ ثم الزِّنَا المُوجِبُ للحدِّ يكون بإدخالِ الحشفةِ أو قدرِهَا مِنْ مقطوعها فِى الفَرْجِ لا بما دون ذلك ولا يَثبت إلا بإقرارٍ أو شهادةِ أربعةِ عدولٍ ذكورٍ رَأَوْا حُصولَ المعصيةِ كالرِّشَاءِ أىْ كالحبلِ فِى البِئْرِ **(والنَّفْسُ بالنَّفْسِ)** أىْ وقاتلُ النَّفْسِ يُقْتَلُ قِصَاصًا بالنَّفْسِ التِى قَتَلَهَا عُدوانًا أىْ بشروطِهِ المعلومةِ وهو خاصٌّ بِوَلِىِّ الدمِ فلو قتلَهُ غيرُهُ أَثِمَ فإنَّ اللهَ تعالى قال فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا أىْ لا لغيرِهِ **(والتَّارِكُ لدينِهِ)** أىِ المُرْتَدُّ عنِ الإسلامِ **(المُفَارِقُ)** باعتقادِ قلبِهِ أو نُطْقِ لسانِهِ أو فِعْلِ جوارحِهِ **(للجماعةِ)** أىْ لِجَماعة المسلمين أىْ للدِّينِ الذِى هُمْ عليه وهو تأكيدٌ لِمَا قَبْلَهُ فالرِّدَّةُ هِىَ قطعُ الإسلامِ بعقدٍ أو قولٍ أو فعلٍ كما عَرَّفَهَا الشيخُ رحمه اللهُ وغيرُهُ ويجبُ على الحاكمِ قَتْلُ مَنْ وَقَعَ فيها إنْ لَمْ يَتُبْ بعد أن يستتيبَهُ ⊙ واستثناؤه مِن المسلم باعتبار ما كان قبل رِدَّتِهِ خُصُوصًا وأنه ما زال له عِلَاقة ⊙ والمَعْنَى فِى قَتْلِهِ أنَّ فِى تَرْكِهِ على الرِّدَّةِ مع إصرارِهِ خَلَلًا لنظام عَقْدِ الإسلامِ فوجبَ قتلُهُ حِفْظًا للأحكامِ ⊙ وفِى روايةٍ للنَّسائِىِّ رجلٌ زنَى بعدَ إحصانِهِ فعليه الرَّجْمُ أو قَتَلَ عمدًا فعليه القَوَدُ أو ارتدَّ بعدَ إسلامِهِ فعليه القَتْلُ اهـ هذا فِى الرجل وأما المرأةُ إذا ارْتَدَّتْ ولم ترجع إلى الإسلام فتُقتل عندنا معشرَ الشافعيةِ وعند كثيرينَ منَ الأئمة ولا تُقتل عند الإمام أبى حنيفة رحمه الله بل تُحْبَسُ حتى ترجع إلى الإسلام ⊙

وفِى الحديث دليلٌ على أنَّ المُبْتَدِعَ لا يُقْتَلُ بِبِدعته ما لم تكن كُفْرًا مِنْ نحو التجسيم وَنَفْىِ القَدَرِ ونَفْىِ الصِّفَاتِ عَنِ البارئ تبارك وتعالى فإنَّ الأئمة الأربعة كَفَّرُوا الواقعَ فيها ⊙

فائدةٌ. قالَ الإمامُ الشافعىُّ رَضِىَ اللهُ عنهُ فِى خلالِ كلامٍ له على

الحديث المتقدم إنَّ كلمةَ الكفرِ تُحِلُّ الدمَ كما يُحِلُّهُ الزنا بعد الإحصان اهـ ذَكَرَهُ فِى كتاب الأم له وهو صريحٌ فِى أَنَّ مِنَ الكُفْرِ ما يكون باللسان ولو لم يصحبْهُ اعتقادٌ أو فعلٌ كما أَنَّ منه ما يكونُ باعتقادٍ قلبيٍّ مُجَرَّدٍ عن قولٍ وفعلٍ وأَنَّ منه ما يكون بفعلٍ بالجوارح مجردٍ عن قولٍ واعتقادٍ على خلافِ ما ذهب إليه بعضُ المُتَفَيْهِقِينَ فِى أيامنا مِمَّن لم يعرفوا الأصولَ ولا الفروعَ ولا يُبالون بنصٍّ أو إجماعٍ واللهُ المستعانُ ⊙

فائدةٌ ثانيةٌ. يُلحَقُ بما تقدَّمَ مِنَ الأسبابِ المُوجِبَةِ للقتلِ أمورٌ نَصَّتِ الأحاديثُ عليها أو استُنْبِطَتْ منها كتركِ الصلاةِ المفروضةِ عمدًا فمَنْ رأى أنَّ تركَها خروجٌ عنِ الدِّينِ كان ذلك عنده ردةً كتركِ الشهادتينِ وإنكارِهِما ومَنْ لَمْ يَرَ ذلك وهُمُ الجُمْهُورُ فقد قال قسمٌ منهم هو مُلْحَقٌ بتاركِ الدِّينِ فِى القتلِ إنْ لَمْ يَتُبْ وهو مذهبُ إمامِنَا الشافعيِّ رَضِىَ اللهُ عنهُ وقال ءاخَرُونَ كالإمامِ أَبِى حنيفةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ لا يُقتلُ بذلك بل يُحبَسُ ويُشَدَّدُ عليه حتَّى يُصَلِّيَ اهـ

والحديثُ (**رواه البخاريُّ ومسلمٌ**) وأصحابُ السُّنَنِ وغيرُهُم ⊙

واللهُ تعالى أعلم ⊙

(الحديثُ الخامسَ عَشَرَ)

(**عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ عَن رسولِ الله ﷺ قال مَنْ كانَ**) وأتى بِمَنِ الشَّرْطيَّة ثم كَرَّرَها فِى كل جملة إِنْبَاءً عَنِ الاعتناء بكلِّ خَصلةٍ مطلوبةٍ فِى هذا الحديث (**يؤمن**) إيمانًا كاملًا (**بالله**) أىْ وبرسوله وبما بَلَّغَهُ عَنِ الله (**واليومِ الآخِرِ**) وخَصَّهُ بالذِّكْرِ مِنْ بينِ ما بَلَّغَهُ النبيُّ ﷺ عن رَبِّهِ لأنَّ مَنْ ءامَنَ به رَجا الثوابَ فأقدمَ على الخيرِ

وخافَ العقابَ فارتدعَ عنِ الشَّرِّ بخلافِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ **(فليقُلْ خيرًا)** يَنتفعُ به **(أو لِيَصْمُتْ)** قال بعضُ العلماء جِمَاعُ ءَادَابِ الخيرِ أَيْ مَجْمَعُها يَتفرعُ من أربعةِ أحاديثَ ذَكَرَ منها قَوْلَهُ ﷺ مَنْ كان يؤمن باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خيرًا أو لِيَصْمُتْ اهـ فإذا أراد المُتكلِّمُ أنْ يَتَكَلَّمَ فإنْ كانَ ما يتكلمُ به خيرًا مُحَقَّقًا يُثَابُ عليه فليتكلمْ وإلا فَلْيُمْسِكْ عنِ الكلامِ إنْ لم تظهَرْ له فيه فائدةٌ عاجلةٌ أو ءَاجِلةٌ سواءٌ ظهرَ أنه حرامٌ أم مكروهٌ أم مُبَاحٌ فَعَلَى هذا يكونُ العبدُ مأمورًا بتركِ مثلِ هذا الكلامِ المُباحِ مندوبًا إلى الإمساكِ عنه مخافةَ أنْ يَنْجَرَّ إلى المُحرَّمِ أو المَكْرُوهِ وقد يقعُ ذلك كثيرًا قال تعالى ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ وفِى حديثِ الترمذيِّ فِى سُنَنِهِ والدارِمِيِّ فِى سُنَنِهِ وأحمدَ فِى مسندِهِ وغيرِهِم مرفوعًا مَنْ صَمَتَ نَجَا اهـ أَيْ لِمَا فِى كثيرٍ مِنَ الكلامِ مِنَ الآفاتِ وفِى خَبَرِ الطبرانِيِّ فِى مُعْجَمِهِ الكبيرِ والبيهقِيِّ فِى الشُّعَبِ إنك لم تَزَلْ سَالِمًا ما سَكَتَّ فإذا تكلمتَ كُتِبَ لك أو عليك اهـ ومِن ثَمَّ كان شيخُنا الهررىُّ رحمه الله يقولُ مَنْ كَثُرَ لَغْوُهُ يُخْشَى عليه سُوءُ الخاتمةِ اهـ

وفِى الإفصاحِ لابنِ هُبَيْرَةَ أَنَّ قولَهُ فَلْيَقُلْ خيرًا أو ليصمتْ يدلُّ على أَنَّ قولَ الخيرِ خيرٌ مِنَ الصَّمْتِ والصَّمْتَ خيرٌ مِنْ قولِ الشَّرِّ، ومِنْ قولِ الخيرِ الإبلاغُ عن اللهِ تعالى وعن رسولِ اللهِ ﷺ وتعليمُ المسلمين والأمرُ بالمَعْروف عن علمٍ وإنكارُ المُنْكَرِ عن علمٍ والإصلاحُ بين الناس وأن يقولَ للناس حُسْنًا ومِنْ أفضلِ الكلماتِ كلمةُ حقٍّ عند مَنْ يُخافُ ويُرْجَى فِى ثباتٍ وسدادٍ اهـ ويُفْهَمُ مِمَّا تقدَّمَ أَنَّ طلبَ السكوتِ ليس على إطلاقِهِ فِى كلِّ الأحوال وإنَّما المرادُ حيث لا يكون الكلامُ هو المطلوبَ شرعًا كما فِى حديثِ أبِى داود والترمذيِّ والنسائيِّ وغيرِهِم أَنَّ أفضلَ الجهادِ كلمةُ حَقٍّ عند سلطانٍ

جائزٍ اهـ ولِهذا قال أبو عليٍّ الدقاقُ الساكتُ عَنِ الحقِّ شيطانٌ أخرسُ اهـ وبالكلامِ تظهرُ لَمَعاتُ الفوائدِ وتَبِينُ شموسُ الحقائقِ فكان النُّطْقُ فِى موضعه مِنْ أنفسِ الخَصَائِلِ وأنفع الشَّمَائِلِ كيف لا وقد قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ أىْ إذا كان المتكلّمُ مُحِقًّا صادِقًا واعتقدَ أنَّ فِى الكلام نفعًا أىْ عَلِمَ أنه تَتَحَقَّقُ به مصلحةٌ معتبَرَةٌ فِى الشرعِ وخَلَا عن عِلَلِ العُجْبِ والرِّياءِ وطَلَبِ السُّمْعَةِ والاستعلاءِ على الآخرين والتلبيسِ والتدليسِ وإظهارِ قصدِ الآخرةِ مع قصدِ الدُّنيا فِى الحقيقةِ ونحوِ ذلك مِنْ مفاسدَ ما أكثرَ ما تُلازِمُ النفوسَ الإنسانيةَ وإلا فالسكوتُ خيرٌ لَهُ ثُمَّ خيرٌ لَهُ ⊙

ولا عَجَبَ بعد هذا أنْ يكونَ طولُ السكوتِ شأنَ العارفينَ وشعارَ أكابرِ الصالحينَ وهِىَ خَصْلَةٌ لا تُنال وفضيلةٌ لا تُدْرَكُ إلا ببذلِ الجهدِ ودوام المراقبة وشَغْلِ النفس بالخيرات وإلَّا تَفَلَّتَ اللِّسَانُ وانطلقَ مِنْ عِقَالِهِ إذْ شهوةُ الكلامِ مِنْ أقوى الشهواتِ وقد رَوَى أبو نُعَيْم فِى الحِلْيَةِ عنِ الفُضَيْلِ أنه قال لا حجَّ ولا رباطَ ولا جهادَ أشدُّ مِنْ حَبْسِ اللِّسَانِ على العبادِ اهـ ومعلومٌ ما فعله داودُ الطائىُّ رَضِىَ اللهُ عنهُ وقد تقدَّم ⊙ ورَوَى أبو نُعَيْمٍ فِى الحِلْيَةِ والبيهقىُّ فِى الشُّعَبِ والقُشَيْرِىُّ فِى الرسالةِ عن بِشْرِ بنِ الحارثِ الحَافِى قولَهُ إذا أعجبَكَ الكلامُ أىْ لحظِّ النفسِ فاصْمُتْ وإذا أعجبَكَ الصَّمْتُ أىْ لحظِّ النفسِ أيضًا فتَكَلَّمْ اهـ فقد يكونُ الصمتُ عندئذٍ عجبًا واستحقارًا لِمَنْ لا تُريد الكلام معه أو مَيْلًا لادِّعاءِ صلاحٍ وتَقْوًى أمام الناسِ فتكلَّمْ أىْ وهذا حيثُ لا يَدعو الشرعُ إلى إحدى الخَصْلتين وإلا فاتْبَعِ الشرعَ واقمعْ نفسَكَ عنِ الفسادِ ⊙

ورُبَّمَا تكلَّمَ العبدُ بكلمةٍ أخرجتْهُ من الإيمانِ وأوقعتْهُ فِى الخُسرانِ الأبديِّ كما قالَ رسولُ اللهِ ﷺ إنَّ الرجلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ ما يَتَبَيَّنُ

فيها يَزِلُّ بها فِى النارِ أبعدَ مِمَّا بين المشرقِ والمغربِ اهـ رواه الشيخانِ عن أبِى هريرة مرفوعًا وروى الترمذىُّ وأحمدُ إنَّ الرجلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمة لا يَرَى بها بأسًا يَهْوِى بها سبعين خريفًا فِى النار اهـ وذلك قعرُ جهنَّمَ الذِى لا يَصِلُهُ مؤمنٌ ⊙

(**وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيُكْرِمْ جَارَهُ**) بالإحسانِ إليه وكَفِّ الأذى عنه وتَحَمُّلِ ما صَدَرَ منه فإذا استعانَكَ أَعَنْتَهُ وإذا استقرضَكَ أقرضْتَهُ وإن افْتَقَرَ جُدْتَ عليه وإذا مَرِضَ عُدْتَهُ وإن ماتَ اتَّبَعْتَ جنازتَهُ وإذا أصابَهُ خيرٌ هَنَّأْتَهُ أو أصابَتْهُ مصيبةٌ عَزَّيْتَهُ وإذا بَنَيْتَ بقُربِهِ لم تَستطلْ عليه بالبناء فتحجُبَ عنه الريحَ والضوءَ إلا بإذنِهِ وإذا اشتريتَ فاكهةً أَهْدَيْتَ له فإن لم تفعلْ فأدخِلْ ما اشتريتَ سِرًّا ولا يَخرجْ به وَلَدُكَ ليغيظَ بِهِ وَلَدَهُ ومثلُ الفاكهةِ غيرُهَا مِمَّا يُشْبِهُهَا ولا تُؤْذِهِ بغبارِ قِدْرِكَ إلا أنْ تَغْرِفَ لَهُ منها ⊙ رَوَى أبو داود فِى المراسيلِ عَنِ الزُّهْرِىِّ مُرْسَلًا أنَّ النَّبِىَّ ﷺ قال الساكنُ مِن أربعينَ دارًا جارٌ قالَ أيِ الزهرىُّ أربعونَ عن يمينِهِ وعن يسارِهِ وخلفِهِ وبينَ يديْهِ اهـ فإذا لم يَستطعْ أن يواسِىَ جيرانَهُ كلَّهُمْ فَلْيُوَاسِ أقربَهُمْ إليه رَوَى البخارىُّ عن عائشة رَضِىَ اللهُ عنها قالتْ قلتُ يا رسولَ اللهِ إنَّ لِى جارينِ فإلى أيِّهِمَا أُهْدِى قال إلى أقربهما مِنْكِ بابًا اهـ

والجِيرانُ ثلاثةٌ كافرٌ ومسلمٌ غيرُ رَحِمٍ ومسلمٌ رَحِمٌ فالكافرُ يُعْرَفُ له جواره على ما يليقُ بِهِ والمسلمُ غيرُ القريبِ يُعْرَفُ له جوارُهُ وحقُّ إسلامِهِ والمسلمُ القريبُ يُعْرَفُ له ثلاثةُ حقوقٍ حقُّ الجوار وحقُّ الإسلام وحقُّ القرابة وكانَ لِسَهْلِ بنِ عبدِ اللهِ التُسْتَرِىِّ جارٌ مجوسىٌّ فانفتح خلاؤُهُ إلى دارِ سهلٍ فأقام سهلٌ مدةً يُنَحِّى فِى الليلِ ما يجتمع مِنَ القَذَرِ فِى بيته حتى مرضَ فدعا المَجُوسِىَّ وأخبره بالحال وأنه يَخْشَى أنَّ وَرَثَتَهُ لا يتحملونَ ذلك الأذى كما كان يتحمَّلُهُ

فيخاصمونَهُ فتعجَّبَ المَجُوسِىُّ مِنْ صَبْرِهِ على هذا الأَذَى المُدَّةَ الطويلةَ وهو ليس على دِينِهِ ثم قال له مُدَّ يَدَكَ لِأُسْلِمَ فَمَدَّ يَدَهُ فَأَسْلَمَ ثم ماتَ سَهْلٌ رَضِىَ اللهُ عنهُ اهـ

ومَنْ أدَّى حقَّ الجَارِ فقد رَحِمَهُ اللهُ وَوَفَّقَهُ إلى خيرٍ كثيرٍ وألْهَمَهُ الامْتِثَالَ للوَصِيَّةِ الثابتةِ فِى الحديثِ مَا زال جبريلُ يُوصِينِى بالجارِ حتى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ اهـ فالإحسانُ إلى الجارِ أولَى مِنَ الإحسانِ إلى كثيرٍ غيرِهِ كما أَنَّ إيذاءَهُ بغيرِ حقٍّ أشدُّ مِنْ إيذائِهِمْ وفِى حديثِ الشيخين مرفوعًا واللهِ لا يُؤمنُ واللهِ لا يُؤمنُ واللهِ لا يُؤمنُ قيل مَنْ يا رسولَ اللهِ قال الذِى لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ اهـ وفِى الأدب المُفرَدِ مرفوعًا ما ءَامَنَ بِى مَنْ باتَ شبعانَ وجارُهُ جائعٌ إلى جَنْبِهِ وهو يعلمُ بِهِ اهـ وفيه أيضًا عن ابنِ عمرَ مرفوعًا كَمْ مِنْ جارٍ مُتَعَلِّقٌ بِجَارِهِ يومَ القيامة فيقول يا ربِّ هذا أغلقَ بابَهُ دُونِى يَمْنَعُ مَعْرُوفَهُ اهـ

(ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكرِمْ ضَيْفَهُ) بالبِشْرِ فِى وجهِهِ وطِيبِ الحديثِ معه وتعجيلِ ما حَضَرَ عندَهُ وقيامِهِ بنفسه فِى خِدْمته وإضافتِهِ ثلاثًا يُطْعِمُهُ فيها على قَدْرِ وسْعِهِ ثم توديعِهِ بلطفٍ والاعتذارِ عند التقصير فِى جانبِهِ ⊙ وروَى البيهقىُّ أَنَّ سيدَنا إبرهيم عليه السلام كان يُسَمَّى أبا الضيفان وكان يَمْشِى فِى طلَبِ مَنْ يَتغدَّى معه اهـ قال ابنُ هُبَيرةَ فِى هذا الحديثِ من الفِقْهِ أن يَعْتَقِدَ الإنسان أَنَّ إكرامَ الضَّيفِ عبادةٌ لا يَنْقُصُهَا أن يَضِيفَ غَنِيًّا ولا يُعَيِّرُها أنْ يُقَدِّمَ إلى ضيفِهِ اليسيرَ مِمَّا عندَهُ فإكرامُهُ أنْ يُسَارِعَ إلى البَشِّ فِى وجهِهِ ويُطَيِّبَ الحديثَ له وعمادُ أمرِ الضيافةِ إطعامُ الطعام فَيَنْبَغِى أن يبادرَ بما فتحَ اللهُ عليه مِنْ غير كُلفة إلخ اهـ وليسَتْ زيادةُ إكرام الضيفِ سَرَفًا فقد رَوَى ابنُ أبِى يَعْلَى عَنِ الدارقطنىِّ بإسنادِهِ عَنِ الإمامِ أحمدَ قال لو أَنَّ الدنيا جُمعتْ حتى تكونَ فِى مقدارِ لُقْمَةٍ ثم أخذَها امرؤٌ مسلمٌ

فوضعها فِى فَمِ أخيه المسلم لَمَا كان مُسْرِفًا اهـ وقال أبو سليمانَ الدَّارَانِىُّ لو أنَّ الدنيا كلَّها فِى لقمةٍ ثم جاءنِى أخٌ لِى لأحببتُ أنْ أضَعَها فِى فِيهِ اهـ والمُوَفَّقُ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ ⊙

والحَدِيثُ **(رواه البخارىُّ ومسلمٌ)** والترمذىُّ وأبو داود وابنُ ماجَهْ ⊙

والله تعالى أعلمُ ⊙

(الحديثُ السادسَ عَشَرَ)

(عَنْ أبِى هريرةَ رَضِىَ الله تعالى عنه أنَّ رجلًا) هو جَارِيَةُ بنُ قُدَامَةَ كما عندَ ابنِ أبِى شيبةَ والحاكمِ ورُوِىَ أنه وقع لغيرِه أيضًا كما هو عندَ ابنِ حِبَّانَ وأحمدَ **(قالَ للنبيّ ﷺ أوصِنِى)** أىْ دُلَّنِى على ما يَنْفَعُنِى دِينًا ودُنْيَا وفِى بعض الرواياتِ دُلَّنِى على ما يُبْعِدُنِى مِنْ غَضَبِ اللهِ **(قالَ لا تغضَبْ)** أىْ فيما يتعلقُ بِحُظُوظِ النَّفْسِ والهَوَى لا فِى ما يتعلق بحقوق المَوْلَى فإنَّ الغضبَ عند ذلك محمودٌ كما روَى البخارىُّ فِى الأدب المُفْرَدِ عن أبِى سَلَمَةَ بنِ عبد الرحمٰن قال لم يَكُنْ أصحابُ رسول الله ﷺ مُتَحَزِّقِينَ أىْ مُنقبِضينَ ولا مُتَمَاوِتِينَ بأن يُظهِروا من أنفسِهِمُ ضعفَ القوةِ والصوتِ ونحوَ ذلك لِيُعرَفَ أنهم من أهل العبادة والزهد والصوم وكانوا يتناشدون الشعرَ فِى مجالسِهِم وَيَذكرونَ أمرَ جاهليتهم فإذا أُريدَ أحدٌ منهم على شَىْء مِنْ أَمْرِ اللهِ دارتْ حماليقُ[1] عينيه أىْ بطون أجفانِه كأنه مجنونٌ اهـ **(فردَّدَ)** ﷺ **(مِرارًا)** أىْ ثلاثَ مراتٍ **(قال لا تغضبْ)** اهـ قالوا مِنَ الجائزِ أنْ يكونَ النبِىُّ ﷺ عَلِمَ مِنْ هذا الرجلِ كَثْرَةَ الغضبِ فأَمَرَهُ بما هو أنسبُ

---

(١) قوله (حماليق) جمعُ حِملاق. الفقير.

إيصاؤُهُ به على حَسَبِ حاله واقتصَرَ على جوابٍ موجَزٍ جامعٍ فيه الأمرُ بتجنبِ ما يدعو إلى ما هو أعظمُ ضررًا وأشدُّ وِزْرًا فإنَّ ارتفاعَ السببِ واشتدادِهِ يقتضِى ارتفاعَ المُسَبَّبِ واشتدادِهِ ⊙

والغضبُ هو غليانُ دمِ القلبِ طلبًا لدفعِ المُؤذِى عنه خشيةَ وقوعِهِ أو طلبًا للانتقامِ مِمَّنْ حصل له منه الأذَى بعد وقوعِهِ وكثيرًا ما يكونُ نَزْغَةً مِن نَزَغاتِ الشيطانِ أىْ إغراءً وإفسادًا منه فإذا لم يكظمْهُ العبدُ خرجَ به عَنِ اعتداله فيفعلُ المذمومَ كالقتلِ ظُلْمًا والضربِ ظُلْمًا والكلامِ بالباطلِ كالقذفِ والسَّبِّ والفُحْشِ وظِهارِ الزوجةِ وينوِى الشرَّ ويحثُّ عليه ويحقِدُ وقد يُطَلِّقُ زوجَهُ طلاقًا يَعْقِبُهُ النَّدَمُ بل قد يكفرُ والعياذ بالله تعالى كما جَرَى لِحِمارِ الجوفِ[(١)] ولِجَبَلَةَ بنِ الأَيْهَمِ[(٢)] ⊙

---

(١) قوله (لحمار الجوف) قال الميدانِىُّ فِى مجمعِ الأمثالِ هو رجلٌ من عادٍ يُقَال له حمار بن مويلع وقَال الشرقِىُّ هو حمار بن مالك بن نصر الأزدىُّ كان مسلمًا وكان له وادٍ طولُه مسيرة يوم فِى عرض أربعة فراسخ لم يكن ببلاد العرب أخصَبُ منه فيه مِن كل الثمار فخرج بنوه يتصَيَّدُون فأصابتهم صاعقة فهلكوا فكفرَ وقال لا أعبد مَنْ فَعَلَ هذا بِبَنِىَّ ودعا قومه إلى الكفر فمن عَصَاه قَتَلَه فأهلكه اللهُ تعالى وأخربَ وَادِيَهُ فضربَتْ به العربُ المثلَ فِى الكفر قال الشاعر

أَلَــمْ تَــرَ أنَّ حَــارِثَــةَ بــنْ بَــدْرٍ يُصلِّى وهو أَكفَرُ مِنْ حِمَارِ اهـ

وقال فى معجم البلدان الجوفُ اسمُ وادٍ فِى أرض عادٍ فيه ماءٌ وشجرٌ حماه رجل اسمه حمار بن طويلع اهـ الفقير.

(٢) قوله (لجبلة بن الأيهم) أسلمَ فِى زمن سيدنا عمر رضِىَ اللهُ عنه ثمَّ ارتدَّ بسببِ خصومةٍ قامتْ بينه وبين رجلٍ فزارِىٍّ فقال بعضٌ وطِئَ الفزارىُّ إزارَ جبلة اتفاقًا فلطمَهُ جبلةُ ثم أَبَى أنْ يقتصَّ الفزارىُّ منه لكونه ليس من أهلِ الشرفِ وقال بعضٌ اتَّفَقَ أنَّ جبلةَ وَطِئَ رداءَ رجلٍ مِن مُزَينة فلطمه ذلك المزنِىُّ فقال أصحابُهُ نريد الاقتصاصَ منه فقيلَ لهم فيلطِمه جبلة فقالوا أَوَمَا يُقْتَلُ قيل لا قالوا فما تقطع يده قيل لا فقال جبلة أترون أنِى جاعل وجهِى بدلًا لوجْهِ مازِنِىٍّ بئسَ الدينُ هذا ثم ارتَدَّ نصرانيًا وترحَّلَ بأهله حتى دخل أرض الروم. الفقير.

وأصلُ الغضبِ رؤيةُ حظِّ النفسِ وبيانُ ذلك أنَّ الإنسانَ إذا قُصِدَ بالسُّوءِ أو نُوزِعَ فِى غَرَضٍ أو لم يُمْتَثَلْ أمرُهُ هاجَتْ عليه نارُ الغَضَبِ لرؤيتِهِ أنَّ له حقًّا أو حقوقًا على المغضوبِ عليه لم يُوَفِّها له فحينئذٍ قد ينتصرُ لنفسِهِ ولا يقتصرُ على ما يأذنُ فيه الشرعُ بخلافِ مَنْ ينتصرُ لله ويغضبُ لانتهاكِ حرماتِهِ وتضييعِ حقوقِهِ ⊙

وعلاجُ الغضبِ الذَّمِيمِ لكسرِ سَورتِهِ وإضعافِهِ حتى لا يَشتدَّ أصلًا وينقادَ للعقلِ والشرعِ يَسْهُلُ بمعرفةِ أسبابِهِ المُهَيِّجَةِ له لإزالتها وهِيَ الزَّهْوُ أيِ الكِبْرُ والتِّيهُ والتعاظمُ على الغيرِ والعُجْبُ والمُزاحُ والهُزْءُ والتَّعييرُ والمُمَاراةُ والمُضَادَّةُ والغَدْرُ وشدةُ الحِرْصِ على فُضولِ المالِ والجاهِ فَيُمَاتُ كلٌّ منها بِضِدِّهِ فَيُزَالُ الزَّهْوُ مثلًا بالتواضُعِ والعُجْبُ بمعرفةِ النَّفْسِ والفخرُ بأنَّ السيدَ مِن جنسِ العبدِ والهَزْلُ بالجِدِّ فِى طلبِ الفضائلِ والأخلاقِ الحسنةِ والعلومِ الدينيةِ والهُزْءُ بالتكرمِ عن إيذاءِ الناس وصيانةِ النفسِ عن أسبابِ الاستهزاءِ بها والتعييرُ بالحَذَرِ عن قولِ القبيحِ والترفعِ عن مُرِّ القولِ والمماراةُ والمضادَّةُ بتحسينِ النيَّة وحبُّ الغدرِ بتذكُّرِ الموتِ وعظمِ الفضيحة يومَ القيامة وشدةُ الحِرْصِ على مزايا العيشِ بالقناعةِ بقدرِ الضرورة طلبًا لعِزِّ الاستغناءِ عن سؤالِ الخلائقِ وتَرَفُّعًا عن ذُلِّ انتظارِ فُضُولِهِم وهكذا سائرُها وتَفتقرُ كلُّها إلى رياضةٍ حاصلُها يرجعُ إلى معرفةِ غَوَائلِ أىْ مهالِكِ كلٍّ منها لترغَبَ النفسُ عنها وتنفِرَ عن قُبْحِها مع المواظبةِ على أضدادها مدةً مديدةً حتى تَصِيرَ بالعادةِ مألوفةً هَيِّنةً فإذا انمحتْ عَنِ النفس فقد زَكَتْ وطهرتْ عن هذه الرذائل وتخلَّصَتْ أيضًا عَنِ الغضبِ المَذمومِ الذِى يتولَّدُ منها ⊙

وهذا الذِى تقدَّمَ طريقُ الخلاصِ من وقوعِ الغضبِ وأمَّا إذا وقعَ فعلاجُهُ يحصلُ باستشعارِ أنْ ليسَ فاعلٌ على الحقيقةِ إلَّا اللهُ وأنَّ

الأسبابَ لا تَخْلُقُ شيئًا فمهما أصابَ العبدَ فهو بِخَلْقِ اللهِ تعالى وبأنْ يَتَمَهَّلَ فلا يعجلُ فِى إنفاذِ ما تُمليه نفسُهُ عليه فِى حالِ الغضبِ كما قال تعالى ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ أىْ ولا يُنْفِذُون غضبَهُمْ وقال ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وفِى حديثِ الشَّيْخَيْنِ ليس الشديدُ بالصُّرَعَةِ إنما الشديدُ الذِى يملك نفسَهُ عند الغضب اهـ وَرَوَى أبو داودَ والترمذىُّ وابنُ ماجَهْ مرفوعًا مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وهو يَستطيعُ أن يُنفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ يومَ القيامةِ على رؤوسِ الخلائقِ أىْ أمامَ الناس مع الثناءِ عليه وإظهارِ ما فعلَهُ وشَهْرِ فضلِهِ بينهم فِى ذلك اليوم حتى يُخَيِّرَهُ مِنْ أىِّ الحُورِ شاءَ اهـ

ويُعينُه على كَظْمِ غَيظِهِ أن يَتَعَوَّذَ باللهِ مِنَ الشيطان الرَّجِيم فإنَّ الاستعاذَةَ تُذْهِبُهُ كما رُوِىَ مرفوعًا فِى الصحيحين وغيرِهما مِنْ طريقِ سُلَيْمَانَ بنِ صُرَدٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ ⊙ وليَتوضأْ بماءٍ باردٍ فإنَّ ماءَ الوضوء يُطْفِئُ الغضبَ كما رَوَى أحمدُ فِى مسنده وأبو داود فِى سننه وغيرُهُما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال إنَّ الغضبَ مِنَ الشَّيطانِ وإنَّ الشيطانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وإنما تُطفأُ النارُ بالماءِ فإذا غَضِبَ أحدُكُم فليتوضَّأْ اهـ وإذا كان قائمًا فليقعدْ أو قاعدًا فليضطجعْ كما فِى رواياتٍ متعددةٍ عند أحمدَ والترمذيِّ وأبِى داود منها أنه ﷺ قال فِى خطبته ألا إنَّ الغضبَ جمرةٌ فِى قلبِ ابنِ ءَادَمَ أما تَرَوْنَ إلى انتفاخِ أوداجِهِ واحمرارِ عينيه فمن أَحَسَّ مِنْ ذلك شيئًا فَلْيَلْزَقْ بالأرضِ اهـ ولا يتكلمْ بما يَقتضيه غضبُهُ فَفِى روايةٍ لأحمدَ فليسكُتْ قالَها ثلاثًا اهـ ويُذَكِّرُ نَفْسَهُ بغضبِ اللهِ تعالى وعقابِهِ وقُدْرَتِهِ عليه وأنه كَمْ خَالَفَ قبلَ ذلك وعَصَى وءَاذَى غيرَهُ بكلامٍ أو فعلٍ ويُصَلِّى أو يَشغلُ نفسَهُ بأمرٍ ءَاخَرَ ينفعُهُ فِى ءَاخِرَتِهِ ⊙

وَلْيَقْصُرْ غضبَهُ على دفعِ الأذَى فِى الدِّينِ لَهُ ولغيرِهِ والانتقامِ مِمَّنْ

كَفَرَ باللهِ ورسولِهِ كما قال تعالى ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ وهذه كانتْ حالُ النبيِّ ﷺ فإنَّهُ كان لا ينتقمُ لنفسِهِ ولكنْ إذا انْتُهِكَتْ حرماتُ اللهِ لم يَقُمْ لغضبِهِ شَيْءٌ ولم يضربْ بيدِه خادمًا ولا امرأةً إلا أنْ يُجاهدَ فِى سبيلِ اللهِ وكم كَانَ قادرًا مَرَّةً بعد مَرَّة على أنْ يَغضبَ ويُنفِذَ غضبَهُ فلم يَفْعَلْ رَوَى الشيخانِ وغيرُهُما عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال كنتُ أَمْشِى مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْرَانِىٌّ أىْ ثوبٌ مخطَّطٌ من صُنعِ بلاد نجران غليظُ الحاشيةِ(١) فأدركَهُ أعرابىٌّ فَجَبَذَهُ أىْ جذبَهُ مِن خلفه جَبْذَةً حتى رأيتُ صَفْحَةَ عَاتِقِ رسولِ الله ﷺ قدْ أَثَّرَتْ بها حاشيةُ البُرْدِ مِن شدةِ جَبْذَتِهِ فقال يا محمدُ أعطِنِى مِن مال الله الذِى عندك فالتفت إليه وضحكَ ثم أمر له بعطاءٍ اهـ ورَوَى ابنُ حبان وغيره أن رجلًا استقبل رسول الله ﷺ بقولِهِ يا محمدُ جَدُّكَ عبد المطلب خيرٌ منك لقومِه كان يطعمهم السَّنامَ والكَبد وأنت تنحرُهُمْ فلم يبطشْ به ﷺ ولا أظهرَ غضبًا منه إنما كَلَّمَهُ بما شاءَ اللهُ أنْ يُكَلِّمَهُ ثم أسلمَ الرجلُ بعدُ اهـ وعاملَ عليه الصلاةُ والسلامُ زيدَ ابنَ سَعْنَةَ(٢) ببيعِ سَلَمٍ إلى أجلٍ لحاجتِهِ ﷺ إلى مالٍ يُعِينُ به قومًا حديثِى عهدٍ بإسلامٍ فجاءَ زيدٌ يَسْتَوْفِى منه الدَّيْنَ قبلَ حلولِ وقتِهِ ومع رسولِ اللهِ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ فِى نفرٍ مِنْ أصحابِهِ فجذبَ زيدٌ

---

(١) قوله (الحاشية) هِىَ طرفُ الثوب مما يلِى طُرَّتَهُ أىْ جانِبَه الَّذِى لَا هُدْبَ لَهُ كَمَا فِى الصّحاح اهـ الفقير.

(٢) قوله (سَعْنَة) اختُلِفَ فِى سعنة هل هو بالنون أو بالياء التحتانية المثناة وقال ابنُ عبد البرِّ هو بالنون أكثر اهـ ذكره الحافظُ فِى الإصابة. وفِى القاموس أنه بضمّ السين لكن قال الحافظُ الزبيدىُّ فِى التاج إنَّ الحافظَ ابنَ حجرٍ ضبطَهُ بالفتح قالَ وهو الصحيح اهـ الفقير.

بردائِهِ حتى سقط على عاتقِهِ وأقبلَ عليه بوجهٍ جَهْم غليظٍ وقال له ألا تَقْضِى يا محمدُ أىْ ألا تُعْطِينِى مَا لِى بذمَّتِكَ فَوَاللَّهِ ما علمتُكُم يا بنِى عبدِ المُطَّلِبِ لَمُطْلٌ ولقد كان لِى بمخالطتِكُمْ عِلْمٌ أرادَ بذلك أنْ يَمتحنَهُ ﷺ قال زيدٌ فارتعدتْ فرائصُ[١] عمرَ بن الخطاب كالفَلْكِ[٢] المُسْتديرِ ثم رَمَانِى ببصرِهِ فقال أىْ عدوَّ اللهِ أتقولُ هذا لرسولِ اللهِ ﷺ وتصنعُ به ما أَرَى وتقولُ له ما أسمعُ فَوَالذِى بعثَهُ بالحَقِّ لولا ما أخافُ فَوْتَهُ لسبَقَنِى رأسُكَ ورسولُ الله ﷺ ينظرُ إلى عمرَ رَضِىَ اللهُ عنهُ فِى سُكُونٍ وتُؤَدَةٍ ثُمَّ تَبَسَّمَ ثم قال أنا وهو أحوجُ إلى غيرِ هذا منكَ يا عُمَرُ أنْ تأمُرَنِى بِحُسْنِ الأداءِ[٣] وتأمرَهُ بحسنِ اتِّبَاعِهِ اذْهَبْ به فأَعْطِهِ حقَّهُ وأعطِهِ مكانَ ما رُعْتَهُ عشرينَ صَاعًا من تمرٍ فذهبَ بِى عُمَرُ فَقَضَانِى وأعطانِى عشرين صاعًا من تمرٍ فلمَّا فَرَغَ قلتُ تعرفُنِى قالَ لا قلتُ أنا زيدُ بنُ سعنَةَ قال عمرُ الحَبْرُ قلتُ نعم قال عمر فما حَمَلَكَ على ما صنعتَ من كلامِكَ مع رسول الله ﷺ قلتُ إنه لم يبقَ مِن علامات النبوةِ شَىْءٌ إلا وقد عرفتُهُ فِى وجهِ رسولِ اللهِ ﷺ حين نظرتُ إليه إلا اثنتينِ فأحببتُ أنْ أخْبُرَهُمَا منه يَسْبِقُ حلمُهُ جهلَهُ ولا يزيدُهُ الجهلُ إلا حِلمًا فرضيتُ باللهِ ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ ﷺ رسولًا وأُشْهِدُكَ يا عُمَرُ أنَّ شطرَ مالِى صدقةٌ على أُمَّةِ محمدٍ ﷺ فقال عمرُ أو على بعضِهِمْ فإنك لا تَسَعُهُمْ قلتُ أو بعضِهِمْ فرجع زيدٌ وعمرُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال زيدٌ أشهد

---

(١) قوله (فرائصُ) أيِ اللحمُ بين الجنب والكتف وهو يرتعد عند الفزع والغضبِ ونحوهما. الفقير.

(٢) قوله (كالفَلْك) بفتح الفاء وهو المغزل وسُمِّىَ بذلك لاستدارته. الفقير.

(٣) قوله ﷺ (أن تأمرنى بحسن الأداء) أىْ أن تذكِّرَنى بحسْنِ معاملتِهِ عند الأداء إليه على ما تقتضيه محاسنُ الأخلاقِ ولو أَتَى بما أَتَى به. الفقير.

أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ وشَهِدَ مشاهدَ عدةً مع رسولِ الله ﷺ ثم تُوُفِّى فِى غزوةِ تبوكَ مُقْبِلًا غيرَ مُدْبِرٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ اهـ رواه ابنُ حبان والحاكمُ وغيرُهُما ⊙

وعلى نهجِ رسولِ اللهِ ﷺ فِى تَرْكِ الغضبِ وكَظْمِه مضَى سلفُ هذه الأمة منَ الأكابر فأقذعَ يومًا رجلٌ فِى شَتْم زينِ العابدينَ علىّ بنِ الحسينِ رَضِىَ اللهُ عنهُما أىْ أفحشَ فِى ذلك فتغاضَى عنه ولم يَلْتَفِتْ إليه فاغتاظَ مِن ذلك وقال له إيَّاك أعْنِى فأجابه زينُ العابدين وعنك أُغْضِى اهـ رَوَاه ابنُ عساكر فِى التاريخ ⊙

وفِى الورع للمَرْوَزِىّ أنَّ أبا السَّوَّارِ العَدَوِىَّ أقبل عليه رجلٌ بالأذَى فسكتَ حتى إذا بلغ منْزِلَهُ أو دخل قال حَسْبُكَ إن شئتَ اهـ

وقيل للأحنفِ بن قيسٍ مِمَّنْ تعلمتَ الحِلْمَ فقال مِن قيس بن عاصم المِنْقَرِىّ لقد اختلفتُ إليه فِى الحِلْمِ كما يُخْتَلَفُ إلى الفقهاء فِى الفِقْه وقيل له ما بلغَ من حِلْمه قال بينما هو جالسٌ فِى دارِهِ إذ أتتْه خادمٌ له بِسَفُّودٍ أىْ حديدةٍ ذاتِ شُعَبٍ مُعَقَّفةٍ يُشْوَى بها اللَّحمُ عليه شواءٌ فسقطَ مِن يدها على ابنٍ له فَعَقَرَهُ فماتَ فَدُهِشَتِ الجاريةُ فقال لا رَوْعَةَ عليك أنتِ حرةٌ لِوَجْهِ اللهِ اهـ

وقالَ الأحنفُ أيضًا بينما نحن عند قيس بن عاصم وهو قاعدٌ بِفِنائِهِ محتبٍ بكسائِهِ أَتَتْهُ جماعةٌ فيهم مقتولٌ ومكتوفٌ فَقِيلَ هذا ابنُكَ قتلَهُ ابنُ أخيك قال فَوَاللّهِ ما حَلَّ حبوتَهُ حتى فرغ من كلامِهِ ثُمَّ التفتَ إلى ابنٍ له فقال قُمْ فأطلقْ عَنِ ابنِ عَمِّكَ وَوَارِ أخاكَ واحمِلْ إلى أُمِّهِ مائةً من الإبل فإنها غريبةٌ اهـ رواه الدِّينَوَرِىُّ فِى المُجَالسة ⊙

وكان عونُ بنُ عبدِ اللهِ إذا عصاه غلامُهُ قال ما أشبهَكَ بِمَوْلاكَ تَعْصِينِى وأنا أعصِى اللهَ فإذا اشتدَّ غضبُهُ قال أنتَ حُرٌّ لوجهِ اللهِ اهـ

رواه ابنُ عساكر ⊙

وفِى النوادرِ السلطانيَّةِ وهِىَ سيرةُ صلاح الدين التِى كتبها بعد وَفَاتِهِ القاضِى بهاءُ الدين ابنُ شَدَّادٍ أَنَّ أحدَ مماليكِ صلاحِ الدين رَمَى مملوكًا ءَاخَرَ يومًا بِمَدَاسِهِ فكادَ يُصِيب صلاحَ الدِّين فتغافلَ عنه كأنه لم يَرَهُ اهـ وقال لآخَرَ ناوِلْنِى الدَّوَاةَ وكانتْ خلفَه فقال له هِىَ ليستْ بعيدةً منك مُدَّ يَدَكَ فَتَنَاولْهَا فقال نعم وتَمَغَّطَ فَتَنَاوَلَهَا اهـ وكانَ مريضًا رحمه الله تعالى فطلبَ الماءَ ليشربَ فلم يُؤْتَ به ثم كَرَّرَ طلبَهُ من غير أن يُؤْتَى بالماءِ فكانَ أقصى ما صَدَرَ منه أن قال أتريدون أن تقتلونِى عطشًا اهـ كلُّ هذا وهو الليثُ الغالبُ والبطلُ المغوارُ وإنما أطمعَهم فيه حسنُ خُلُقِهِ وتغاضيه عنهم وحِلْمُهُ عندَ حصولِ ما يُغْضِبُ ⊙

وقد صدق الشاعر حيث قال

ليستِ الأحلامُ فِى حينِ الرِّضَا إنَّمَا الأحلامُ فِى حينِ الغَضَبْ

وليس الغضبُ عذرًا يمنع تبعاتِ المخالفاتِ عن الغاضبِ إذا وقع فيها وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ عن خَوْلَةَ بنتِ ثعلبةَ امرأةِ أوسِ بنِ الصامتِ أنها راجعتْ زوجَها فغضبَ فظاهرَ منها وكان شيخًا كبيرًا قد ساءَ خُلُقُهُ وضَجِرَ الحديثَ اهـ وهو معروفٌ فهذا الرَّجُلُ ظاهَرَ فِى حالِ غَضَبِهِ فلم يُلْغِ النبِىُّ ﷺ ظِهارَهُ ⊙ ورَوَى الدارَقُطْنِىُّ أَنَّ رجلًا قال لابنِ عباسٍ إنه طلَّقَ امرأتَهُ ثلاثًا وهو غضبانُ فأجابَهُ رَضِىَ اللهُ عنهُما ابنُ عباسٍ لا يَسْتَطِيعُ أنْ يُحِلَّ لَكَ مَا حرَّمَ اللهُ عليكَ عَصَيْتَ ربَّكَ وحَرُمَتْ عليكَ امرأتُكَ اهـ

والحديثُ الذِى أوردَهُ الشيخُ رحمه الله **(رواه البخاريُّ)** وأخرجَهُ الترمذىُّ أيضًا

والله أعلمُ ⊙

(الحديثُ السابعَ عَشَرَ)

(عن أبِى يَعْلَى) وهِىَ كُنيَتُهُ **(شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ)** الأنصاريِّ الخزرجيِّ **(رَضِىَ اللهُ عنهُ)** سكنَ بيتَ المقدس وأعقبَ فيه وتُوُفِّىَ سنةَ ثمانٍ وخمسين عن خمس وسبعين سنةً قال النوويُّ وقبرُهُ بظاهرِ بابِ الرحمةِ باقٍ إلى الآن اهـ **(عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ قال إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ كَتَبَ الإحسانَ)** أىْ أَمَرَ بِهِ **(عَلَى كلِّ شَىْءٍ)** أى فِى كل شَىْءٍ ۝ قال تعالى ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ وقالَ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وقالَ عزَّ وجلَّ ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ والإحسانُ فِى الفِعْلِ هو إيقاعُهُ على مُقْتَضَى الشَّرعِ فيما أرشدَ إليه أو على مُقْتَضَى العقلِ حيثُ احْتِيجَ فيه إلى إِعْمَالِ الرَّأْىِ ولٰكنْ بحيثُ لا يَخرجُ إلى مخالفةِ ما طَلَبَتْهُ الشريعةُ وحَثَّتْ عليه فيلاحِظُ أعمالَهُ كلَّها التِى تتعلقُ بمعاشِهِ مِن سياسةِ نفسِهِ وملْكِه وأهلِهِ وأولاده ومَن تعلَّقَ به مِن غيرِهم والتِى تتعلقُ بِمَعَادِهِ اعتقادًا بالقلب وعملًا بالبدن بحيثُ يُحَسِّنُ نيتَهُ فيها ويُصْفِيهَا عن الكُدُورات ويبتعدُ عن حظِّ النَّفْسِ ويأتِى بها على أفضلِ وجهٍ يقدر عليه مُخْفِيًا ما ينبغِى إخفاؤه ومُظْهِرًا ما يَنبغِى إظهارُهُ متساهلًا حيثُ يَنبغِى ذلك فِى الرُّخَصِ ومعاملةِ الخَلْقِ ومتشدِّدًا حيث ينبغِى ذلك فِى العزائم ومحاسبةِ النَّفْسِ وأداءِ الفرائضِ وإظهارِ الشعائرِ بنفسِهِ وبغيرِهِ ولو قال الناسُ إنَّهُ مجنونٌ وأحسنُ الإحسانِ وأكملُ مقاماتِهِ ما فِى حديثِ جبريلَ الإحسانُ أنْ تَعْبُدَ اللهَ كأنك تراه فإنْ لم تَكُنْ تراهُ فإنَّهُ يراكَ ۝

(فإذا قَتَلْتُمْ) أىْ قَصَدْتُمْ قَتْلَ ما يجوزُ قَتْلُهُ **(فأَحسِنوا القِتْلَةَ)** بكسرِ القافِ وهِىَ هَيْئَةُ القَتْلِ وحالتُهُ بأنْ يَعترفَ للهِ تعالى بالمِنَّةِ والشكرِ له

على نِعَمِهِ فإنه سبحانه وتعالى سخَّرَ له ما يذبحُهُ ولو شاء لسلَّطَهُ عليه وأباحَ له ما لو شاء لَحَرَّمَهُ عليه، وبأنْ يختارَ أسهلَ الطُّرُقِ وأقلَّها تعذيبًا وإيلامًا مع مراعاةِ أوامرِ الشرعِ فِى ذلكَ، وبأنْ لا يكونَ قصدُ القاتلِ مجردَ التعذيبِ أو اللَّهْوِ ⊙

(**وإذا ذَبَحْتُمْ**) أى أردْتُمْ ذَبْحَ ما يجوز ذَبْحُهُ (**فأحسِنوا الذِّبْحَةَ**) بكسر الذال المعجمة وهِىَ هيئةُ الذَّبْحِ أىْ وارفُقُوا بالذبيحةِ (**وَلْيُحِدَّ أحدُكُمْ شفرَتَه**) وهِىَ المُدْيَةُ أىِ السِّكِّينُ سُمِّيَتْ باسمِ شَفْرَتِهَا ونحوُها مِمَّا يُذْبَحُ بِهِ (**ولْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**) الذَّبِيحةُ فعيلةٌ بمعنى مفعولةٍ أىْ لِيَجلبِ الراحةَ لها فلا يجرُّها إلى الذَّبْحِ مِنْ أُذُنِها مثلًا لحديثِ ابنِ ماجهْ دَعْ أُذُنَهَا وخُذْ بسالِفَتِها اهـ أى مقدَّمِ عنقِها ويرفُقُ بها فِى سَوْقِهَا إلى الموتِ كمَا روَى عبدُ الرزاقِ عنِ ابنِ سيرينَ أنَّ عمرَ بن الخطاب رَضِىَ اللهُ عنهُ رأى رجلًا يسحبُ شاةً برجلها ليذبحها فقال له وَيْلَكَ قُدْها إلى الموتِ قَوْدًا جميلًا اهـ ويُوَارِى عنها إحدادَ الشَّفْرَةِ ويُمِرُّ السكينَ بسرعةٍ عليها لحديثِ أحمدَ وغيرِهِ عنِ ابنِ عمرَ قال أَمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ بِحَدِّ الشِّفارِ وأنْ تُوَارَى عنِ البهائمِ وقال إذا ذَبَحَ أحدُكُمْ فلْيُجْهِزْ اهـ يعنِى فليُسْرِعْ ⊙ ولا يذبحُ أخرى قُبالَتها ⊙ ويتركُها على حالِهَا بعد الذبح حَتَّى تَسْتَرِيحَ منِ اضطرابها ويُمهلُها حتَّى تَبرد ثم يسلخُها ⊙ وقد رُوِيَتْ أحاديثُ فِى ذلك كُلِّهِ وأخرجَ أحمدُ أنَّ رجلًا قال يا رسول الله إنِّى لَأَذْبَحُ الشاةَ وأنا أرحمُها فقال إنْ رَحِمْتَها رَحِمَكَ اللهُ اهـ

والحديثُ (**رواه مسلمٌ**) وأصحابُ السُّنَنِ وغيرُهُم ⊙

والله تعالى أعلم ⊙

(الحديثُ الثامنَ عَشَرَ)

(**عن أبِى ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنادةَ**) الغِفَارِيِّ أَسْلَمَ قديمًا قبل الهِجرة ورجع إلى قومه ثم هاجر إلى المدينةِ وكانَ مِنْ أكثرِ الصحابةِ زُهْدًا وأصدَقَهُمْ لَهْجَةً حتى قال فيه رسولُ اللهِ ﷺ ما أظلَّتِ الخضراءُ أيِ السماءُ ولا أقلَّتِ الغَبْراءُ أيِ الأرضُ[1] أصدقَ لَهْجَةً مِنْ أبِى ذرٍّ اهـ رواه الترمذِىُّ وتُوُفِّـىَ بالرَّبَذَةِ سنةَ ثلاثين وصَلَّى عليه عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رَضِىَ اللهُ عنهُما (**وَ**)عَنْ (**أبِى عبدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ**) الأنصارِىِّ أَحَدِ مَنْ جمعَ القرءانَ فِى حياةِ رسولِ اللهِ ﷺ وقال له عليه الصلاة والسلام إنِّى أُحِبُّكَ اهـ وتَقَدَّمَ شَىْءٌ مِنْ ترجمته (**رَضِىَ اللهُ عنهُما عن رسولِ اللهِ ﷺ قالَ**) أىْ لكلٍّ منهما أمَّا أبو ذَرٍّ فأسلمَ قديمًا كما تقدَّمَ وعَلِمَ رسولُ الله ﷺ أنه لا يَقدر على المُقام معه بمكةَ مع أنَّه كانَ حريصًا على ذلك فقال له عند رجوعه إلى قومِهِ اتَّقِ اللهَ إلى ءَاخِرِهِ وحديثُهُ رواه أحمدُ والترمذِىُّ وغيرُهُما ⊙ وأما معاذٌ فَلَمَّا بَعَثَهُ إلى اليمنِ مُعَلِّمًا وقاضيًا كما عند البيهقىِّ فِى الشُّعَبِ والحاكمِ فِى المُستدرك والبزارِ فِى المسند وابنِ عبد البرِّ فِى التمهيد وغيرِهِم ⊙ وحديثُ أبِى ذرٍّ أقوَى إسنادًا وفيه (**اتَّقِ اللهَ**) التَّقْوَى لغةً حِفْظُ النَّفْسِ عَمَّا يُؤْذِيها وشرعًا أداءُ الواجبات واجتنابُ المحرماتِ والمُرَادُ اتَّقِ مخالفةَ أوامرِ الحقِّ عزَّ وجلَّ بقلبِكَ وببدنِكَ (**حيثُما كنتَ**) فِى مكةَ وغيرِها وفِى المسجدِ وخارجَهُ وفِى الخلوةِ والمَلَإِ

---

(١) قوله ﷺ (الخضراء) وقوله (الغبراء) قال ابن الأثير فِى النهاية إنهما سُمِّيَتا كذلك لِلَوْنِهِمَا اهـ قال الحافظ فِى الفتح والعرب تطلق الأخضر على كل لونٍ ليس بأبيضَ ولا أحمرَ اهـ الفقير.

رَءَاكَ الخلقُ أو لم يَرَوْكَ وهو السبيلُ الذِى لا يَصِلُ الواصلون إلى اللهِ تعالى بدونه قال تعالى فِى سورة يونس ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ وفِى الحديثِ القُدسِيّ وما تَقَرَّبَ إلَىَّ عَبْدِى بشَىْءٍ أحبَّ إلَىَّ مما افترضتُ عليه اهـ

(**وأَتْبع**) بفتح الهمزة وسكون التاء مِنَ الإتْبَاعِ (**السيئةَ الحسنةَ**) أىْ باشِرِ الحسناتِ عَقِيبَ السيئاتِ والظاهرُ أنَّ المرادَ بالحسنة التوبةُ أو ما يُكَفِّرُ الذنبَ (**تَمْحُها**) أىْ تَمْحُ الحسنةُ تلكَ السيئةَ فتُزال مِن ديوانِ الحَفَظَةِ وتُثْبَتُ الطاعةُ مكانَها كما قال تعالى ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾ أىْ ويزولُ أَثَرُ السَّيئَةِ مِنَ القلب إن شاء اللهُ بتَعَمُّدِ الحسنة لذِكْرِ مَحْوِها وكما قال عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ وهذا إذا قُبلَتِ الحسنةُ بموافقتها للأمرِ وخُلُوِّها عن علَّةٍ خَفِيَّةٍ تمنعُ قبولَها كرِيَاءٍ ولِهذا يَبْقَى أولياءُ اللهِ تعالى وَجِلِينَ يخشَوْنَ أن لا تكونَ طاعاتُهُمْ قد وَقَعَتْ خالصةً للهِ جلَّ وعزَّ فيفوتَهُمْ قَبُولُهَا مِنَ الخالقِ سبحانَهُ وتضيعَ أعمارُهُمْ وأعمالُهُم ⊙

والتَّحْقِيقُ أنَّ الصغيرةَ تُغْفَرُ بالعملِ الصالحِ يُعْمَلُ بعدها فَفِى صحيحِ مسلمٍ وابنِ حِبَّانَ وابنِ خُزيمةَ وغيرِها أنَّ رجلًا أتَى النبىَّ ﷺ فقال إنّى أخذتُ امرأةً فِى البُستان فأصبتُ منها كلَّ شَىْءٍ إلا أنّى لم أَنْكِحْها فَافْعَلْ بِى ما شِئْتَ فقال له عمرُ لقد سَتَرَكَ اللهُ لَوْ سَتَرْتَ على نفسِكَ ولم يَرُدَّ عليه النبىُّ ﷺ شيئًا ثم دعاه فقرأ عليه قولَهُ تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ فقال عمرُ يا رسولَ اللهِ أَلَهُ خاصَّةً أو للناسِ كافَّةً فقالَ لا بل للناس كافَّةً اهـ وثبتَ فِى صحيحِ مسلمٍ مِن حديثِ

عثمانَ بنِ عفانَ رَضِىَ اللهُ عنهُ مرفوعًا مَا مِنِ امْرِئٍ مسلم تحضُرُهُ صلاةٌ مكتوبةٌ فيُحْسِنُ وُضُوءَها وَخُشُوعَها ورُكُوعَها إلا كانتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ ما لم يُؤْتَ كبيرةٌ وذلك الدَهرَ كلَّهُ اهـ ومع هذا تَجِبُ التَّوبةُ منها كالكبيرةِ فإنْ لم يَتُبْ كان عليه ذنبُ تركِ التَّوبةِ وأما الكبيرةُ فتمحوها التوبةُ وقد يمحوها عملٌ صالحٌ بَعْدَها ⊙ رَوَى مسلمٌ أنَّ امرأة بَغِيًّا مرتْ بكلبٍ يَدْلَعُ لِسَانُهُ من العطش فنزعَتْ خُفَّها فاستَقَتْ له بِهِ فغُفِرَ لَهَا اهـ ورَوَى أبو داودَ والتِّرمذىُّ مرفوعًا مَنْ قالَ أستغفرُ اللهَ الذِى لا إله إلا هو الحىُّ القَيُّومُ[1] وأتوبُ إليه غُفِرَ له وإنْ كان فرَّ منَ الزَّحفِ اهـ وإذا كَفَّرَتِ الحسنةُ السيئةَ بَقِيَتْ تبِعَاتُها فلا يمحوها ذلك ⊙

وتمحُو الكبيرةَ كذلكَ إقامةُ العقوبةِ الشرعيةِ عليها لِحديثِ الصحيحينِ عن عُبادةَ بنِ الصامتِ قال كنا عند رسولِ اللهِ ﷺ فقال بايِعُونِى على أنْ لا تُشْرِكُوا باللهِ شيئًا ولا تسرقُوا ولا تَزْنُوا ولا تَقْتُلُوا أولادَكُمْ ولا تَأْتُوا ببهتانٍ تَفْتَرُونَهُ بين أيديكم وأرجلكم ولا تَعْصُوا فِى معروفٍ فَمَن وَفَى منكم فأجرُهُ على الله ومَنْ أصابَ مِن ذلك شيئًا فَعُوقِبَ به فهو كفارةٌ له ومَن أصابَ مِن ذلك شيئًا فستَرَهُ

(١) قوله (الله الذِى لا إله إلا هو الحىُّ القيُّومُ) قال الرازِىُّ فِى تفسيرِهِ إنَّ كونه تعالى حيًّا قيُّومًا يقتضِى أن يكون قائمًا بذاته وأن يكون مقومًا لغيره وكونُهُ قائمًا بذاته يقتضِى الوَحدة بمعنَى نَفْىِ الكثرة فِى حقيقته وذلك يقتضِى الوَحدة بمعنى نفْىِ الضد والندِّ ويقتضِى نفىَ التحيُّز وبواسطته يقتضِى نفىَ الجهةِ وأيضًا كونُهُ قيومًا بمعنى كونه مقومًا لغيره يقتضِى حدوثَ كلِّ ما سواه جسمًا كان أو روحًا عقلًا كان أو نفسًا ويقتضِى استنادَ الكلِّ إليه وانتهاءَ جملةِ الأسباب والمسبَّبات إليه وذلك يُوجِب القولَ بالقضاء والقدر فظهر أنَّ هٰذين اللفظين كالمُحِيطَين بجميع مباحث العلم المتعلِّق بمعرفةِ اللهِ فلا جَرَمَ بلغتْ ءايةُ الكُرسِىِّ فِى الشَّرَفِ إلى المرتبةِ العليا اهـ الفقير.

اللهُ عليه فهو إلى اللهِ إنْ شاءَ عَذَّبَهُ وإنْ شاءَ غَفَرَ لَهُ اهـ فَيَدُلُّ هذا الحديثُ وغيرُهُ على أنَّ الحُدودَ أيِ العقوباتِ الشرعيةَ مقدَّرةً كانت أو غيرَ مقدرةٍ كالتعزيرِ كفاراتٌ للذُّنُوبِ وفِى روايةِ مسلمٍ لِهَذا الحديثِ مَنْ أتَى منكم حَدًّا فأُقِيمَ عليه فهو كفارتُهُ اهـ قال الإمامُ الشافعيُّ رَضِىَ اللهُ عنهُ لم أسمعْ فِى هذا الباب أنَّ الحدَّ يكونُ كفارةً لأهلِهِ شيئًا أحسنَ من حديثِ عُبادةَ بنِ الصامتِ اهـ

وكذا من المُكَفِّراتِ للذُّنُوبِ المَصَائِبُ والأسقامُ والآلامُ تصيبُ العبدَ المؤمنَ فيصبرُ عليها ويحتسبُ فإنه صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال لا يصيبُ المُسْلِمَ نَصَبٌ ولا وَصَبٌ أىْ مرضٌ أو ألمٌ ولا همٌّ ولا حزنٌ(١) ولا أذًى ولا غَمٌّ حتى الشوكةُ يُشَاكُهَا إلا كفَّرَ اللهُ بها من خطاياه اهـ رواه البخاريُّ فِى الأدبِ المُفْرَدِ وفِى حديثٍ ءَاخَرَ عن سعدِ بنِ أبِى وقاصٍ أنه قال لرسول الله ﷺ ما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتى يتركَهُ يَمْشِى على الأرض ما عليه خطيئةٌ اهـ رواه النسائىُّ والترمذيُّ وابنُ حِبَّانَ وءَاخَرُونَ ⊙

ومن المُكَفِّراتِ أيضًا الحجُّ المَبْرورُ فإنه يكفِّرُ الذنوبَ صغيرَها وكبيرَها كما صَحَّ فِى حَدِيثِ مَنْ حَجَّ للهِ عزَّ وجلَّ فلمْ يَفْسُقْ ولمْ يَرْفُثْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أمُّهُ اهـ

وقال ربُّنا تبارك وتعالى ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ فمَنْ مات مُجْتَنِبًا للكبائرِ غيرَ مُصِرٍّ على الصَّغائرِ كانتْ صغائرُهُ مغمورةً فِى حسناتِهِ وغَفَرَها اللهُ له وأدخلَهُ الجنةَ بغيرِ عذابٍ وأمَّا مَعَ الإصرارِ على

(١) قوله (حزن) قال النوويُّ فِى شرح مسلمٍ بضم الحاء وإسكان الزاى المعجمة وبفتحِهِما لغتان اهـ الفقير.

الصغائرِ فلا يكونُ مُجتنبًا لكبائرِ الإثمِ وإنما يكونُ تحتَ مشيئةِ اللهِ تعالى إن شاء عذَّبَهُ وإن شاءَ غفرَ له، ورحمةُ اللهِ واسعةٌ ولا يَهْلِكُ على الله إلا هالِكٌ أيْ لا يهلِكُ مع مسامحة الله تعالى الواسعة إلَّا مفرِّطٌ شديدُ التفريطِ ⊙

وأما عكسُ ما جاء به الحديثُ وهو إتْبَاعُ الحسنةِ بالسيئةِ فإنْ كانتْ رِدَّةً أحبطتْهَا وإلا فلا ويُخَصُّ مِنْ ذلكَ المَنُّ بالصدقة كما قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ ⊙

(وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ) وحُسْنُ الخُلُقِ عبارةٌ عَنْ تَحَمُّلِ أذَى الغَيْرِ وَكَفِّ الأذَى عَنِ الغيرِ والإحْسَانِ إلى مَن أَحْسَنَ إليكَ أو أساءَ عرفَ لكَ أو لم يَعْرِفْ وهو خَصْلَةٌ حميدةٌ ودرجةٌ عاليةٌ رفيعةٌ قال ﷺ إنَّ الرجلَ ليبلغُ بحسن الخلق درجةِ الصائمِ القائمِ اهـ رواه أحمدُ وأبو داودَ وابنُ حِبَّانَ وعلى هذا مَضَى النَّبِيُّونَ ودرج المُرْشِدُونَ العارِفُونَ قال تعالى فِي سورةِ الأعراف ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ أيْ اقْبَلِ المَيْسُورَ مِن أَخْلاقِ الناسِ وَلَا تَسْتَقْصِ عَلَيْهِم فيَستَقْصُوا عَلَيْك فيَتولَّد مِنْهُ البَغْضاءُ والعَداوَةُ ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ أيْ بالمعروف ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ وقال سبحانه فِي سورةِ فُصِّلَتْ ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾ ⊙

رَوَى الفاكِهِيُّ فِي أخبارِ مكة والطبَرَانِيُّ فِي الأوسطِ وغيرُهُما أنَّ منزلَ رسولِ اللهِ ﷺ كان بين منزلِ أبِي لَهَبٍ وبين منزلِ عُقْبَةَ بْنِ أبِي مُعَيْطٍ فكان رسول اللهِ ﷺ إذا خرج لِحاجتِهِ رجَعَ وقد وضعُوا الفروثَ والأرحامَ والدِّماءَ على بابِهِ فيُنَحِّيهِ بِسِيَةِ قَوْسِهِ ويقول يا مَعشَرَ قريشٍ ما أَسْوَأَ جِوارَكُمْ اهـ

ورَوَى ابنُ أَبِى الدُّنْيَا أنه كان بين حسنِ بنِ حسنٍ وبين عليِّ بنِ حسينٍ بعضُ الأمرِ فجاء حسنُ بنُ حسنٍ إلى عليِّ بنِ حسينٍ وهو مع أصحابِهِ فِى المسجد فما تركَ شيئًا إلا قالَهُ له قالَ وعليٌّ ساكتٌ فانصرفَ حسنٌ فلما كانَ الليلُ أتاه فِى منزِلِهِ فقرعَ عليه بابَهُ فخرج إليه فقال له عليٌّ يا أخِى إن كنتَ صادقًا فيما قلتَ يغفرُ اللهُ لِى وإنْ كنتَ كاذبًا يغفرُ الله لكَ السلامُ عليكُمْ وَوَلَّى قال فاتَّبَعَهُ حسنٌ فلحقَهُ فالتَزَمَهُ مِنْ خَلْفِهِ وبَكَى حتى رَثَى له ثم قال لا جَرَمَ[١] لا عُدْتُ فِى أمرٍ تَكْرَهُهُ فقال عليٌّ وأنتَ فِى حِلٍّ مِمَّا قلتَ لِى اهـ

وحديثُ المتنِ **(رواه)** الإمامُ أحمدُ و**(الترمذيُّ وقال حديثٌ حسنٌ وفِى بعضِ النُّسَخِ حسنٌ صحيحٌ)**

والله أعلم ⊙

(الحديثُ التاسعَ عَشَرَ)

هذا الحديثُ يتضمَّنُ وصايا عظيمةً وقواعدَ كُلِّيَّةً مِنْ أهمِّ أمورِ الدينِ حتى قال بعضُ العلماءِ تدَبَّرْتُ هذا الحديثَ فأَدْهَشَنِى وكِدْتُ أَطِيشُ اهـ **(عن أبِى العباسِ عبدِ الله بنِ عبّاسٍ رَضِىَ اللهُ عنهُما)** حَبْرِ الأُمَّةِ وبحرِ العلمِ وتَرْجُمانِ القُرْءَانِ وأبِى الخلفاءِ ابنِ عمِّ النبيِّ ﷺ وُلِدَ قبل الهِجْرَةِ بثلاثِ سنينَ ودَعَا له رسولُ اللهِ ﷺ قائلًا اللّٰهُمَّ عَلِّمْهُ التأويل والحكمة اهـ رُوِىَ له ألفٌ وستُّمِائَةِ حديثٍ وستونَ حديثًا ومات بالطائفِ ودُفِنَ فيها سنةَ ثمانٍ وستينَ فِى خلافةِ ابنِ الزُّبيرِ وقبرُهُ معروفٌ هناك يُزارُ **(قالَ كنتُ خلفَ النبيِّ ﷺ)** رَدِيفًا له على

---

(١) قوله (لا جَرَمَ) فِى القاموس وشرحه أنَّ لا جرم معناه لا بُدَّ أو لا مَحَالَةَ ثم كثُرَ استعمالُهُ حتَّى أجرَوْهُ مُجرَى القسم بمعنَى حقًّا اهـ الفقير.

الدابَّةِ (**يومًا فقالَ**) ﷺ مُوصِيًا له مع صِغَرِ سِنِّهِ لِمَا رَأَى مِن أهليَّتِهِ لذلك وكان وَقْتَها دونَ العَشْرِ (**يا غلامُ**) يقصِدُهُ ﷺ بالخطابِ (**إنِّى أعلِّمُك كلماتٍ**) ينفعُكَ اللهُ بِهِنَّ كما فِى رواية مسلم وكلماتٌ جمعُ قِلَّةٍ إشارةً إلى قِلَّةِ مبانيها رَغْمَ جَزالةِ معانيها فَيَسْهُلُ حفظُها ويتيسرُ ضبطُها ⊙ وفائدةُ هذا التمهيدِ أن يَتَنَبَّهَ المُخاطَبُ ويُصْغِىَ لِفَهْمِ ما يُلْقَى إليه وأن يتمكَّنَ فِى نفسه فضلُ ما يُخَاطَبُ به ⊙

(**احْفَظِ اللهَ**) أيِ احفَظْ أوامرَ اللهِ وأحكامَهُ بامتثالِ ما أَمَرَ واجتنابِ ما عنه زَجَرَ (**يَحفَظْكَ**) مِنَ المَكارِهِ فِى الدنيا والمَشَقَّاتِ فِى العُقْبَى أيِ احفظِ اللهَ فلا يراك حيث نهاك تُحفَظْ فِى دِينك ودنياك (**احْفَظِ اللهَ تجِدْهُ تُجاهَك**) أىْ أمامَكَ كما فِى الروايةِ الأُخْرَى وواضحٌ أنَّ المعنَى ليسَ أنَّ اللهَ تعالَى يصيرُ حالًّا أَمَامَكَ بلْ هو مجازٌ بليغٌ معناهُ أنكَ تَجِدُ عِنايتَهُ ورأفتَهُ قريبًا منك فِى حالِ الصِّحَّةِ وعندَ الموتِ وعندَ الشَّدائدِ كما جَرَى للثلاثةِ الذين أصابَهُمُ المطرُ فآوَوْا إلى غارٍ فانحدرتْ صخرةٌ فانطبقتْ عليهم فقالوا انْظُرُوا ما عملتُمْ مِنَ الأعمالِ الصَّالحةِ فاسألوا اللهَ تعالى بها فإنه يُنْجِيكُمْ فذَكَرَ كلٌّ واحدٍ منهم سابقةً سَبَقَتْ لَهُ مع ربِّهِ تعالى فانْكَشَفَتِ الصخرةُ عن فَمِ الغارِ فخرجوا يَمْشُونَ اهـ وقصَّتُهم مشهورةٌ فِى الصَّحيحَيْنِ وغيرِهِما بل قد يحفظُ اللهُ تعالى العبدَ بعدَ موتِهِ فِى ذُرِّيَّتِهِ كما قيل فِى قولِهِ تعالى ﴿وَكَانَ صَٰلِحًا﴾ الآيةَ إنهما حُفِظا بصلاحِ أبيهِما ⊙ وأشرفُ أنواعِ الحِفْظِ حفظُ اللهِ للعبدِ فِى دِينِهِ وإيمانِهِ فيحفظُهُ فِى حياتِهِ مِنَ الشُّبُهاتِ المُضِلَّةِ ومِنَ الشَّهَواتِ المُحَرَّمةِ ويحفظُ عليه دِينَهُ فِى حياتِهِ وعند موتِهِ فيَحُولُ بينَهُ وبين ما يُفسِدُ عليهِ دِينَهُ بأنواعٍ مِنَ الحِفْظِ قد لا يشعرُ العبد بها ويَتَوَفَّاهُ على الإيمانِ ⊙

ثم قال ﷺ (**إذا سألتَ**) أىْ إذا أردتَ السؤالَ (**فاسألِ اللهَ**) أىْ

فالأفضلُ والذِى يَنبغِى لك أنْ تسألَ اللهَ فإنه مَنْ يُعْطِى ويَمْنَعُ ويَضُرُّ على الحقيقةِ وينفعُ فسؤالُهُ خيرٌ لك مِنْ سؤالِ مَنْ لا يَمْلِكُ إلا ما مَلَّكَهُ مولاه ولا يقدر إلا على ما أَقْدَرَهُ عليه خالقُهُ قال تعالَى ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ ومِن هنا قالوا إنَّ قولَ العبدِ يا ربِّ أَمِدَّنِى وأعطِنِى خيرٌ مِن أنْ يقولَ يا رسولَ اللهِ أَمِدَّنِى وإنْ كان هذا الأخيرُ ليس بحرامٍ وإنما كانَتِ الصِّيغةُ الأُولى هِىَ التِى يجدُرُ قولُها لأنها طَلَبٌ مِنَ اللهِ ودعاءٌ له وهو عبادةٌ يُثَابُ فاعلُهُ عليها ⊙

ومِنْ أنواع الدعاءِ وسؤالِ اللهِ تعالى قولُ الداعِى اللّٰهُمَّ أسألُكَ بالنَّبِىِّ ﷺ أو بعبدِكَ الصالحِ فلانٍ أنْ تُمِدَّنِى أو تُعْطِيَنِى أو تُعَافِيَنِى أو تَشْفِيَنِى أو تُحْسِنَ خِتَامِى إذ هو دُعَاءٌ لله وطَلَبٌ منه وقد ثبتَ الحديثُ بمثلِهِ مرفوعًا وموقوفًا ⊙

(وإذا استعنْتَ) أىْ أردتَ طلبَ المَعُونةِ **(فاستعِنْ باللهِ)** أىْ فالأفضلُ أنْ تطلبَ العَوْنَ مِنَ اللهِ فإنَّ الأمورَ بيدِهِ ولا حول ولا قوة إلا به فأرشَدَهُ عليه الصلاةُ والسلامُ إلى التَّوَكُّلِ على مولاه وأنْ لا يتعلقَ بغيرِهِ فِى جميع أمورِهِ ما قلَّ منها وما كثُرَ قال تعالى فِى سورةِ الطلاقِ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ فَبِقَدْرِ ما يَرْكَنُ الشخصُ إلى غيرِ اللهِ تعالى بطلبِهِ أو بقلبِهِ أو بأملِهِ فقد توجَّهَ عن ربِّهِ إلى مَنْ لا يخلق ضُرًّا له ولا نفعًا ⊙

وليس المَعْنَى أنه يَحْرُمُ الاستعانة بغيرِ اللهِ كيفَ وقد قال تعالى ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ ولم يَذُمَّهُ عزَّ وجلَّ بذلكَ وقال نبيُّنَا عليه الصلاة والسلام فيستغيثون بآدمَ اهـ

وليس فِى قوله تعالى ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ تحريمُ مُطْلَقِ الاستعانةِ بغير الله وإنما المَعْنَى لا نطلبُ خَلْقَ المَعُونَةِ إلا منك يا ربِّ فهى

استعانةٌ خاصَّةٌ لا تليقُ إلا باللهِ إذْ هو وَحْدَهُ الذى يَخْلُقُ ويُبْرِزُ مِنَ العَدَمِ إلى الوجودِ ولذلك قُدِّمَ لفظُ ﴿إِيَّاكَ﴾ على لفظِ ﴿نَسْتَعِينُ﴾ فِى الآيةِ وإلا فقد قال رسولُ اللهِ ﷺ إنَّ اللهَ فِى عَونِ العبدِ ما كان العبدُ فِى عونِ أخيه اهـ رواه الشيخان وغيرُهُما ⊙

والمقصودُ بنصيحةِ رسولِ اللهِ ﷺ هذه أنَّ مَنْ عَلِمَ أنَّ الله تعالى يراه ويطَّلِعُ على أعمالِهِ فخافَهُ وأطاعَهُ وحفظَ حقوقَهُ وَجَدَهُ أمامَهُ وتُجَاهَهُ عَلَى كلِّ حالٍ فاستأنسَ بِحِفْظِهِ ورِعَايَتِهِ ولَجَأَ إليه فِى حاجاتِهِ واستغْنَى بِهِ عَنِ الطَّلَبِ مِنْ خَلْقِهِ ⊙

هذا واللهُ سبحانه يحبُّ أن يُسأَلَ ويُرْغَبَ إليه فِى الحوائجِ ويُلَحَّ فِى سؤالِهِ ودعائِهِ وهو يَسْتَدْعِى مِن عبادِهِ سؤالَهُ وقادرٌ على إعطاءِ خَلقِهِ كلِّهِم سُؤْلَهُمْ من غيرِ أن ينقصَ من ملكِهِ شَىْءٌ وأمَّا المخلوقُ فَفِى الغالبِ يَكْرَهُ أن يُسأَلَ ويُحِبُّ أنْ لا يُطلَبَ منه لعجزِهِ وفقرِهِ وحاجتِهِ وطَمَعِهِ وهو معنَى قولِ الشاعرِ

اللهُ يرضَى أنْ تَزيدَ سُؤالَهُ وبُنَىُّ ءَادَمَ حينَ يُسْئَلُ يَغضَبُ

وفِى حديثِ ابنِ حبانَ مرفوعًا لِيَسْأَلْ أحدُكُمْ ربَّهُ حاجتَهُ كُلَّها حتى يَسْأَلَ شِسْعَ نَعْلِهِ إذا انقطعَ اهـ وذلك أنَّ سؤالَ اللهِ تعالى فيه إظهارُ الذُّلِّ والمَسْكَنَةِ والافتقارِ إليه وفيه الاعترافُ بتمامِ قُوَّتِهِ وعظمةِ قُدْرَتِهِ سبحانَهُ على رفعِ الضُّرِّ ونيلِ المَطلوبِ وجَلْبِ المَنافِعِ ودَرْءِ المَضارِّ فكانَ تعظيمًا وعبادةً له تعالى وعلى هذا المعنَى يُفهَمُ ما أخرجه أحمدُ والطيالسِىُّ والحاكمُ وغيرُهم مرفوعًا الدُّعاءُ هو العبادةُ ثم قرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ اهـ وكيفَ لا يكونُ دعاءُ اللهِ تعالى كذلك وأنتَ تطلُبُ فيه مِنَ اللهِ خَلْقَ مرادِكَ فيقتضِى ذلك إقرارَكَ

بعجزِكَ وحاجتِكَ وعبوديَّتِكَ واعترافَكَ بعِزِّهِ تعالَى وأُلوهيَّتِه وغِناهُ ووحدانيَّتِه وقدرتِه وإرادتِه ونفاذِ مشيئتِه وعلمِه وسمعِه فينبغِى الإكثارُ منه وأمَّا الطلبُ منَ المخلوقِ كائنًا مَن كانَ فإنه ليس على وجهِ طلبِ التخليقِ والإبرازِ منَ العَدَمِ إلى الوجودِ فيُفوّتُ به صاحبُه على نفسِه تحصيلَ تلك المعانِى الراقيةِ المتحقِّقةِ فِى دعاءِ الخالقِ سبحانَه فلا ينبغِى أن يعدِلَ العبدُ إليه إلَّا حيثُ أمرَه الشرعُ به ⊙ ومِن ثَمَّ روَى أحمدُ والطيالسِيُّ والبخارِيُّ فِى الأدبِ المفرَد وغيرُهم الدعاءُ أيْ دعاءُ اللهِ تعالى أشرفُ العبادة اهـ وروَى الحاكمُ وصحَّحه أفضلُ العبادةِ هو الدعاءُ اهـ وبايعَ النبيُّ ﷺ جماعةً من أصحابِهِ على أن لا يسألوا الناسَ شيئًا فكانَ أحدُهُمْ يسقطُ سَوْطُهُ من يدِهِ أو خِطَامُ ناقتِهِ فلا يسأل أحدًا أن يُناولَهُ إياهُ اهـ رواه مسلمٌ ⊙

(**واعلمْ أنَّ الأمّةَ**) أيْ سائرَ الخَلْقِ كما فِى بعضِ الرِّوَايَاتِ (**لو اجتمعتْ**) أيْ إنِ اجتمعتْ (**على أنْ ينفَعوك بِشَىْءٍ لم ينفعوكَ إلا بِشَىْءٍ قد كتبَهُ اللهُ لكَ وإنِ اجتمعُوا على أنْ يضرُّوك بشَىْءٍ لم يَضُرُّوك إلا بشَىْءٍ قد كتبَهُ اللهُ عليكَ**) أى قَدَّرَهُ عليكَ فأرشَدَهُ بذلك أيضًا إلى التَّوَكُّلِ على مولاه وعلى هذا الأصلِ تدورُ هَذِهِ الوصيةُ كلُّها قالَ تعالى ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ ⊙ (**رُفِعَتِ الأقلامُ**) عَنِ الصُّحُفِ وثبتتِ الأحكامُ فلا كتابةَ أُخْرَى بها (**وجفَّتِ الصُّحُفُ**) أى جَفَّتِ الكتابةُ التِى فيها وفُرِغَ منها على وَفْقِ ما قَدَّرَ اللهُ فلا تغييرَ لإرادةِ اللهِ ولا لتقديرِهِ عزَّ وجلَّ ⊙ قال بعضُهُم فهاتانِ العبارتانِ تأكيدٌ لِمَا تَقَدَّمَ وأنه لا يكونُ خلافُهُ بنسخٍ ولا تبديلٍ ⊙ ولا يُقالُ كيفَ هذا والقلمُ الأعلى واحدٌ واللوحُ واحدٌ والمذكورُ فِى الحديثِ جمعٌ لأنَّ الجَمْعَ هنا للتعظيمِ كما فِى قوله تعالى ﴿كَلِمَتُ رَبِّى﴾ فإنَّ المرادَ به كلامُ رَبِّى

وفِى قوله ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فإنَّ المراد منه الميزانُ اهـ ومثلُهُ يُقال فِى حديثِ قيلَ يا رسولَ اللهِ فِيمَ العملُ اليومَ فيما جَفَّتْ بِهِ الأقلامُ وجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ الحديثَ اهـ

ولا يَرِدُ على ما تَقَدَّمَ قولُ اللهِ تعالى فِى سورةِ الرَّعدِ ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ فإنَّه محمولٌ على النَّسْخِ كما رَوَى البيهقِىُّ وغيرُهُ عن ابنِ عباسٍ ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ يقولُ يُبدّلُ اللهُ ما يشاءُ من القُرْءَانِ فينسَخُهُ ﴿وَيُثْبِتُ﴾ يقول يُثبِتُ ما يشاء لا يُبَدِّلُهُ ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ يقولُ جملةُ ذلك عندَهُ فِى أمِّ الكتابِ الناسخُ والمنسوخُ وما يُبَدَّلُ وما يُثْبَتُ اهـ قال البيهقِىُّ هذا أصحُّ ما قيلَ فِى تأويلِ هذهِ الآيةِ وأجراهُ على الأصولِ وعلى مثلِ ذلكَ حملها الشافعىُّ رحمه الله اهـ

والحديثُ الذِى أورده الشيخُ رُوِىَ عنِ ابنِ عباسٍ من طرقٍ كثيرةٍ أصحُّها ما **(رواه)** الإمامُ أحمدُ و**(الترمذىُّ وقال حديثٌ حسنٌ صحيحٌ)** مِنْ طريقِ حَنَشٍ الصَّنْعَانِيِّ عن ابن عباسٍ رَضِىَ اللهُ عنهُما **(وفِى روايةِ غيرِ الترمذيِّ)** أىْ عند عبدِ بنِ حُميد فِى مسندِهِ بإسنادٍ ضعيفٍ وأحمدَ بإسنادين منقطعينِ **(احفَظِ اللهَ تَجِدْه أمامَك)** ومَنْ كانَ اللهُ معه فَمَنْ يخافُ **(تعرَّفْ إلى اللهِ)** أىْ أطِعْهُ والْـجَأْ إليهِ بالدعاءِ **(فِى الرَّخاءِ يَعْرِفْك فِى الشِّدَّة)** أىْ ويجعلْ لكَ منها مخرجًا كما رَوَى الترمذىُّ مَنْ سَرَّهُ أنْ يَستجيبَ اللهُ له عند الشدائد والكروب فَلْيُكْثِرِ الدعاءَ فِى الرَّخَاءِ اهـ ورواه الحاكمُ عَنْ سَلْمَانَ وصَحَّحَهُ **(واعلمْ أنَّ ما أَخطأَك لم يَكُنْ لِيُصيبَكَ وما أصابكَ لم يَكُنْ لِيُخطِئَكَ)** كما قالَ تعالى ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ **وفِى نسخةٍ أخرى واعلمْ أنَّ ما أصابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وما أَخْطَأَكَ لم يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وهو الموافقُ لِمَا فِى مُسْنَدِ عبدِ بنِ حُميد (واعلمْ أن النَّصر)** للعبْدِ

يُوجد بعونِ اللهِ (**معَ الصَّبْرِ**) مِنَ العبدِ والصَّبْرُ هو حَمْلُ النَّفْسِ على مكروهٍ تَتَحَمَّلُهُ أو لذيذٍ تُفَارِقُهُ طلبًا لرضا اللهِ تعالى والواجبُ منه ثلاثةُ أنواعٍ صبرٌ على أداء الواجبات وصبرٌ على اجتناب المحرمات وصبرٌ على المصائبِ بِتَرْكِ التَّسَخُّطِ على الله تعالى وعدمِ الجُنُوحِ إلى المَعَاصِى بسبَبِهَا وعندَ الخاصَّةِ أنواعُ صَبْرٍ فوقَ هذه **وقد صحَّ فِى الحديثِ وما أُعْطِىَ الإنسانُ عطاءً خيرًا وأوسعَ مِنَ الصَّبْرِ** اهـ (**وأنَّ الفَرَجَ**) أى الخروجَ من الغَمِّ (**معَ الكَرْبِ**) وهو الغَمُّ الذِى يَأْخُذُ بالنَّفْس[1] والمُرَادُ أنَّ الكَرْبَ والشِّدَّةَ لا يَدُومان ولا بُدَّ مِنَ الخلاصِ مِنَ المِحْنَةِ (**وأنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا**) كما قالَ تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ ذكرَ العُسْرَ مرَّتين مع دخول ألْ عليه وذكرَ اليُسْرَ مَرَّتينِ مُنَكَّرًا فدلَّ على أنَّ العسرَ الثانِىَ هو عينُ الأول وليس كذلك اليسْرُ الثَّانِى ولذا قالَ النبىُّ ﷺ لن يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ اهـ رواه الحاكمُ فِى المستدركِ والبيهقِىُّ فِى الشُّعَبِ وصحَّ فِى الموطإ وغيرِهِ من كلام عمر رَضِىَ اللهُ عنهُ اهـ وفِى الحديثِ تنبيهٌ على أنَّ الإنسانَ فِى الدُّنيا مُعَرَّضٌ للمصائبِ ولا سيما الصالحونَ كقولِهِ تعالى فِى سورةِ البقرةِ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧﴾ **وقولِهِ تعالى فِى سورةِ الزُّمَرِ** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ⊙ ومَنْ فَهِمَ هذا الحديثَ وأيقنَ بمعناه وعملَ بِمُقْتَضَاهُ شَكَرَ اللهَ فِى الرخاءِ والسَّعَةِ وصَبَرَ عندَ الضِّيقِ والمُصِيبةِ وبهذا

(١) قوله (بالنفس) قال فِى التاج بفتحٍ فسكون وضُبِطَ فِى بعضِ النسخِ أى نسخ القاموس محركة اهـ الفقير.

يحصُلُ له الفرجُ والفلاحُ والظَّفَرُ واللهُ أعلمُ ⊙

(الحديثُ العِشرون)

ومِنْ هٰهنا إلى ءَاخِرِ الكتابِ لم يتعرضِ المُصنف رحمه الله للفظةِ الحديثِ قبلَ ذِكْرِ أرقامِ أغلبِ الأحاديثِ التِى أوردَها ⊙

(عن أبِى مسعودٍ عُقْبَةَ بنِ عمرٍو الأنصاريِّ) الخزرجيِّ مِمَّنْ شهدَ بَيْعَةَ العَقَبَةِ **(البَدريِّ)** نسبة لنزولِهِ بدرًا لا لشهودِهِ معركتَهَا عند جماعةٍ وقال البخاريُّ ومسلمٌ وغيرُهُما إنه شهدَهَا وهو الذِى رَجَّحَهُ الحافظُ ابنُ حجرٍ سَكَنَ الكوفةَ وماتَ بها فِى خلافة عليٍّ **(رَضِىَ اللهُ)** عن علِيٍّ و**(عنهُ قالَ قالَ رسولُ الله ﷺ إنَّ مِمَّا أدركَ الناسُ)** أىْ بعضَ ما أدركوه **(مِن كلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى)** أىْ من كلماتِ ذَوِى النُّبُوَّةِ المُتَقَدِّمِينَ **(إذا لم تَسْتَحْيِ فاصنعْ ما شِئْتَ)** أىْ فالحياءُ مِنْ قضايا النُّبُوَّةِ المُجْمَعِ على الحَثِّ عليها فِى كُلِّ الشَّرَائِعِ قال الخطَّابِىُّ ولم يزلْ مَمْدُوحًا مُستحسنًا مأمورًا به لم يُنْسَخْ فِى شرائعِ الأنبياءِ الأَوَّلِينَ اهـ فما من نَبِىٍّ إلا وقد حثَّ عليه ونَدَبَ الأمةَ إليه ⊙ وهذا فِى الحياءِ المَمْدُوحِ وهو خَجَلٌ فِى النَّفْسِ يمنعُ مِنْ فِعْلِ ما يَقْبُحُ فِى الشرع أو فِى العُرْفِ أىْ عُرفِ ذَوِى الفضلِ وهو يَنشأُ عن عِلْمِ القلب وشُهودِهِ بأنَّ اللهَ رقيبٌ عليه فيحفظُ ظاهرَهُ وباطنَهُ مِنْ مخالفةِ أحكامِهِ ويَستقبحُ أن يصدرَ منه هفواتٌ وزلاتٌ فيراه المَوْلَى عزَّ وجلَّ على ما لا يُحِبُّ فينشطُ للمعالِى بصبرٍ وتَحَمُّلٍ غيرَ شَاكٍ إلى مَنْ عَدَا اللهَ عزَّ وجلَّ ولا معتمدٍ على سواهُ وعلى هذا مدارُ الإسلامِ ومِن هنا قال عليه الصلاةُ والسلامُ كما أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ الحياءُ منَ الإيمانِ اهـ وأقلُّ درجاتِ كَمَالِهِ فيما ذَكَرَهُ بعضُهُمْ أن تكونَ بحيث لا تُرَى حيث نُهيتَ ولا تُفْتَقَدُ حيثُ أُمِرْتَ اهـ أىْ بحيثُ تجتنبُ المحرَّماتِ وتُؤَدِّى

الواجباتِ ⊙ وفوقَ هذا مراتبُ منَ الحياءِ يترقَّى العبدُ فِى الخير كلَّما ترقَّى فيها حتَّى يملأ أوقاته بالخيراتِ ويصرفَ جهدَهُ إلى الطاعاتِ والمَبَرَّاتِ ويستحِىَ منَ اللهِ تعالى أن يراهُ مُضَيِّعًا لوقتِهِ وجهدِهِ ولِنِعَمِ اللهِ عليه ⊙

وأمَّا الحياءُ المَذْمُومُ فهو ما يمنعُ منَ الخير تغليبًا لِمَرضاةِ الناسِ وهو فِى الحقيقةِ عجزٌ وخَوَرٌ وضعفٌ وجُبْنٌ ومَهَانَةٌ ⊙ وفى مِثْلِ هذا الحياءِ وَرَدَ مرفوعًا لا يَسْتَحْيِ الشيخُ أنْ يتعلمَ العلمَ كما لا يَسْتَحْيِى أنْ يأكلَ الخُبْزَ اهـ رواه أبو نُعَيم فِى أخبارِ أصبهانَ ⊙ وقالتْ عائشةُ رَضِىَ اللهُ عنهُا نِعْمَ النِّساءُ نساءُ الأنصارِ لم يَمْنَعْهُنَّ الحَيَاءُ مِنَ التَّفَقُّهِ فِى الدِّينِ اهـ رواه البخارِىُّ ⊙ وقال مجاهدٌ لا يتعلمُ العِلْمَ مُسْتَحٍ ولا مُسْتَكْبِرٌ اهـ رواه البيهقىُّ ⊙

ويُستعمَلُ الحياءُ فِى وُجُوهٍ أُخَرَ منها حَيَاءُ الجِنايةِ عندَ المُخَالَفَةِ وحياءُ الكَرَم كما فِى قوله تعالى ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ وحياءُ الحِشْمَةِ كحياءِ عَلِيٍّ مِنْ سُؤالِ النَّبِيّ عندَ الإمذاءِ لكونِ بِنْتِهِ تَحْتَهُ وحياءُ الاستحقارِ كالحياءِ مِنْ طَلَبِ مُحَقَّرَاتِ الأمورِ وحياءُ الإنعامِ وهو حياءُ الرَّبِّ عز وجلَّ على ما يليقُ به لا على وَجْهِ الحُدُوثِ والانفعالِ كما فِى حديثِ أحمدَ وأبِى داودَ وغيرِهِما المتقدمِ فأستحيِى أن أردَّهُمَا خَالِيَتَيْنِ اهـ

وقولُهُم صلواتُ ربِّى وسلامُهُ عليهم فاصْنَعْ ما شئتَ فيه وجوهٌ ثلاثةٌ ذكرها الخطَّابِىُّ فِى أعلامِ السُّنَنِ لعلَّ أقربَها أنْ يكون خرج بلفظِ الأمرِ على معنَى الوعيد والتهديد ولم يُرِدْ به الأمرَ كقولِهِ تعالى فِى سورة فُصِّلَتْ ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ فإنه وَعِيدٌ لأنه بَيَّنَ لَهُمْ ما يأتونَ وما يَذَرُونَ وكقولِهِ ﷺ فِى حديثِ أبِى داودَ والدَّارِمِيّ مَنْ باع الخمرَ

فليُشْقِصِ الخنازيرَ اهـ أىْ فليقطعْ لحومَ الخنازيرِ لِبَيْعِهَا أو لأكلِهَا فإنه ليس فيه إباحةُ تشقيصِ الخنازيرِ عندئذٍ بل تهديدُ مَنْ يفعلُ ذلك وتَوَعُّدُهُ واللهُ أعلمُ ⊙

والحديثُ **(رواه البخارىُّ)** وأبو دوادَ وابنُ ماجَهْ ⊙

واللهُ أعلمُ ⊙

(الحديثُ الحادِىْ والعشرونَ)

(عن أبِى عَمْرٍو وقِيلَ أبِى عَمْرَةَ) تأنيثِ عَمْرٍو **(سُفْيَانَ بنِ عبدِ اللهِ)** الثَّقَفِىِّ **(رَضِىَ اللهُ عنهُ)** وكان عاملًا لسيدِنا عمرَ عَلَى الطَّائِفِ **(قال قلتُ يا رسول الله قلْ لِى فِى الإسلامِ قولًا لا أسألُ عنه أحدًا غيرَك)** أىْ خُصَّنِى مِنْ بينِ الناس بإخبارِى عمَّا يَكْمُلُ به الإسلامُ بعبارةٍ كافيةٍ شافيةٍ واضحةٍ لا أحتاج بعد سماعِها إلى استفهامِ أحدٍ عن هذا الأمرِ لأعملَ عليه وأكتفِىَ به **(قالَ قُلْ ءَامَنْتُ باللهِ)** أىْ وبما يلزمُ مِن ذلك ويتبعُهُ مِنَ الاعتقاداتِ **(ثم اسْتَقِمْ)** على الإيمانِ وعلى أداءِ المَأموراتِ واجتنابِ المَنْهِيَّاتِ إلى الموتِ فإنَّ الاستقامةَ امتثالُ كُلِّ مأمورٍ واجتنابُ كُلِّ ممنوعٍ مِن أعمالِ القلوبِ والأبدانِ وهذا مِنْ جوامعِ الكَلِمِ التِى أُوتِيَها النَّبِىُّ ﷺ فإنَّهُ أمَرَهُ أن يُجَدِّدَ إيمانَهُ بلسانِهِ متذكِّرًا بقلبِهِ وأمرَهُ أن يستقيمَ على أداءِ أعمالِ الطاعاتِ والانتهاءِ عنْ جميعِ المخالفاتِ إذ لا تَتَأتَّى الاستقامةُ مع شَىْءٍ من الاعوجاجِ فإنها ضِدُّهُ وهذا كقولِهِ تعالى فِى سورة فُصِّلَتْ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ أىْ ءَامَنُوا باللهِ ووَحَّدُوهُ ثم استقامُوا على ذلك وعلى الطاعةِ إلى أنْ تُوُفُّوا عليها ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ مِن فزعِ يومِ القيامةِ وأَهْوَالِهِ ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ على ما خَلَّفُوا وراءَهُمْ بعد مَمَاتِهِم اهـ

رَوَى الطبرِىُّ عَنِ ابن عباسٍ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ يقول على أداء فرائضِه اهـ وقال عمرُ بنُ الخطابِ رَضِىَ اللهُ عنهُ فِيما رواه ابنُ المباركِ فِى الزهدِ وأحمدُ فِى الزُّهدِ وغيرُهُما استقامُوا واللهِ على طاعتِهِ ولم يَرُوغُوا رَوَغَانَ الثعلبِ اهـ ومعناه اعْتَدَلُوا على طاعةِ اللهِ تعالى عَقْدًا وقولًا وفعلًا ودَامُوا على ذلك فلم يَتْرُكُوا واجبًا ولا قَارَفُوا معصيةً ⊙

قالوا ولفظُ ثُمَّ هنا للترتيبِ الوُجودِىّ لأنَّ الاستقامةَ لا تكونُ ولا تُوجَدُ إلَّا مقارنةً للإيمانِ كما عند الأنبياءِ أو بعدَ وجودِهِ بمدةٍ كالعادةِ فِى أغلبِ المؤمنينَ وليس هو للتَّرَاخِى الذِى هو بمعنَى المُهْلَةِ فلا يَدُلُّ على أنَّ الكفارَ ليسوا مخاطَبِين بفروعِ الإسلام بل هم مُخَاطَبونَ بدليلِ قوله تعالى ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣﴾ فهو هُنَا مُسْتَعَارٌ للتَّرَقِّى فِى الرُّتْبَةِ لأنَّ الاستقامةَ بعد الإيمانِ أفضلُ مِن مجرد الإيمانِ لشمولِهَا العقائدَ والأعمالَ والأخلاقَ والأحوالَ فمَنْ وفَّقَهُ اللهُ إلى التوحيدِ وعرفَ جلالَ الخالق وشمولَ علمِهِ وتمامَ قدرتِهِ فَعليهِ أنْ يدورَ مع ما أَمَرَ به وأرشَدَ إليه كيفما دارَ إقرارًا ورِضًا وتسليمًا وطاعةً وأن لا ينزل عن كمالِ المحبَّة وتمامِ صدقِها إلى فَتْرَةِ النَّفْسِ والهَوَى وهو المقصودُ بقولِ عبدِ الله بن المبارَك(١)

تَعْصِى الإلٰهَ وأنتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هذا لَعَمْرِى فِى الفعالِ بديعُ
لو كان حبُّكَ صادقًا لأَطَعْتَهُ إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحبُّ مُطِيعُ

وعلى هذا المعنَى أنشده الحسنُ بن محمد بن الحنفية ورابعةُ رحمهما اللهُ ولذلك لم يتحلَّ بالاستقامةِ ولم يُطِقْها إلا الأكابرُ لأنها

---

(١) قوله (بقول عبد الله بن المبارك) هكذا رواه ابن عساكر وغيرُه عنه من قولِه ورُوِىَ عن أبِى العتاهية من قولِه بلفظٍ فِى القياس. الفقير.

الخُرُوجُ عنِ المعهوداتِ ومفارقةُ الرسومِ والعاداتِ والقيامُ بين يَدَىِ اللهِ تعالى على حقيقةِ الصِّدْقِ ولذلِكَ قال النَّبِىُّ ﷺ فيما رواهُ مالكٌ وابنُ حبانَ وغيرُهُما اسْتَقِيمُوا ولن تُحْصُوا اهـ يَعْنِى ولَنْ تَقدروا أىْ إلَّا النادرَ منكم على الاستقامةِ كُلِّهَا أىْ لَنْ تُطِيقُوا أنْ تفعلُوا كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ به كما أخرجَ أحمدُ وأبو داودَ مرفوعًا يا أيها الناسُ إنكم لن تُطيقُوا ولن تفعلوا كُلَّ ما أمرتُكُمْ بهِ ولكنْ سَدِّدُوا وأَبْشِرُوا اهـ والمُوَفِّقُ هو اللهُ ⊙ والحديثُ **(رواه مسلمٌ)** والتِّرْمِذِىُّ وابن ماجَهْ وغيرُهُم ⊙

والله تعالى أعلمُ ⊙

(الحديثُ الثانِى والعشرونَ)

(عنْ أبِى عبدِ اللهِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ الأنصاريِّ رَضِىَ اللهُ عنهُما) كان هو وأبوه مِنْ مشاهيرِ الصحابةِ شَهِدَ العقبةَ الثانيةَ وبدرًا وهو مِنَ الحفاظ المُكْثِرين فِى الرِّوَايَةِ ومِمَّنْ طالَ عمْرُهُ فَكَثُرَ الأخذُ عنه وتُوُفِّىَ سنة ثلاثٍ وسبعين عن أربعٍ وتسعين سنة وَرُوِىَ عنه ألفٌ وخمسُمِائَةِ حديثٍ **(أنَّ رجلًا)** هو النُّعْمَانُ بنُ قَوْقَلٍ الأنصارىُّ كما عند أحمدَ استُشْهِدَ بِأُحُدٍ **(سألَ رسولَ اللهِ ﷺ فقال أرأيتَ)** استفهامٌ بمعنى طَلَبِ الإرشادِ للخَيْرِ أىْ أرشدْنِى **(إذا صَلَّيْتُ المكتوباتِ)** أى الخمسَ المفروضاتِ **(وصُمْتُ رمضانَ)** أىْ أيامَ شَهْرِهِ **(وأَحْلَلْتُ الحلالَ)** مِنَ الأعمالِ فلم أباشِرْ عَمَلًا غيرَ حلالٍ **(وحَرَّمْتُ الحرامَ)** منها فلم أباشِرْ عمَلًا مُحَرَّمًا **(ولم أزِدْ على ذلك شيئًا)** مِنْ سائر الطاعاتِ ولم يذكرِ الزكاةَ والحجَّ لأنه ماتَ قبلَ فرضِهِما **(أدخُلُ الجنَّةَ)** أىْ مِنْ غيرِ سَبْقِ عُقُوبةٍ وهمزةُ الاستفهامِ مقدرةٌ فيه كقولِهِ تَعالى إخبارًا عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ أىْ أهذا رَبِّى على وجهِ الاستفهامِ الإنكاريِّ

(قال) أىْ رسولُ اللهِ ﷺ **(نعم)** اهـ **(رواه مسلمٌ)** وأحمدُ ⊙ قال ابنُ الصَّلَاحِ الظاهرُ أنه أراد بقولِهِ وحرَّمتُ الحرامَ أمرينِ أحدُهُما أن يعتقدَ كونَهُ حرامًا والثانِى أنْ لا يفعلَهُ بخلافِ تحليلِ الحلالِ فإنه يَكْفِى فيه مجردُ اعتقادِهِ حلالًا اهـ ولم يذكرِ النَّبِىُّ ﷺ للسائل فِى هذا الحديثِ شيئًا من التَّطَوُّعَاتِ ولا نبَّهَهُ على النوافلِ والمُسْتَحَبَّاتِ وهذا يدلُّ على جوازِ تركِها مع أنَّ الشَّرْعَ دَعَا إليها وحثَّ عليها وبَيَّنَ أنَّ مَنْ تَرَكَها ولم يَعْمَلْها فقد حَادَ عن طريقٍ يُحَبِّبُهُ إلى خالِقِهِ وفَوَّتَ على نفسِهِ ربحًا عظيمًا وثوابًا جَسِيمًا ولذلكَ لم ينفَكَّ السَّلَفُ الصالِحُ عنِ الاهتمامِ بشأنِهَا والإتيانِ بها وإنما تَرَكَ النبىُّ ﷺ تنبيهَهُ عليها تسهيلًا وتيسيرًا لِقُرْبِ عهدِهِ بالإسلامِ لِئَلَّا يكونَ الإكثارُ مِنْ ذلك تنفيرًا له وعَلِمَ أنه إذا تمكَّنَ فِى الإسلامِ وشرحَ اللهُ صدرَهُ رَغِبَ فيما رَغِبَ فيه غيرُهُ أو لِئَلَّا يَعْتَقِدَ أنَّ النوافلَ والتَّطوعاتِ واجبةٌ فَتَرَكَهُ لذلك وكذلك فِى الحديثِ الآخَرِ أنَّ رجلًا سألَ النبىَّ ﷺ عنِ الصَّلاةِ فأخبرَ أنها خمسٌ فقال هل علىَّ غيرُها قال لا إلَّا أنْ تَطَّوَّعَ ثم سألَ عنِ الصَّومِ والحجِّ والشرائعِ فأجابه ثم قال فِى ءَاخِرِ ذلك واللهِ لا أزيدُ على هذا ولا أَنْقُصُ منه فقال أفلحَ إن صدقَ وفِى روايةٍ إن تمسَّكَ بما أُمِرَ بِهِ دخلَ الجنةَ اهـ

وفِى جوابِ رسولِ اللهِ ﷺ هذا ردٌّ على مَن زعمَ مِن أهلِ زماننا ومِمَّن قبلَهُ أنَّ تَرْكَ الرواتبِ على الدوامِ إِثْمٌ وليس لهم على ذلك حجةٌ قائمةٌ وقد وفَّقَ اللهُ تعالى رسولَهُ ﷺ بجوابِهِ لإفادةِ السائلِ فِى زمانِهِ ولإيضاحِ السبيلِ لِمَنْ يأتِى بعدَهُ ولا شكَّ أنَّ مَنْ حافظَ على الفرائضِ وإقامَتِها والإتيانِ بها فِى أوقاتها مِن غير إخلالٍ بها فقد أفلح فلاحًا كثيرًا فإنْ أَتْبَعَهَا بالنوافلِ مراعيًا للسنةِ متحليًا فِى كلّ ذلك بالإخلاصِ فقد فازَ وصارَ من الآمنينَ ⊙ وكان صَدْرُ الصحابةِ رَضِىَ

اللهُ عنهُم ومَنْ بَعْدَهُم يُثَابِرُون على فعلِ السُّنَنِ والفضائلِ مثابرتَهُمْ على الفرائضِ ولم يكونوا يُفَرِّقُونَ بينها فِى اغتنامِ ثوابِهَا وإنما احتاجَ أئمةُ الفقهاءِ إلى ذِكْرِ الفَرْقِ لِمَا يَتَرَتَّبُ عليه من وجوبِ الإعادةِ وعدمِهِ وخوفِ العِقَابِ على التَّرْكِ ونفْيِهِ ⊙

والعادةُ أَنَّ مَنْ ثبتَ على الاستقامةِ أى أداءِ الواجباتِ واجتنابِ المُحَرَّماتِ جَذَبَهُ ذلكَ إلى الإقبالِ على النوافلِ حتى يصيرَ مِنْ أحبابِ اللهِ عزَّ وجلَّ وأما مَن تَرَكَ الفرائضَ واشتغلَ عنها بالنوافلِ فهو أحدُ الهَالِكِينَ ⊙ رَوَى أبو سعدٍ المَالينِىُّ فِى الأربعين فِى شيوخ التصوفِ عن محمدِ بنِ أَبِى الوَرْدِ قال هلاكُ الناس فِى حرفين اشتغالٌ بنافلةٍ وتضييعُ فريضةٍ وعملُ الـجوارحِ بلا مواطأةِ القلبِ وإنما مُنِعُوا الوصولَ لتضييعِ الأُصُولِ اهـ وروَى أبو نعيم فِى الحلية عن الحارثِ المُحاسِبِىّ لَا يَنْبَغِى لِلْعَبْدِ أَنْ يَطْلُبَ الوَرَعَ بِتَضْيِيعِ الوَاجِبِ اهـ

وظاهرُ حديثِ المتنِ أنَّ الأعمالَ الصالحةَ أسبابٌ لدخولِ الجنةِ وهو كذلك وهذا لا يتعارضُ مع حديثِ مسلم واعلَمُوا أنه لن ينجوَ أحدٌ منكم بِعَمَلِهِ قالوا ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ قالَ ولا أنا إلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِى اللهُ برحمةٍ مِنْهُ وفضلٍ اهـ أىْ إلا أن يُلْبِسَنِى رَحْمَتَهُ وَفَضْلَهُ ويَسْتُرَنِى بهما وفِى روايةِ ابنِ حبانَ وما منكم من أحدٍ يُدخلُهُ عَمَلُهُ الجنةَ اهـ فإنَّ فِعْلَ العبدِ للصالحات واجتنابَهُ للمعاصِى لا يكونُ إلا بتوفيقِ اللهِ وفضلِهِ وهو لا يُوجِبُ على اللهِ إدخالَ الطائعينَ الجنةَ لأنَّ اللهَ لا يجبُ عليه شَىْءٌ وإنما تَحَتَّمَ دخولُهُ الجنة فضلًا منَ اللهِ بوعدِه ومشيئتِهِ الثوابَ والنعيمَ له لكونه مِنْ جُملةِ الصالحينَ ومَنْ عَلِمَ اللهُ فِى الأزلِ منهُ الاستعدادَ للطاعةِ خلقَ ذلك فِيهِ وأظهرَهُ على يدِهِ ويَسَّرَهُ له فاجتهدَ بعونِ اللهِ وتسديدِهِ على وَفْقِ علم اللهِ وقضائِهِ وقدَرِهِ فاستحقَّ الـجنةَ فضلًا منَ اللهِ وكَرَمًا لا حَقًّا جعلَهُ عملُ العبدِ

واجبًا على اللهِ تعالى ⊙ رَوَى أبو نُعيم فِى الحليةِ عن الجنيد قال مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَصِلُ بِبَذْلِ المَجْهُودِ فَمُتَعَنٍّ وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَصِلُ بِغَيْرِ بَذْلِ المَجْهُودِ فَمُتَمَنٍّ اهـ وهو يَرُدُّ ما يَدَّعيه قومٌ من ملاحدةِ المتصوفةِ مِنْ سقوطِ الأعمالِ بالمعرفةِ وأنَّ مَنْ حصَّلَ درجةَ اليقينِ سقطتْ عنه التكاليفُ فلم يَعُدْ فرضًا عليه أن يُصَلِّيَ أو يصُومَ أو يُزَكِّيَ أو يَحُجَّ وربما احتجَّ بعضُ هؤلاءِ بقولِ اللهِ تعالى ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ واحتجاجُهُ بهذهِ الآيةِ تحريفٌ للقرءَانِ وحملٌ للآيةِ على غير مَحْمَلِهَا وإنما المعنَى واعبُدْ ربَّكَ إلى أن يأتيَك الموتُ كما قال شيخُ المُفَسِّرين محمد بن جرير الطَّبَرِيُّ اليقينُ الموتُ واستدَلَّ بحديثِ أَمَّا عثمانُ أيِ ابنُ مَظْعُونٍ فقد جاءَهُ اليقينُ وإِنِّى لأرجو له الخيرَ واللهِ ما أدرِى وأنا رسولُ اللهِ ما يُفعلُ بِهِ اهـ بلْ هذا التفسيرُ موضعُ اتفاقٍ بين المفسّرينَ من أيامِ الصحابةِ عليهم الرِّضوانُ وفائدةُ ذِكْرِ اليقينِ أنه لو قال واعْبُدْ ربَّك مطلقًا ثم عَبَدَهُ مرةً واحدةً كَانَ مُطيعًا فقالَ ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ أىْ داوِمْ على العبادةِ واسْتَمِرَّ على ذلك مدةَ حياتِكَ إلى الموتِ فهو كما قال العبدُ الصالِحُ ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ فلم تَسْقُطِ العباداتُ عن نَبِيِّ اللهِ تعالى فكيفَ يدَّعِى مغرورٌ سُقُوطَها عنه ⊙ رَوَى أبو القاسم القشيرىُّ فِى رسالتِهِ عن أبِى علىِّ الرُّوذبَارِىِّ أنه سُئِلَ عمَّن يسمعُ المَلاهِىَ ويقولُ هِىَ لِى حلالٌ لأنِّى وصلتُ إلى درجةٍ لا تُؤَثِّرُ فِىَّ اختلافُ الأحوالِ فقال نَعَمْ قد وَصَلَ ولكنْ إلى سَقَر اهـ ورَوَى المَالينِىُّ عن سهلِ بنِ عبد الله التُسْتَرِىِّ اطلبُوا من السِرِّ النية بالإخلاصِ ومِنَ العَلَانِيَةِ الفعلَ بالاقتداءِ وغيرُ ذلك مغاليطُ اهـ وفِى حليةِ الأولياء بالسندِ أنَّ رجلًا قال أهلُ المعرفةِ باللهِ يَصِلُونَ إلى تَرْكِ الحركاتِ مِن باب البرِّ والتَّقَرُّبِ إلى اللهِ فقال الجُنَيْدُ إنَّ هذا قَوْلُ

قومٍ تَكلَّموا بإسقاطِ الأعمالِ وهذه عندِى عظيمةٌ والَّذِى يَسْرِقُ ويَزْنِى أحسنُ حالًا مِنَ الَّذِى يقولُ هذا وإنَّ العارفينَ باللهِ أخذُوا الأعمال عنِ اللهِ وإليه رجعُوا فيها ولو بَقِيْتُ ألفَ عامٍ لَمْ أنقُصْ مِنْ أعمالِ البِرِّ ذَرَّةً إلَّا أنْ يُحَالَ بِى دونَها وإنَّه لَأَوْكَدُ فِى معرفتِى وأقوَى فِى حَالِى اهـ فالأمرُ على ما أرشدَ إليه السيدُ أحمدُ الرفاعيُّ رضِىَ اللهُ عنهُ فِى كتابِ الحِكَمِ له فإنه قال إذا رأيتَ الرجلَ يطيرُ فِى الهواء فلا تعتبِرْهُ حَتَّى تَزِنَ أقوالَهُ وأفعالَهُ بميزانِ الشرعِ إياكَ والإنكارَ على الطائفةِ فِى كلِّ قولٍ وفعلٍ سَلِّمْ لَهُمْ أحوالَهُمْ إلا إذا رَدَّها الشَّرْعُ فَكُنْ مَعَهُ اهـ

والله أعلمُ ⊙

(الحديثُ الثالثُ والعشرونَ)

(عَنْ أبِى مالكٍ الحارثِ بن عاصمٍ الأشعريِّ رَضِىَ اللهُ عنهُ) ماتَ سنةَ ثلاثٍ وعشرين بالطاعونِ فِى خلافة سيدنا عمر **(قالَ قالَ رسولُ الله ﷺ الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ)** الطُّهورُ مصدرٌ أيِ الطهارةُ عنِ الحدث الأكبر والأصغر وعنِ النجاسة فِى البدنِ والملبوسِ والمكانِ شطرُ الإيمانِ كما يدُلُّ على ذلك حديثُ ابن ماجهْ وابنِ حبّان إسباغُ الوضوءِ شطرُ الإيمان اهـ وروايةُ الترمذيِّ الوضوءُ شطرُ الإيمانِ اهـ قيلَ فِى معناه أقوالٌ أقربُها أنَّ المرادَ بالإيمان الصلاةُ كما فِى قوله تعالى فِى سورة البقرة ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ وصحةُ الصلاةِ بأركانِهَا وشرائطِهَا فصار الشرطُ كالبعضِ منها والطهارةُ أظهرُ شرائطِ الصلاةِ فإنها لا تُقبلُ إلا بطُهُورٍ فصار الطُّهورُ شطرَ الإيمانِ بهذا الاعتبار والشطرُ يُطْلَقُ على الجُزْءِ لغةً كما فِى حديثِ الإسراءِ فَوَضَعَ شَطْرَهَا أيْ بعضَها وهو المرادُ من حديثِ الترمذِيِّ وأحمدَ مرفوعًا

بلفظِ الطُّهور نصفُ الإيمانِ اهـ فإنَّ كلَّ شَيْءٍ كان تحته نوعانِ فأحدُهُما نصفٌ له وسواءٌ كان عددُ النوعَيْنِ على السَّواءِ أم أحدُهُمَا أَزْيَدَ مِنَ الآخر وعلى هذا المعنَى قيل لا أَدْرِى نصفُ العلمِ ويدلُّ عليه حديثُ قَسَمْتُ الصلاةَ بينِى وبين عبدِى نصفينِ اهـ وفَسَّرَها بالفاتحةِ والمرادُ أنها مقسومةٌ للعبادةِ والمسئلةِ وليسَ المرادُ قسمةَ كلماتِها على السَّواء واستشهدوا على هذا بقولِ العربِ نصفُ السنةِ سَفَرٌ ونصفُها حَضَرٌ وليس هو على تساوِى الزَّمانَيْنِ فيهما كما هو ظاهرٌ لكن على انقسامِ الزمانَيْن هنا وإن تفاوتَتْ مُدَّتاهُمَا اهـ ومِنْ هذا المعنَى حديثُ ابنِ ماجَهْ المرفوعُ فِى الفرائضِ أنها نِصْفُ العلم اهـ فإنَّ أحكامَ المكلفين نوعانِ نوعٌ يتعلقُ بالحياةِ ونوعٌ يتعلقُ بما بعدَ المَوْتِ وهذا هو الفرائضُ ويَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ خصالُ الإيمانِ مِنَ الأعمال والأقوال كلها تُطَهِّرُ القلبَ وتُزَكِّيهِ وأمَّا الطهارةُ بالماء فَهِىَ تختصُّ بتطهيرِ الجسدِ وتنظيفِهِ فصارتْ خصالُ الإيمانِ قسمينِ أحدُهُما يُطَهِّرُ الظاهرَ والآخر يُطَهِّرُ الباطنَ فهما نصفانِ بهذا الاعتبارِ واللهُ أعلمُ بمرادِ رسولِهِ ﷺ بذلكَ كُلِّهِ ولكنَّ المقطوعَ به أنه أراد بقوله ﷺ هذا تعظيمَ شأنِ الطهارةِ ⊙

(والحمدُ للهِ) أىْ ثوابُ التَّلَفُّظِ بها مع استحضارِ معناها **(تملأُ الميزانَ)** أىْ كِفَّةَ الحسناتِ وذلك أنَّ حَمْدَهُ سبحانه على نِعَمِهِ يتضمنُ الاعترافَ والاعتقادَ بوحدانيةِ ذاتِهِ وعظمةِ صفاتِهِ الذاتيَّةِ والفعليَّةِ فيوجبُ ذلك عَظَمَةً تملأُ الميزانَ ⊙

وفِى الحديث إثباتُ الميزانِ وهو ذُو كِفَّتين وعمودٍ كما هو مذهبُ أهلِ السنةِ وهو ميزانٌ واحدٌ والجمعُ فِى قوله تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ للتعظيم **(وسبحانَ الله والحمدُ للهِ تملآنِ أو تملأُ ما بين السَّمٰواتِ والأرضِ)** قال الشيخُ أىْ لو قُدِّرَ ثوابُهما جسمًا لَمَلَأَ اهـ

قال وسببُهُ ما اشتملتا عليه مِنَ التَّنْزِيهِ والتفويضِ إلى الله تعالى اهـ وقال غيرُهُ التسبيحُ تنزيهٌ وهو مدارُ الصفاتِ السلبيةِ والحمدُ يُومِئُ إلى إثباتِ صفاتِ المَعَانِى ولِهَذا يَملآن اهـ ثم الظاهرُ أنهما يَملآن باجتماعِهِما ⊙

(**والصلاةُ نورٌ**) والأقربُ فِى معناه أنه يكونُ لصاحبِها المحافظِ عليها نورٌ يومَ القيامة كما هو ظاهرُ حديثِ كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يومَ القيامةِ اهـ

(**والصَّدَقَةُ**) أيِ الزكاةُ كما فِى روايةِ ابنِ حبانَ (**بُرهانٌ**) أىْ على صحةِ إيمانِ مُؤَدِّيها إذ لولا إيمانُهُ لَمَا بذلَ عاجِلًا حاضرًا لغائبٍ موعودٍ والبذلُ لأجلِ المحبوبِ علامةٌ على صِدْقِ المَحَبَّةِ ⊙

(**والصَّبرُ**) بأنواعِه (**ضِياءٌ**) أىْ نورٌ قوىٌّ تنكشفُ به ظلُماتُ الكُرباتِ ويُضِىءُ لصاحبه ليستمرَّ على طريق النجاة وهو كما تقدَّمَ حبسُ النَّفسِ وحملُها على لذيذٍ تفارِقُهُ أو مكروهٍ تتحمَّلُهُ فمنْهُ صَبْرٌ على الطاعة ومنه صَبْرٌ عَنِ المعصية ومنه صَبْرٌ على النائباتِ والمَكَارِهِ وهذه أنواعُ الصبرِ الواجبِ وقد تقدَّمَ بيانُها ⊙ ولا يُنافيه إظهارُ الشكوَى مع البلاءِ لعذرٍ كطَلَبِ الرحمةِ مِنَ اللهِ أو غيرِ ذلك فقد قال اللهُ تعالى فِى سورةِ ص فِى حقِّ أيوبَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ وقال فِى سورةِ الأنبياءِ إخبارًا عنه أنه قال ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ ⊙

(**والقُرْءَانُ حُجَّةٌ لَكَ**) إنْ عمِلتَ بمقتضاه (**أو عَلَيْكَ**) إنْ خالفتَهُ ⊙

(**كلُّ النَّاسِ يَغْدُو**) هذه جملةٌ مستأنفة كأَنَّهُ قيل قد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِن الغَيِّ هنالك فما حالُ الناسِ بعدَ ذلك فقال كلُّ الناسِ يَغْدُو إلخ أىْ كلُّ إنسانٍ يصبحُ سَاعِيًا فِى تحصيلِ أغراضِهِ ونَيْلِ مقاصدِهِ (**فَبَائِعٌ نَفْسَهُ**

فمُعْتِقُها أو مُوبِقُها) أىْ فقسمٌ مِنَ الناس يَشْتَرِى نفسه أىْ يَسْعَى فِى فَكَاكِ رَقَبَتِهِ مِنْ أَسْرِ الهَوَى وحبائلِ الشيطانِ باتِّبَاعِ الشرعِ فَيُعتقُها مِنَ العذابِ وقسمٌ منَ الناس يَبِيعُ نفسَهُ للشيطانِ والأهواءِ والعصيانِ فيهلكُهَا فِى ظلماتِ الرَّدَى ونارِ العذابِ ⊙ قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ وروَى البخارىُّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ يا بَنِى عبدِ مَنافٍ اشْتَرُوا أنفسَكُمْ مِنَ اللهِ يا بَنِى عبدِ المُطَّلِبِ اشْتَرُوا أنفسَكُمْ منَ اللهِ لا أُغْنِى عنكم مِنَ اللهِ شيئًا يا عَمَّةَ رسولِ اللهِ يا فاطمةُ بنتَ محمدٍ اشْتَرِيَا أنفسَكُما مِنَ اللهِ لا أملكُ لكما مِنَ اللهِ شيئًا اهـ وقدِ اشترَى جماعةٌ منَ السَّلَفِ أنفسَهُمْ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ بأموالِهِم فمنهم مَنْ تصدَّقَ بمالِهِ ومنهم مَنْ تصدَّقَ بوزنِهِ فضةً ثلاثَ مراتٍ أو أربعًا ومنهم مَنْ كان يجتهدُ فِى الأعمالِ الصالحةِ ويقولُ إنما أنا أسيرٌ أسعَى فِى فَكَاكِ رَقَبَتِى ومنهم مَنْ كان يُسَبِّحُ كلَّ يومٍ اثنَىْ عَشَرَ ألفَ تسبيحةٍ بقدرِ عددِ دراهمِ الدِّيَةِ كأنه قد قتلَ نَفْسَهُ فهو يَفْتَكُّها بِدِيَتِها وَرَوَى أبو نُعَيْمٍ عن محمدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ قال إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جعلَ الجَنَّةَ ثمنًا لأنفسكمْ فلا تبيعُوها بغيرِها اهـ

الحديثُ (**رواه مسلمٌ**) والترمذىُّ والنسائىُّ وابنُ ماجَهْ وأحمدُ ⊙

والله أعلم ⊙

(الحديثُ الرابعُ والعشرونَ)

هُوَ حديثٌ عظيمٌ شريفٌ قال الإمامُ أحمدُ ليس لأهلِ الشَّامِ حديثٌ أشرفُ مِن هذا الحديثِ اهـ وكان أَبُو إدريسَ الخَوْلانِىُّ راوِيهِ عن أَبِى ذَرٍّ إذا حَدَّثَ به جَثَا على رُكْبَتَيْهِ ورجالُ إسنادِهِ مِنَ الشَّيْخِ إلى الصَّحَابِىّ دِمَشْقِيُّونَ وأبو ذَرٍّ دَخَلَ دمشقَ أيضًا ⊙

(عن أبِى ذَرٍّ) رَضِىَ اللهُ عنهُ **(عنِ النَّبِىِّ ﷺ فيما يَرْوِى عن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أنه قال يا عِبَادِى)** خطابٌ للثقَلَينِ الإنسِ والجنِّ **(إنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِى)** قال فِى التاجِ أىْ تقدَّسْتُ عنه وتعالَيْتُ اهـ أىْ لا يليقُ بِى أُخِذَ ذلك من كونِ الحرامِ لا يليقُ بالمكلَّفِ فعلُه والاتصافُ به فعُبِّرَ عن كونِ ذلك غيرَ لائقٍ باللهِ بلفظِ التحريمِ والمعنَى أنه لا يجوزُ عَلَىَّ الاتصافُ بِالظُّلمِ ولا يَصِحُّ فِى العقلِ ذلك إذِ الظلمُ مجاوزةُ الحَدِّ الذِى حَدَّهُ صاحبُ الأمرِ والنَّهْىِ أوِ التصرفُ فِى غيرِ ملكِه وكلاهُمَا مُحَالٌ على اللهِ عزَّ وجلَّ **(وجعلتُه بينَكُم)** أىْ جعلتُ ظلمَ بعضِكُمْ بعضًا **(مُحَرَّمًا فلا تَظَالَمُوا)** بتخفيف الظاء أىْ فلا تتظالموا أىْ لا يظلمْ بعضُكم بعضًا فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ ودعوةُ المظلومِ ليس دونَها حِجابٌ والتَّقَاصُّ يومَ القيامة ليس بالدينار والدرهم ⊙ والظلمُ أنواعٌ والإعانةُ على أىِّ نوعٍ منها باليدِ أو باللسانِ كما يفعَلُ خطباءُ السُّوءِ والمدَّاحون بالباطلِ ظلمٌ أيضًا ⊙

(يا عبادِى) النداءُ لزيادةِ تشويقِهِم وللتنبيهِ على فخامةِ ما بعده وجَمَعَهُ لإفادةِ استغراقِ أفرادِهِ **(كُلُّكُمْ)** أىْ كلُّ واحدٍ منكم **(ضالٌّ)** أىْ يكونُ ضَالًّا ويُحْكَمُ له بالموتِ على الشَّقَاوةِ **(إلا مَن هَدَيْتُهُ)** أىْ شئتُ له الهدايةَ وخلقتُهَا فيه كما قال تعالى ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ﴾ **(فاسْتَهْدُونِى)** أىِ اطلُبُوا مِنِّى الهدايةَ **(أَهدِكُمْ)** أىْ أَدُلَّكُمْ على طريقِها وأُلْهِمْكُمْ سُلُوكَها وهِىَ لا تخرجُ عن خَصلةٍ واحدةٍ ليسَ غيرُ هِىَ اتّبَاعُ طريقِ سيدِ الأشباحِ والأرواحِ حبيبِ الفَتَّاحِ سيدِنا محمدٍ ﷺ وسلوكُها لا يَتَهَيَّأُ إلا بعد معرفَتِها ومعرفتُها لا تحصلُ إلا بالتعلمِ والتَّفَقُّهِ تلقِّيًا مِن أفواهِ أهلِ العلمِ الأفاضلِ قال نَبِىُّ الله عليه الصلاةُ والسلامُ مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ اهـ رواه الشيخانِ ويُفْهَمُ منه أنَّ مَنْ لم يُفَقِّهْهُ اللهُ فِى الدينِ فلمْ يُرِدْ به خيرًا

قال الفقيهُ المُقْرِئُ الصُّوفِىُّ أبو حمزة البغداديُّ مِنْ أقرانِ الجُنَيْدِ فيما رواه القشيرىُّ فِى الرسالةِ عنه مَنْ عَلِمَ طريقَ الحقِّ سَهُلَ عليه سلوكُهُ ولا دليلَ على الطريقِ إلى اللهِ تعالى إلا متابعةُ الرسولِ ﷺ فِى أحوالِهِ وأفعالِهِ وأقوالِهِ اهـ

والأمرُ بالدُّعاءِ مع تَقَدُّمِ المَشيئةِ الإلٰهِيةِ لإظهارِ الافتقارِ والاعترافِ بالعبوديةِ ⊙

(**يا عبادِى كُلُّكُمْ جائعٌ**) أىْ مِنْ شأنه ومِنْ حالِهِ أن يكون جائعًا مِنْ أَوَّلِ أمرِهِ إلى وَفَاتِهِ (**إلا مَنْ أطعَمتُهُ**) بواسطةِ الاكتساب بالصنائعِ ونحوِها وهو حالُ أغلبِ الناسِ وبِهِ تنتظمُ المعايشُ أو دونَ واسطةِ الاكتسابِ كما يحصلُ لبعضِ الخاصَّةِ (**فاسْتَطْعِمُونِى**) أىِ اطلبُوا مِنِّى الطعامَ (**أُطعِمْكُم**) بواسطةِ الاكتسابِ أو بدونِهِ ولا تُذِلُّوا أنفسَكم بالوقوفِ فِى طَلَبِهِ على أبوابِ مَنْ لا يَمْلِكُهُ على الحقيقةِ مِنَ الظَّلَمةِ والجبابرةِ أىْ أنَّ اللهَ تعالى خلَقَ الخلقَ كلَّهُمْ ذَوِى افتقارٍ إلى الطعام فكلُّ طاعمٍ جائعٌ حَتَّى يُطْعِمَهُ الله تعالى بِسَوْقِ الرِّزْقِ إليه وتصحيحِ الآلاتِ التِى هَيَّأَهَا له فلا يَظُنَّ ذو الثروةِ أنَّ الرِّزْقَ الذى فِى يدِهِ وقد رفعَهُ إلى فيه أطعمَهُ إيَّاه على الحقيقةِ أحدٌ غيرُ اللهِ ⊙

(**يا عِبادِى كُلُّكُمْ عارٍ**) أىْ مِن شأنه أن يكون عاريًا من حينِ ولادتِهِ (**إلا مَنْ كَسَوْتُهُ**) أىْ يَسَّرْتُ له أنْ يَكْتَسِىَ بما خلقتُ وأبدعتُ (**فاسْتَكْسُونِى**) أىِ اطلبوا الكِسْوةَ مِنِّى (**أَكْسُكُمْ**) بواسطةِ الاكتسابِ أو بدونِهِ ⊙

وفِى هذه الجُمَلِ الثلاثِ تَنْبِيهٌ على فقرِنا وعجزِنا عن جلبِ منافعِنا ودفعِ مضارِّنا إلا أن يعينَنَا اللهُ سبحانه وتعالى على ذلك وهو يرجعُ إلى معنَى لا حول ولا قوة إلا بالله فإذا رأَى العبدُ ءاثارَ هذه الإعانةِ

كان حَرِيًّا به شكرُ الخالقِ الوَهَّابِ وحَمْدُهُ وأن يزيدَ شكرًا وحمدًا كلما ازداد نِعَمًا ⊙

(يا عِبَادِى إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ) بضمّ التاء وهو الرواية **(بِاللَّيْلِ والنَّهَارِ)** أىْ فِى ساعاتِهما جميعًا وقدَّمَ ذِكْرَ الليل لكونِهِ وقتَ الراحةِ وفيه يَقِلُّ ملاقاةُ الإنسانِ لغيرِهِ مِنَ البَشَرِ ويبتعدُ فيه عنِ الصناعاتِ والمكاسبِ الدُّنيَوِيَّة فهو أبعدُ عن أن يكونَ وقتًا للمعصيةِ وأقربُ لتكونَ الطاعاتُ فيه سالِمَةً من الرياءِ ولكنْ شهواتُ الناسِ وغفَلاتُهُمْ تسوقُ للعصيانِ فيه أيضًا فقدَّم ذِكْرَهُ دَفْعًا للوَهَمِ وموافقةً للقرءَان فِى تقديمِهِ **(وأنا أغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا)** بالتوبة ومِنْ غيرِ التَّوْبَةِ فيما عدا الكفرَ به تعالى وإنما قال ذلك قَبْلَ أمرِهِ إيَّانا بالاستغفارِ لئلَّا يَقْنَطَ أحدٌ مِنْ رحمةِ اللهِ لِعِظَمِ ذنبٍ ارتكبَهُ **(فاستغفرونِى)** أىِ اطلبُوا مِنِّى المغفرةَ **(أغفِرْ لكم)** أى أمحُ عنكم ذنوبَكم ولو كَثُرَتْ ⊙ وفِى حديثِ الصحيحينِ والذِى نفسِى بيدِهِ لو لم تُذْنِبُوا لذهبَ اللهُ بكم ولَـجَاءَ بقومٍ يُذنِبون فيستغفرونَ اللهَ فيغفر لَهُمْ اهـ

(يا عِبَادِى إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّى) أى لن تَصِلُّوا إلى ضَرِّى **(فَتَضُرُّونِى)** جوابٌ للنَّفْيِ منصوبٌ بأنْ مُضْمَرَةٍ **(ولَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِى فتنْفَعُونِى)** لِغِنَاىَ عنكُمْ فإنْ أحسنتُمْ أحسنتُمْ لأنفسِكُمْ وإن أسأتُمْ فعليها فعليكُمْ بخلاصِها ⊙

(يا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أوَّلَكُم وَءَاخِرَكُم) أىْ كُلَّ فردٍ منكم مِمَّنْ وُجِدَ فِى الماضِى أو هو موجودٌ الآن أو سيوجَدُ فِى المُستقبَلِ **(وإنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ)** دليلٌ على أنَّ المُرادَ بالعبادِ ما يشملُ الثَّقَلَيْنِ لا الإنسَ فقط وأنه لا يشملُ الملائكةَ إذْ لم يذكَروا هنا **(كَانُوا على أَتْقَى قَلْبِ رجلٍ واحدٍ منكم)** أى على أتقَى أحوالِهِ أىْ لو كنتم جميعًا على غايةِ

التَّقْوَى (**ما زادَ**) كونُكُمْ (**ذلكَ فِى مُلْكِى**) أىْ عَظَمَتِى (**شيئًا**) ⊙

(**يا عبادِى لو أنَّ أوّلَكم وءاخِرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أفجَرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم**) أى أفجرِ فجورِ قلبِه على أفجرِ أحوالِهِ أى لَوِ اتَّفَقْتُمْ على الفُجُورِ كلُّكُمْ (**ما نَقَصَ ذلك مِنْ مُلْكِى شيئًا**) فإنَّكم وما تملكونَ والعوالِمَ كلَّها ملكٌ لِى على أىّ حالٍ كانتْ ⊙

(**يا عبادِى لو أنَّ أوّلَكم وءاخِرَكم وإنسَكم وجِنَّكم قامُوا**) كلُّهم (**فِى صَعيدٍ**) والصعيدُ وجهُ الأرضِ وظاهرُهَا والمرادُ قاموا فِى مقامٍ (**واحدٍ فسألونِى**) فِى تلك الحالِ بألسنةٍ مختلفةٍ ودواعٍ متغايرةٍ (**فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مَسْألَتَهُ**) أىْ مطلوبَهُ وحاجتَهُ (**ما نَقَصَ ذلك**) العطاءُ (**مِمَّا عِنْدِى**) أىْ مِنْ خزائنِ الرحمةِ التِى فِى أمرِى وحُكْمِى وتدبيرِى أىْ فلا يمنعنِى ذلك مِن إيجادِ ما شئتُ بعدَ ذلك على حسبِ مشيئَتِى وتقديرِى الأزليين (**إلَّا كما يَنقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدخِلَ البحرَ**) أىْ لا يَنْقُصُها شيئًا كما لا يَنْقُصُ البحرُ فِى رَأْىِ العينِ شيئًا إذا أُدْخِلَتِ الإبرةُ فيه وهو تمثيلٌ بالمحسوسِ للتقريبِ والإفهامِ ⊙ وفيه دليلٌ على استعمالِ الشارعِ للألفاظِ على خلافِ ظاهرِها فِى حقِّ الخالِقِ عزَّ وجلَّ أحيانًا عند قيامِ القرينةِ العقليةِ أو النقليةِ على عدمِ إرادتِهِ فَحَذَارِ مِنْ حَمْلِها على مُقْتَضَى النَّقْصِ وصفاتِ المُحتاجين ⊙ وفِى الحديثِ تنبيهُ الخَلْقِ على أن يُعَظِّمُوا المسئلةَ ويوسِّعُوا الطَّلَبَ وأنْ لا يقتصرَ سائلٌ ولا يختصرَ طالبٌ فإنَّ ما عند اللهِ لا ينقصُ وخزائِنَهُ لا تَنْفَدُ فلا يظنَّ ظانٌّ أنَّ ما عندَ اللهِ يَغِيضُهُ الإنفاقُ وسِرُّ ذلك أنَّ قدرتَهُ صالحةٌ للإيجادِ دائمًا والمُمْكِنَاتُ لا تَتَنَاهَى ⊙

(**يا عبادِى إنما هِىَ أعمالُكم أُحصِيها لكم**) أىْ أنَّنِى أحكمُ على حسبِ أعمالكم أُحصيها بعلمِى وأحفظُهَا عليكم وتَكْتُبُهَا ملائكتِى (**ثم**

أوَفِّيكُمْ إيّاها) أيْ أُجازيكم عليها **(فمَنْ عَمِلَ خيرًا)** أيْ ما يُثاب عليه **(فليحْمَدِ الله)** على توفيقه لطاعته بفضلِ اللهِ ورحمتِهِ كما يقول أهلُ الجنةِ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ **(ومَنْ وَجَدَ غيرَ ذلكَ)** أيْ غيرَ الخيرِ وهو الحرامُ والمكروهُ وكذا ما ضاع من وقتٍ وجهدٍ فِى المُبَاحِ **(فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ)** لغَفْلَتِهِ وتقصيرِهِ كما قال تعالى ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أيْ تفضُّلًا منه فإنه لا يجبُ عليه شَىْءٌ ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أيْ بسببِكَ وبعصيانِكَ وعلى وَفْقِ استعدادِكَ الذى علِمَه اللهُ بعلمِهِ الأزلِيّ وهو المرادُ بقولِه تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ والكلُّ أيِ النعمةُ والمصيبةُ والطاعةُ والمعصيةُ منه تعالى خَلْقًا وإِيجَادًا كما قال جَلَّ وعَزَّ ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فَمَنْ أثابه اللهُ فَبِفضلِهِ وَمَنْ عاقبَهُ فَبِعَدْلِهِ واللَّوْمُ على العَاصِى كما أخبرَ اللهُ تعالى عن إبليسَ من قولِهِ ﴿فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ ولذلك جاء فِى حديثِ الترمذيّ الصحيحِ ما قَعَدَ قومٌ مَقْعَدًا لم يذكُرُوا الله ولم يُصَلُّوا على النبيّ ﷺ إلا كان عليهم حسرةً يومَ القيامةِ اهـ وزادَ أحمدُ وإن دَخَلُوا الجنةَ للثوابِ اهـ وقال الإمامُ الأوزاعيُّ ليس ساعةٌ مِنْ ساعاتِ الدُّنيا إلا وهِىَ معروضةٌ على العبدِ يومَ القيامةِ يومًا فيومًا وساعةً فساعةً ولا تَمُرُّ بِهِ ساعةٌ لم يَذْكُرِ اللهَ تعالى فيها إلا تَقَطَّعَتْ نفسُهُ عليها حسراتٍ فكيفَ إذا مرَّتْ به ساعةٌ مع ساعةٍ ويومٌ مع يومٍ وليلةٌ مع ليلةٍ اهـ رواه أبو نُعَيْمٍ ⊙

ومِنْ هنا قال البُسْتِىُّ

زِيَادَةُ الـمَـرْءِ فِى دُنْـيَـاهُ نُـقْـصَـانُ وَرِبْحُهُ غيرَ مَحْضِ الخَيْرِ خُسْرَانُ ⊙

وفِى الحديثِ تنبيهٌ على قَدْرِ الأعمالِ وكم مِنَ النَّاسِ يَرْجُو الجنة

بلا عملِ طاعةٍ ويَلتمسُ الراحةَ فِى الآخرةِ مِن غيرِ توبةٍ منَ العظائم والعِنَبُ لا يُجْتَنَى مِنَ الشَّوْكِ وأكلُ الحنظلِ يُورِثُ المَرَارَةَ لا الحلاوةَ ومَن زرعَ المعصيةَ حصدَ الخسرانَ ومَنْ زرعَ الشرَّ حصدَ النَّدَامَةَ واتخاذُ السفينةِ مركبًا على اليابسةِ لا يُوصِلُ إلى المقصودِ

مَا بَالُ دِينِكَ تَرْضَى أنْ تُدَنِّسَهُ   وثوبُ دُنياك مغسولٌ مِنَ الدَّنَسِ
تَرْجُو النجاةَ ولم تَسلكْ مَسَالِكَها   إنَّ السفينةَ لا تَجْرِى على اليَبَسِ

وأمَّا مَنِ استقامَ على الطاعةِ فلا يُخَيِّبُهُ اللهُ عزَّ وجلَّ كما قالَ سبحانَهُ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ ومَنْ لَزِمَ البابَ أوشكَ أنْ يُفْتَحَ له ومَنِ انْصَرَفَ عنه لم يَكُنْ حاضرًا عندَ فَتْحِهِ ⊙

والحديثُ **(رواه مسلمٌ)** والترمذىُّ وابنُ ماجَهْ وغيرُهُمْ ⊙

والله تعالى أعلمُ ⊙

(الحديثُ الخامسُ والعشرونَ)

(عن أبِى ذَرٍّ أيضًا) أىْ رُجوعًا بالحديث إليه من قولِهِمْ ءَاضَ إذا رَجَعَ **(رَضِىَ اللهُ عنهُ أنَّ ناسًا مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ)** وهُمْ جَمْعٌ مِنْ فقراءِ المهاجرينَ **(قَالُوا للنبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسولَ اللهِ ذَهَبَ أهلُ الدُّثورِ)** مُفْرَدُها دَثْرٌ كفَلْسٍ وفُلُوس أىْ أهلُ الأموالِ الكثيرةِ **(بالأُجورِ)** أىْ حَصَّلَ أهلُ الغِنَى الدرجاتِ العاليةَ واستصحبُوها معهم فِى الدُّنيا والعُقْبَى ثم بيَّنوا السببَ فقالوا **(يُصَلُّونَ كما نُصَلِّى ويصومونَ كما نَصُومُ ويَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أموالِهِمْ)** فَيَفْضُلُونَنا بهذا الأمرِ الذِى لا نقدِرُ عليه وكان هذا منهم غِبْطَةً لهُم فِى حُسْنِ أحوالِهِمْ وليس حسَدًا فِى أموالِهِمْ ويدُلُّ على أنَّهم لِشِدَّةِ

حِرْصِهِمْ رَضِىَ اللهُ عنهُم على الأعمالِ الصالحةِ وقوةِ رغبتِهِمْ فِى الخَيْرِ كانوا يحزنون على ما يتعذَّرُ عليهم فِعْلُهُ مِنَ الخيرِ مِمَّا يَقْدِرُ عليه غيرُهُمْ كما أخبرَ اللهُ تعالى فِى كتابِهِ عن أقرانِهِمْ بقولِهِ ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ **(قال أوَلَيْسَ)** أىْ هل يكون كذلك و**(قد جعلَ اللهُ لكم ما تَصَّدَّقون)** بتشديدِ الصَّادِ وتشديدِ الدَّالِ **(إنَّ كلَّ تسبيحةٍ صدقةٌ)** وفِى بعضِ النُّسخِ إنَّ بكلِّ تسبيحةٍ صدقةً أىْ لكم حسنةٌ بسببِ قَوْلِ سبحان اللهِ ونحوِهِ مِنْ سُبُّوحٍ وقُدُّوسٍ فِى كلِّ مَرَّةٍ تقولون ذلك وسَمَّاها صدقةً تشبيهًا لَهَا بالمال المُخْرَجِ للهِ تعالى فِى إثبات الأجرِ على سبيلِ المُشَاكَلَةِ **(وكلَّ تكبيرةٍ صدقةٌ وكلَّ تحميدةٍ صدقةٌ وكلَّ تهليلةٍ صَدَقَةٌ وأمرٌ بالمعروفِ)** وهو ما عُرِفَ مِنَ الشرعِ ولو على خلافِ ما مَالَ إليه الطبعُ **(صدقةٌ)** خبرُ أمرٍ **(ونَهْىٌ عَنْ منكرٍ)** وفِى نسخةٍ عَنِ المُنْكَرِ وهو ما يُنكره الشرعُ **(صدقةٌ)** والتنوينُ فِى الأمر بالمعروفِ والنَّهْىِ عَنِ المُنْكَرِ للتقليلِ أىْ للإشعارِ بأنَّ قليلاً مِن هذا النوع يقومُ مقامَ كثيرٍ مِنَ الأمورِ السابقةِ وأنَّ ثبوتَ حُكْمِ الصدقةِ فِى كلِّ فردٍ مِن أفرادِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهْىِ عنِ المُنكرِ ءَاكَدُ منه فِى التسبيح وما ذُكِرَ بعدَهُ لأنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهْىَ عن المنكر فرضُ كفايةٍ وقد يَتَعَيَّنُ بخلافِ الأذكارِ النوافلِ وأَجْرُ الفرائضِ أكثرُ مِنْ أَجْرِ النوافلِ كما دَلَّ عليه قولُهُ تعالى فِى الحَديثِ القدسِيّ الذى رواه البخارىُّ وما تقرَّبَ إلَىَّ عبدِى بِشَىْءٍ أحبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عليه اهـ **(وفِى بُضْعِ)** بضمِّ الباء وإسكانِ الضاد المعجمة **(أحدِكُمْ صدقةٌ)** أىْ ولأجلِ جماعِ الواحدِ منكم زَوْجَهُ أو أمتَهُ ينالُهُ الثوابُ أىْ إذا صاحَبَتْهُ نيةٌ صالِحَةٌ كقضاءِ حَقِّ الزوجةِ وقَصْدِ معاشَرَتِهَا بالمعروفِ الذى أمرَ بِهِ اللهُ تعالى

وطَلَبِ ولدٍ صالحٍ وإعفافِ النفسِ وكَفِّهَا عَنِ المَحَارِمِ مِن زِنًى أو مقدماتِهِ **(قَالُوا يا رسولَ اللهِ أَيَأْتِى أحدُنَا شَهْوَتَهُ ويكونَ لَهُ فِيهَا أجرٌ)** أىْ مَثُوبةٌ وإنما تَعَجَّبُوا لأنَّ الجماعَ مِنَ الأمورِ المُباحة التِى كان يُستبعد فِى أذهانهم أنْ يكونَ فيها أجْرٌ **(قال أرأيتُمْ)** أىْ أَخْبِرُونِى **(لو وَضَعَها فِى حَرَامٍ أكانَ عليهِ وِزْرٌ)** ويَترتبُ عليه عقوبةٌ والاستفهامُ للتقريرِ أىْ أليسَ الأمرُ كما أقول **(فَكَذَلِكَ إذا وَضَعَها فِى الحَلَالِ كانَ لَهُ أَجْرٌ)** وفِى الحديثِ دليلٌ على جوازِ القياسِ والمذكورُ هنا هو قياسُ العَكْسِ فأثبتَ للفرعِ أجرًا لأنه وَطْءٌ حلالٌ كما أنَّ فِى الأصلِ وِزْرًا لأنَّهُ وَطْءٌ حرامٌ ⊙

وفيه دليلٌ على أنَّ المباحاتِ تصيرُ بالنيَّاتِ الحسنةِ طاعاتٍ وربما نال بالنيةِ ثوابًا كثوابِ العملِ مثالُهُ ما روَى النَّسَائِيُّ مَن نام عن وِرْدِهِ كتبَ الله له أجرَ صلاتِهِ وكان نومُهُ صدقةً مِنَ اللهِ تَصَدَّقَ بِهِ عليه اهـ

وقد ذُكِرَ فِى الأحاديثِ المرفوعةِ والموقوفةِ أنواعٌ أُخْرَى مِنَ الصَّدَقَةِ بغيرِ المَالِ نُصَّ عليها منها ما يأتِى ذِكْرُهُ فِى الحديثِ الذِى يَلِى هذا إنْ شاءَ اللهُ ومنها تعليمُ العلم النافعِ وإقراءُ القُرْءَانِ وإزالةُ الأذَى مِنَ الطريقِ والسَّعْىُ فِى جلبِ النَّفْعِ للناسِ ودفعِ الأَذَى عنهم وإعانةُ الصَّانِعِ والصِّنَاعَةُ لأخرقَ وإرشادُ الضَّالِّ إلى الطريق وإفراغُ الرجلِ مِنْ دَلْوِهِ فِى دَلْوِ أخيهِ وإسماعُ الأصمّ وهدايةُ الأعمَى وإسماعُ الأبْكَمِ أىِ العَيِيّ الضعيفِ العقلِ أىْ إفهامُهُ حتى يَفْقَهَ والسعايةُ بِشِدَّةِ السَّاقَيْنِ مَعَ اللَّهْفَانِ المُسْتَغِيثِ والحملُ بِشِدَّةِ السَّاعِدَيْنِ مع الضعيفِ ونفقةُ الرَّجُلِ على نفسِهِ وعلى أهلِهِ ونفقتُهُ على فرسِهِ فِى سبيلِ اللهِ ونفقتُهُ على أصحابه فِى سبيلِ اللهِ وغرسُ الغَرْسِ وزرعُ الزَّرْعِ فيأكلُ منه إنسانٌ أو طيرٌ أو دابةٌ وحفرُ بئرِ ماءٍ فتشربُ منه كبدٌ حَرَّى ومِنْحَةُ الدَّراهمِ أى إقراضُها ومِنحةُ ظهرِ الدابةِ وهو إعارتُها لِمَنْ يركبُها

ومثلُها ما يُشْبِهُهَا مِنَ المَركوباتِ ومِنحةُ لبنِ الشاةِ أو البقرةِ وهو أن يمنحَه بقرةً أو شاةً يبقيها عنده مدةً يشربُ لبنَهَا ثم يعيدها إليه وإعارةُ الإناءِ وإعارةُ الفَحْلِ والحملُ على الدَّابةِ فِى سبيلِ اللهِ تعالى والدعاءُ للمسلمينَ والاستغفارُ لَهُمْ والسلامُ على الناسِ مع طلاقةِ الوجهِ وكلُّ هذا شَرْطُ الثوابِ فيه إخلاصُ النيةِ لله تعالى كما يَدُلُّ عليه حديثُ أبِى داودَ وابنِ حِبَّانَ وغيرِهِما مرفوعًا إنك لَنْ تُنْفِقَ نفقةً تَبْتَغِى بها وَجْهَ اللهِ إلا أُجِرْتَ عليها حتى اللُّقْمَةَ ترفعُها إلَى فِى امرأتِكَ اهـ فهو مُقَيَّدٌ بإخلاصِ النِّيَّةِ للهِ كما يَدُلُّ عليه أيضًا قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ فجعلَ ذلكَ خيرًا ولم يُرتِّبْ عليهِ الأجرَ إلا مع إخلاصِ النِّيَّةِ ⊙

والحديثُ المشروحُ (**رواه مسلمٌ**) وأبو داودَ وابنُ ماجَهْ وفِى بعضِ طُرُقِهِ عندَ مسلم فرجع فقراءُ المهاجرين إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالوا سَمِعَ إخوانُنَا أهلُ الأموالِ بما فَعَلْنَا ففعلوا مِثْلَهُ فقال رسولُ اللهِ ﷺ ذلك فضلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ اهـ ويَظْهَرُ مِن هذا الحديث أنَّ الغَنِىَّ إذا شاركَ الفقيرَ أعمالَهُ الصالحةَ كالذِّكْرِ وزاد عليه بالصدقات ونحوِهَا من القُرُباتِ المالية أنه أفضلُ وهذا لا شكَّ فيه كما قالَ ابنُ دقيقِ العيدِ وإنما الذِى يَتَرَدَّدُ النظرُ فيه ما إذا تَسَاوَيَا فِى أداءِ الواجبِ وزادَ الفقيرُ بنوافلِ الأذكارِ والغنىُّ بنوافلِ الصدقةِ وانفردَ كلُّ واحدٍ بمصلحةِ ما هو فيه وكانتِ المصالحُ متقابلةٌ ليسَ فِى الوقتِ ما يَقتضِى رُجْحَانَ بعضِها اهـ

وفِى الحديثِ دليلٌ أيضًا على جوازِ سؤالِ المُسْتَفْتِى عن بعضِ ما يَخْفَى علمُهُ مِنَ الدَّليلِ إذا عَلِمَ من حالِ المَسؤولِ أنه لا يَكْرَهُ ذلك

ولم يَكُنْ فيه سوءُ أدبٍ وعلى ذِكْرِ العالِمِ الدليلَ على بعضِ ما يَخْفَى مِنَ المَسائلِ ولا قوة إلا باللهِ ⊙

والله تعالَى أعلمُ ⊙

(الحديثُ السادسُ والعشرونَ)

(عَنْ أبِى هريرةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال قال رسولُ اللهِ ﷺ كُلُّ سُلَامَى) بضمّ السينِ وتخفيفِ اللّامِ وجمعُهُ سُلَامَيَاتٌ بفتح الميم وهِىَ المَفاصلُ والأعضاءُ وهِىَ ثلاثُمِائةٍ وسِتُّونَ كما ثبتَ فِى صحيحِ مسلم عن رسولِ الله ﷺ خَلَقَ اللهُ ابنَ ءادمَ على ستينَ وثلاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ[(١)] فَمَنْ ذَكَرَ اللهَ وحمِدَ اللهَ وهَلَّلَ اللهَ وسبَّحَ اللهَ وعَزَلَ حَجَرًا عن طريق المسلمينَ أو عَزَلَ شوكةً أو عزلَ عظمًا أو أمرَ بمعروفٍ أو نَهَى عن منكر عددَ تلك السِّتِّينَ والثلاثِمِائَةِ السُّلَامَى أمسَى مِنْ يومِهِ وقد زحزحَ نفسَهُ عنِ النار اهـ وعند البَزَّارِ وغيرِهِ على كلِّ مِيْسَمٍ من الإنسانِ صدقةٌ اهـ والمِيْسَمُ العُضْوُ مأخوذٌ من الوسْم وهو العلامةُ إذ ما من عظمٍ ولا عرقٍ ولا عَصَبٍ إلا وعليه أثرُ صُنْعِ اللهِ عزَّ وجلَّ **(مِنَ النَّاسِ)** أىْ مِمَّا للناس **(عَلَيْهِ صَدَقَةٌ)** أىْ على كلِّ واحدٍ بعددِ كلِّ مَفْصِلٍ أو عضوٍ صدقةٌ فاللائقُ بالعبدِ أن يشكرَ اللهَ تعالى بأنْ جعلَ فِى عظامِهِ مفاصلَ يقدر بها على القَبْضِ والبَسْطِ ومَنَّ عليه بسلامَتِها وبقائِها ودَفْعِ البلاءِ عنها فهذه النِّعَمُ مِمَّا يُسْأَلُ الإنسانُ عن شُكْرِهَا يومَ القيامةِ كما قالَ تعالى ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ **(كلَّ يومٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ)** أىْ كلَّ يوم يعيشُ فيه من أيامِ الدُّنيا **(يَعْدِلُ)** فيهِ **(بين الاثنينِ)** المُتخاصِمَيْنِ أو المُتحاكِمَيْنِ أو المُتهاجِرَيْنِ بِصُلْحٍ

---

(١) قوله (مَفْصِل) هو كمَنْزِل كُلُّ مُلْتَقَى عظمين من الجسد. الفقير.

جائزٍ لا يُحِلُّ حرامًا ولا يُحَرِّمُ حلالًا (**صَدَقَةٌ**) بل هِىَ من أفضلِ الصدقاتِ لأنَّ فسادَ ذاتِ البَيْنِ هِىَ الحالقةُ التِى تَحْلِقُ الدِّينَ (**ويُعِينُ الرَّجُلَ**) أىْ رجلًا (**فِى دابَّتِهِ فَيَحْمِلُهُ عليها**) أى يُرْكِبُهُ عليها (**أو يَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**) للمُعِينِ وفيه فضلُ إعانةِ الأقاربِ والأباعدِ والأصدقاءِ وغيرِهِمْ (**والكلمةُ الطَّيِّبَةُ صدقةٌ**) كما سبقَ الكلامُ فِى ذلك (**وبكلِّ خَطْوَةٍ**) بفتح الخاء للمرة الواحدة وبضمها اسمٌ لِمَا بين القدمين ويجوز الوجهانِ (**يَمْشِيهَا**) أىْ يمشِى بها (**إلى الصلاةِ**) ونحوِها مِنْ سائر الطاعات (**صدقةٌ**) وفِى حديث مسلمٍ وغيرِهِ أنَّ بَنِى سَلِمَةَ كانوا فِى ناحيةٍ مِنَ المدينة فأرادوا أنْ ينتقلوا إلَى قُرْبِ المسجد فقال لَهُمْ رسولُ الله ﷺ ديارَكُمْ تُكتبْ ءَاثَارُكُم اهـ يَعْنِى الزَمُوا ديارَكُمْ ولا تفارقوها فتكثرَ خُطاكم فتكثرَ أجورُكُم (**ويُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**) أىْ يُزيلُ ما يُؤْذِى المَارَّةَ فيه مِنْ نَحْوِ شَوْكٍ أو نجاسةٍ أو حجارةٍ (**صَدَقَةٌ**) وأُخِّرَتْ هذه الخصلةُ لِتَأَخُّرِهَا عما قبلَهَا كما يَدُلُّ عليه حديثُ مسلمٍ وابنِ حبانَ وغيرِهِما الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ شُعبةً أعلاها شهادةُ أن لا إله إلا الله وأدناها إماطةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ اهـ وأوْلَى مِن إماطةِ هذا الأذَى إماطةُ الظالِمِ مِنْ طريقِ الحَقِّ عِنْدَ الاستطاعةِ ⊙

والحديثُ رواه (**البخارِىُّ ومسلمٌ**) ⊙ وفِى روايةٍ لِمُسْلِمٍ يُصْبِحُ على كُلِّ سُلَامَى مِن أحدِكم صدقةٌ وأمرٌ بالمعروفِ صَدَقَةٌ ونَهْىٌ عنِ المُنْكَرِ صدقةٌ ويُجْزِئُ عن ذلك ركعتان يركعهما مِنَ الضُّحَى اهـ والمَعْنَى يَكْفِى مجموعَ هذه الصدقاتِ كُلِّهَا عَنْ هذهِ الأعضاءِ جميعِها ركعتانِ فِى وقتِ الضُّحَى لأنَّها تُعْمَلُ بالأعضاءِ كاملةً فإذا صلَّى العبدُ فِى طاعةِ مولاه فقد قامَ كلُّ رُكْنٍ منه بوظيفتِهِ وأدَّى شُكْرَ نِعْمَتِهِ ⊙

وليسَ مُرَادُ الحديثِ حَصْرَ أفعالِ الصدقةِ فِى ما وردتْ به الرواياتُ

بل ما ذُكِرَ أمثلةٌ لأفعالِ العبادةِ ولنفعِ الخَلْقِ وهى تنبيهٌ بِمَا ذُكِرَ مِنَ الخيراتِ على أمثالِهَا مِنَ المَبَرَّاتِ للناس ولِغَيْرِهِمْ ⊙

وصحَّ فِى الحديث فِى كُلِّ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ اهـ وقد غُفِرَ لِبَغِيٍّ بِسُقْيَا كلبٍ ⊙

وليس المرادُ أيضًا أنه يجبُ على العبدِ شكرُ اللهِ تعالى بفعلِ هذه الصدقاتِ المتنوعةِ كلَّ يومٍ ولكنِ الشكرُ درجتانِ واجبٌ ومندوبٌ فالواجبُ هو أن يأتِيَ بالواجباتِ ويجتنبَ المحرماتِ فلا يَستعملُ نِعَمَ اللهِ فِى معصيتِهِ ويُصَرِّحُ بذلك حديثُ أبِى موسَى المُخَرَّجُ فِى الصَّحِيحينِ فإنْ لم يفعلْ فليُمْسِكْ عنِ الشَّرِّ فإنه له صدقةٌ اهـ وإنما يكونُ مجتنبًا للشرِّ إذا قامَ بالفرائضِ واجتنبَ المَحارمَ قال أبو حازمٍ الزاهدُ وأما مَنْ شَكَرَ بلسانِهِ ولم يَشْكُرْ بجميعِ أعضائه أىِ اقتصرَ على الشُّكْرِ باللِّسانِ ولم يجتنِبِ المُحَرَّماتِ فَمَثَلُهُ كمَثَلِ رجلٍ له كِساءٌ فأخذ بطرفِهِ فلم يَلْبَسْهُ فلم ينفعْهُ ذلك مِنَ البَرْدِ والحَرِّ والثلجِ والمَطَرِ اهـ رواه البيهقىُّ فِى الشُّعَبِ ⊙ والدَّرَجَةُ الثانيةُ هِىَ الشُّكرُ المندُوبُ فهو أن يعملَ العبدُ بعدَ أداءِ الفرائضِ واجتنابِ المَحَارِمِ بنوافلِ الطاعاتِ وهذه درجةُ السابقين المُقَرَّبينَ وهِىَ التِى أرشدَ إليها النَّبِىُّ ﷺ فِى هذه الأحاديثِ التِى سبقَ ذِكْرُها معَ كوْنِ بعضِ ما ذُكِرَ مِنَ الأعمالِ واجبًا على الكفايةِ كالأمرِ بالمعروفِ والنَّهْىِ عنِ المنكرِ وكذلكَ كانَ النبىُّ ﷺ يجتهدُ فِى الطاعةِ فيقومُ حتَّى تَتَفَطَّرَ قدماه فإذا قيلَ له لِمَ تفعلُ هذا وقد غفرَ اللهُ لك ما تقدَّمَ مِن ذنبِكَ وما تأَخَّرَ قال أفلا أكون عبدًا شكورًا اهـ

واللهُ تعالى أعلمُ ⊙

(الحديثُ السَّابعُ والعِشْرُونَ)

هذا الحديثُ والحديثُ المذكورُ بَعْدَهُ حديثانِ إلا أنهما تَوَارَدَا على معنًى واحدٍ فكانا كالحديثِ الواحدِ وصارَ الثَّانِى بمنزلةِ الشاهدِ للأولِ وعُدَّا كأنهما حديثٌ واحدٌ ⊙

(عنِ النَّوَّاسِ بنِ سِمْعَانَ رَضِىَ اللهُ عنهُ) كذا فِى النُّسَخِ وعلى الطريقةِ التِى جَرَى عليها الشيخُ رحمه اللهُ ينبغِى أنْ يُقال رَضِىَ اللهُ عنهما لأنَّ لأبيه أيضًا صحبةً وهو مِن أصحابِ الصُّفَّةِ سكن الشام وله سبعةَ عشرَ حديثًا **(عنِ النبيِّ ﷺ قال)** حين سُئِلَ عن البِرِّ والإثم **(البِرُّ)** وهو اسمٌ جامعٌ لأنواعِ الخيرِ وهو الَّذِى يَبَرُّ فاعلُهُ ويلتحقُ بالأبرارِ قال تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ وذكَرَ النَّبِىُّ ﷺ فِى جوابِهِ ذروةَ ما يبلغُهُ الإنسانُ من البرِ بعد أداءِ الواجباتِ واجتنابِ المحرماتِ فقالَ البِرُّ **(حُسْنُ الخُلُقِ)** وفِى حديثِ أبِى داودَ وابنِ حبانَ وغيرِهما إنَّ المُؤمِنَ لَيُدركُ بحُسْنِ خُلُقِهِ درجةَ الصائمِ القائم اهـ وحسنُ الخُلُقِ كما تقدَّمَ عبارةٌ عن تَحَمُّلِ أَذَى الغيرِ وكَفِّ الأَذَى عن الغير وبَذْلِ المعروفِ للغيرِ عَرَفَ لَكَ أو لم يعرفْ وليسَ هو عبارةً عَنْ لِيْنِ الجانبِ وتركِ المعاصِى والفواحشِ فَقَطْ قال تعالى فِى سُورةِ البقرةِ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًىۙ﴾ وقال فِى سورةِ الأنفالِ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وقال تعالى فِى سورةِ الفرقانِ

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ وقال فِى سورةِ الشُّورَى ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ فَمَنْ أَشْكَلَ عليه حالُهُ فلْيَعْرِضْ نفسَهُ على هذِهِ الآياتِ وأمثالِهَا فوجودُ جَمِيعِها علامةُ حُسْنِ الخُلُقِ وفَقْدُ جميعِها علامةُ سُوءِ الخُلُقِ ووجودُ بعضِها دونَ بعضٍ يدُلُّ على البعضِ دونَ البعضِ فَلْيَشْتَغِلْ بِحِفْظِ ما وَجَدَهُ وتحصيلِ ما فَقَدَهُ (**والإِثْمُ ما حَاكَ فِى نَفْسِكَ**) أىْ تَرَدَّدَ فيها وأَثَّرَ قَلَقًا ونُفْرَةً مِنْهُ ولم يستقرَّ عندها (**وكرِهْتَ أن يطَّلِعَ عليه الناسُ**) أىْ أشرافُهُمْ الذين يُسْتَحَى مِنْهُمْ لو صدرَ ذلك الفعْلُ منكَ عندهم ⊙ (**رواه مسلمٌ**) وأحمدُ والترمذىُّ وقال حَسَنٌ صحيحٌ ⊙

(**وعن وابِصَةَ بنِ مَعْبَدٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ**) من بَنِى أَسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ أسلمَ عامَ تسعةٍ ورجعَ إلى بلاده ثم انتقلَ إلى غيرِها حتَّى سكنَ دمشقَ وكان قارئًا كثيرَ البُكَاءِ لا يَمْلِكُ دمعتَهُ (**قالَ أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ جئتَ تسألُ عَنِ البرِّ**) أىْ والإثم (**قلتُ نعمْ**) وهذا مِن دلائلِ النُّبُوَّةِ لأنه أخبره عَمَّا فِى ضميرِهِ قبلَ أنْ يتكلمَ به وفِى روايةِ أحمدَ وغيرِهِ أنه ﷺ قال له أُخْبِرُكَ بما جئتَ تسألُ عنه أو تسألُنِى قلتُ يا رسولَ اللهِ أخبرْنِى قالَ جئتَ تسألُ عَنِ البرِّ والإثمِ فقلتُ نعم فجمعَ أصابعَهُ الثلاثَ فجعلَ ينكُتُ بها فِى صَدْرِى ويقولُ استفتِ نفسَكَ الحديثَ اهـ فيُفيدُ ذلكَ عدمَ إنكارِ ما يحصُلُ على نَسَقِ ذلك مِن مكاشَفاتٍ لبعضِ الصالحين المُلْهَمِينَ إذْ تَقَرَّرَ أنَّ ما كان معجزةً لِنبيٍّ جازَ أن يكون كرامةً لوليٍّ أىْ إلا ما كان مِنْ خصائص النُّبُوَّةِ كالقرءانِ ⊙ وصَحَّ فِى حديثِ البخارىّ وغيرِهِ قد كانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ أُناسٌ مُلْهَمُونَ فإنْ يَكُنْ فِى أُمَّتِى أحدٌ منهم فإنَّهُ عمرُ اهـ أىْ فهُوَ رأسُ أهلِ الكَشْفِ فِى هذهِ الأمةِ رَضِىَ اللهُ عنهُ (**فقالَ**) ﷺ جوابًا لسؤالِ وابصةَ (**اسْتَفْتِ قلبَك البِرُّ ما اطْمَأَنَّتْ إليه النَّفسُ**) أىْ مَالَتْ إِلَيْهِ

وسَكَنَتْ مِنِ اضطرابِهَا لَدَيْهِ والنَّفْسُ لغةً حقيقةُ الشَىْءِ واصطلاحًا مجموعُ الجسدِ والرُّوحِ وقد تُطلق على الرُّوحِ فقط والمرادُ هنا القلبُ على الاستعارةِ كما قال الطِّيبِىُّ **(واطْمَأَنَّ إليه القلبُ)** أىْ سَكَنَ إليه وإنما عطفَ اطمئنانَ القلب علَى اطمئنان النفس للتقرير والتأكيد **(والإثمُ ما حاكَ فِى النَّفْسِ وتَرَدَّدَ فِى الصّدْرِ)** أىْ فَأَوْرَثَ نُفْرَةً فِى القلبِ ولم يَنشرحْ له وَكَرِهَ صاحبُهُ أنْ يَطَّلِعَ عليه الناسُ أىْ أماثِلُهُم ووجوهُهُم لا غَوْغاؤُهُمْ **(وإنْ أفتاكَ الناسُ)** وفِى روايةٍ وإن أفتاكَ المُفْتُونَ **(وأَفْتَوْكَ)** ويدُلُّ له حديثُ الشيخينِ مرفوعًا سيكونُ فِى ءَاخِرِ أمَّتِى أُنَاسٌ يُحَدِّثونكم بما لم تَسْمَعُوا أنتم ولا ءاباؤُكُمْ فإيَّاكُمْ وإيَّاهُمْ اهـ يعنِى أنهم يأتون بما تَستنكرُهُ قلوبُ المؤمنينَ ولا تعرفُهُ لأنه شَذَّ عَمَّا استقرَّتْ معرفتُهُ عندَهُمْ مع تقادم العهدِ وتطاولِ الزمانِ لا لِمُجَرَّدِ المَيْلِ النفسانِيّ كما أتَى مشبِّهَةُ عصْرِنا مُنْكِرُو التوسُّلِ برسولِ اللهِ ﷺ ببدعَتَيِ التشبيهِ وتحريمِ التوسُّلِ المخالفَتَيْنِ لِمَا درجَ عليه المسلمونَ مِنَ العصورِ البعيدةِ وهذا أيِ الشُّذوذُ عمَّا أجمعَ عليه المسلمونَ مِنْ أعلى مراتبِ معرفةِ الإثمِ عندَ الاشتباهِ وقد قال ابنُ مسعودٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ ما رَءَاهُ المسلمون حسنًا فهو عند اللهِ حسنٌ اهـ وتقدَّمَ ذِكْرُهُ.

وحديثُ وابصةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ هذا **(حديثٌ حسنٌ رَوَيناه فِى مُسْنَدَيِ الإمامَين أحمدَ بنِ حنبلٍ والدَّارِمىّ بإسنادٍ حَسَنٍ)** وقال البُوصِيرىُّ له شاهدانِ رجالُ إسنادِهِما ثقاتٌ رواهما الإمامُ أحمدُ فِى مسنده مِنْ حديثِ ثعلبةَ ومِنْ حديثِ أَبِى أُمَامَةَ مُخْتَصَرًا ⊙

قال بعضُهُمْ والظاهرُ مِنْ سِيَاقِ الحديثين أنَّ للبِرّ علامتينِ خارجيةً وداخليةً فالخارجيةُ هِىَ حكمُ الظاهرِ الذِى يَحكم به المجتهدُ مِنَ الحِلِّ أوِ القُرْبَةِ والداخليةُ هِىَ اطمئنانُ قلبِ العاملِ الوَرِعِ إلى عدمِ وجودِ سَبَبٍ خفيٍّ يمنعُ مِنْ أَخْذِهِ بِفَتْوَى المُفْتِى وكذلكَ الإثمُ له

علامتانِ ظاهرةٌ وخَفِيَّةٌ فالظاهرةُ فَتْوَى المُفْتِى والخفيَّةُ اضطرابُ القلبِ المُنَوَّرِ ونفورُهُ مِنَ الأمرِ على الرغم مِن فَتْوَى المجتهدِ بِحِلِّهِ لسببِ كشبهةٍ فِى طعامٍ أو معاملةٍ كما قال القُشيرِىُّ سمعتُ الأستاذَ أبا عَلِىٍّ الدَّقَّاقَ رحمه الله تعالى يقول كان الحارثُ المُحَاسِبِىُّ إذا مدَّ يدَهُ إلى طعامٍ فيه شبهةٌ تحرَّكَ على إصبعِهِ عِرْقٌ فكانَ يمتنعُ مِنْهُ اهـ ورَوَى الخطيبُ فِى تاريخ بغدادَ وأبو نعيم فِى الحلية عنِ الجنيد قال كان الحارثُ أى المُحَاسِبِىُّ كثيرَ الضُرِّ أىْ كثيرَ الضّعفِ فِى بدنِهِ واجتازَ بِى يومًا وأنا جالسٌ على بابِنا فرأيتُ على وجهِهِ زيادةَ الضُّرِّ مِنَ الجوعِ فقلت له يا عمِّ لو دخلتَ إلينا نِلْتَ مِنْ شَىْءٍ عندنا قال أَوَتَفْعَلُ قلتُ نعم وتَسُرُّنِى بذلك وتَبَرُّنِى فدخلتُ بين يديه ودخل مَعِى وعمدتُ إلى بيتِ عَمِّى وكان أوسعَ مِنْ بيتِنَا لا يَخْلُو مِنْ أطعمةٍ فاخرةٍ لا يكونُ مثلُها فِى بيتنا سريعًا فجئتُ بأنواعٍ كثيرةٍ منَ الطَّعامِ فوضعتُهُ بين يديه فمدَّ يَدَهُ وأخذَ لُقْمَةً فرفعها إلى فمِهِ فرأيتُهُ يَلُوكُهَا ولا يَزْدَرِدُها فوثبَ وخرجَ وما كَلَّمَنِى فلما كانَ الغدُ لَقِيتُهُ قلتُ يا عمِّ سَرَرْتَنِى ثُمَّ نَغَّصْتَ عَلَيَّ قال يا بُنَيَّ أمَّا الفاقةُ فكانت شديدةً وقد اجْتَهَدْتُ فِى أنْ أنالَ مِنَ الطَّعَامِ الذِى قَدَّمْتَهُ لِى ولكن بَيْنِى وبينَ اللهِ علامةٌ إذا لم يَكُنِ الطعامُ مَرْضِيًّا ارتفعَ إلى أَنْفِى مِنْهُ زَفْرَةٌ فلم تَقْبَلْهُ نَفْسِى فَقَدْ رَمَيْتُ تلك اللقمة فِى دِهْلِيزِكُمْ وخرجتُ اهـ والدِّهْلِيزُ ما بين الباب والدار ⊙ والتحقيقُ كما قالَ شيخُنا العبدرىُّ أنَّ النَبِىَّ ﷺ قد خاطبَ فِى هذينِ الحديثينِ صحابِيَّيْنِ جَمَعَ كلٌّ منهما الورعَ والتَّقْوَى إلى العِلْمِ الواسعِ فقال لَهُمَا ما قال فَمَنْ كان فِى مرتبتِهِمَا رَجَعَ إلى تَرْجيحِهِ وما يَمِيلُ إليه قلبُهُ مستندًا إلى ما عندَهُ مِنْ علمٍ وورعٍ بعدَ بَذْلِ الجهدِ فِى التفكُّرِ والتَّمْحِيصِ ومثلُ هذا لا تلتبسُ عليه الأمورُ ولا يُفْتِى بالمحظورِ وليس لِمَنْ لم يبلغْ مرتبتَهُمَا أن يقيسَ

نفسَهُ بهما اهـ ولذا قال البَيْضَاوِيُّ إذا التبسَ عليكَ شَيْء ولم تَدْرِ حلالٌ هو أو حرامٌ فتأمَّلْ فيه إنْ كنتَ مِنَ المُجتهدين وانظرْ إلى ما يُوصِلُكَ إليه نَظَرُكَ ويطمئنُّ به فؤادُكَ وإلا فَاسْأَلِ المجتَهِدِينَ فإنْ وجدتَ ما سكنَ إليه القلبُ أىْ بأنْ لم تَعْلَمْ سَـبَبًا خَفِيًّا يمنعُكَ مِنَ الأخذِ بفتوَى المُجتهدِ فَخُذْ وإلا فَدَعْ اهـ وأمَّا مَا كانَ مَعَ المُفْتِى به دليلٌ شَرْعِيٌّ ولم يُوجَدْ سَـبَبٌ خَفِيٌّ يعلمُهُ المُسْتَفْتِى يمنعُهُ مِنَ الأخذِ بقولِ المُفْتِى فليس له الإعراضُ عنه والأخذُ بخلافِهِ بمحضِ الهَوَى بدعوَى أنه لَمْ ينشرحْ له صَدْرُهُ وهذا كالرُّخْصَةِ الشرعيَّةِ الثابتةِ بالشرعِ مثلِ الفطرِ فِى السَّفَرِ والمرضِ وقصرِ الصلاةِ فِى السفرِ ونحوِ ذلك مِمَّا لا ينشرحُ به صدرُ كثيرٍ مِنَ الجهلةِ لا تُرَدُّ بعدم الانشراحِ هذا ⊙ وقد كان النبىُّ ﷺ يأمرُ أصحابَهُ أحيانًـا بِمَا يَثْقُلُ عليهم فِعْلُهُ ولا تَمِيلُ إليه نفُوسُهُمْ ولا يَنشرحُ به صدرُ بعضِهِمْ فيمتنعونَ منْ فِعْلِهِ فيغضبُ مِنْ ذلك كما أَمَرَهُمْ ﷺ بِفَسْخِ الحجِّ إلى العمرةِ[١] فثَقُلَ على مَنْ ثَقُلَ عليه منهم وكما أَمَرَهُمْ بِنَحْرِ هَدْيِهِمْ والتَحَلُّلِ من عمرةِ الحُدَيْبِيَةِ فَثَقُلَ عليهم وكما ثَقُلَ على قُلُوبهم مفاوضَتُهُ لقريشٍ على أنْ يرجعَ مِنْ عامِهِ وعلى أنَّ مَنْ أتاه منهم يَرُدُّهُ إليهم ⊙ وفِى الجُملةِ فما وردَ النَّصُّ به فليس للمؤمنِ معه إلا طاعةُ اللهِ ورسولِهِ فيَنْبَغِى أنْ يَتلقَّاه بالرضا وانشراحِ الصَّدْرِ كما قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ وأمَّـا مـا ليسَ فيه نَصٌّ مِنَ اللهِ ولا رسولِهِ ولا عمَّنْ يُقتَدَى بقولِهِ مِنَ الصحابةِ وسَلَفِ الأمةِ ولم يَجِدْ مَنْ يُفْتِى فيه بالرُّخصةِ إلَّا مَنْ ليسَ متأهِّلًا ولا

(١) قوله (بفسخ الحجّ إلى العمرة) أىْ أمرَ النَّبىُّ ﷺ فِى حجتِهِ مَنْ لم يَسُقِ الهَدْىَ مِن أَصْحَابِهِ أَن يفْسخَ الحَجَّ إِلَى العُمرَة وَيُحِلَّ ثمَّ يُهِلَّ بعد ذَلِك بِالحَجِّ وكان جوازُ ذلك خاصًّا بهم فِى تلك المرةِ فقط. الفقير.

موثوقًا بعلمِهِ ودينِهِ فإنَّهُ جديرٌ بقلبِهِ أن لا يَسْكُنَ إلى الاعتمادِ على مجرَّدِ كلامِهِ ورأيِهِ مهما أفتاهُ هذا وأمثالُهُ وأفْتَوْهُ ⊙

فائدةٌ. لوِ اسْتَفْتَى العامِّيُّ مجتهدَيْنِ فاختلفا عليه ومالَ قلبُهُ إلى أحدِ القولين جازَ له أنْ يأخذَ بالقولِ الذِى لا يَميلُ إليه وإنْ كانَ أسهلَ قال ابنُ أميرِ الحاجِّ فِى التَّقْرِيرِ والتَّحْبِيرِ لأنَّ ميلَهُ وعدمَهُ سواءٌ والواجبُ تقليدُ مجتهدٍ وقد فعلَ أصابَ ذلك المجتهدُ أو أخطأ اهـ وقال أنا لا أَدْرِى ما يمنعُ الإنسانَ سَمْعًا وعَقْلًا منِ اتِّبَاعِ ما هو أخفُّ على نفسِهِ من قولِ مجتهدٍ مُسَوَّغٍ لَهُ الاجتهادُ اهـ وهو مُقَيَّدٌ كما لا يَخْفَى بعدَمِ تتبُّعِ الرُّخَصِ للوقوعِ فِى الحرامِ وبعدَمِ الوُقُوعِ فِى التلفيقِ الفاسدِ وبعدَمِ الأخذِ بالقولِ المهجورِ المُجَانِبِ للنَّصِّ الصريحِ المتَّفَقِ على الاحتجاجِ بمِثْلِهِ أو الإجماعِ المُقَرَّرِ ⊙ وفِى المسألةِ تفاصيلُ عديدةٌ استوفاها شيخُنَا عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ الهَرَرِىُّ رحمَهُ الله فِى كتابِهِ صريح البيان فليُراجَعْ ⊙

والله أعلم ⊙

(الحديثُ الثامنُ والعشرونَ)

رُوِىَ مِنْ وُجُوهٍ **(عن أبِى نَجِيحٍ العِرباضِ بنِ ساريةَ)** مِنْ أصحابِ الصُّفَّةِ وكان زاهدًا عابدًا بَكَّاءً ماتَ بالشَّام سَنَةَ خمسٍ وسبعينَ **(رَضِىَ اللهُ عنهُ قال وَعَظَنا رسولُ الله ﷺ)** بعدَ صلاةِ الصُّبْحِ كما فِى روايةٍ **(مَوْعِظَةً)** أىْ ما يُوعَظُ به منَ الكلامِ الدالِّ على التخويفِ بطريقِ النَّصِيحةِ وفِى روايةٍ موعظةً بليغةً أىْ بَلَغَتْ إلينا وبالغتْ فِى تأثيرِهَا فينا **(وجِلَتْ منها)** أىْ بسببها **(القلوبُ)** أىْ خافتْ وحذرتْ مِنَ الذُّنُوبِ فإنَّ الوَجَلَ هو الخوفُ مع الحَذَرِ **(وذرَفَتْ منها العيونُ)** أىْ

سالتْ بسببها الدموعُ مِنَ العيونِ أىْ أنَّ تلكَ الموعظةَ أخذَتْ بمجامعِهِم فِى بواطنِهِم وظواهرِهِم ⊙ وفيه استحبابُ مَوْعِظَةِ العالِمِ أصحابَهُ لِيُفَقِّهَهُمْ ويُذَكِّرَهُمْ ويُخَوِّفَهُمْ ويُشَوِّقَهُمْ ويَسُوقَهُمْ إلى ذِكْرِ العُقْبَى ومحبَّةِ المَوْلَى والإعراضِ عنِ الدُّنيا ⊙ **(فَقُلْنَا يا رسولَ اللهِ كأَنَّها مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ)** أىْ مَنْ يُوَدِّعُ أصحابَهُ وأحبابَهُ فلا يغادرُ شيئًا إلا ذكرَهُ فِى بابِهِ **(فَأَوْصِنَا)** يَعنون وصيةً جامعةً كافيةً تُرشِدُنا بها لِمَا فيه صلاحُ حالِنا وفلاحُ مَلِنَا فإنهم لَمَّا فهموا أنه مُوَدِّعٌ طلبوا الوَصِيَّةَ الكافيةَ ⊙

وفيه استحبابُ استدعاءِ الوصيةِ والوعظِ مِمَّنْ هو أهلٌ لذلك والاسترشادِ مِنَ الأكابرِ فِى الدِّينِ واغتنام فرصةِ الاستفاضةِ مِنْ أهلِ اليَقِينِ **(قالَ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)** والتَّقْوَى مِنْ جَوَامِعِ الكَلِمِ وتقدَّمَ معناها وهِىَ خيرُ الزادِ وسببُ الوصولِ إلى المَعَارِفِ الوَهْبِيَّةِ كما قالَ تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ لكنْ لَمَّا كان قد يُتَوَهَّمُ أنَّ التَّقْوَى إنما تكونُ فيما بينهم وبينَ اللهِ تعالى عَطَفَ بما بعده فقال **(والسَّمْعِ والطاعةِ)** مِنْ بابِ عطفِ الخاصِّ على العامّ أىِ اقْبَلُوا قولَ الأميرِ وطاعَتَهُ فِى مصلحةِ الأمةِ عادلًا كانَ أو جائرًا أَمَّا فِى المعصيةِ فلا طاعةَ لِمَخلوقٍ فِى معصيةِ الخالقِ ومعْ ذلكَ فلا يجوزُ محاربَتُهُ لِخَلْعِهِ إذا جارَ طالَمَا صَحَّتْ له الإمامةُ لأنَّ العاقِلَ لا يَهْدِمُ مِصْرًا لِيَبْنِىَ قَصْرًا قال عُبادةُ بنُ الصَّامِتِ بايَعَنَا أىْ رسولُ الله ﷺ على السَّمْعِ والطاعةِ فِى مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا وعُسْرِنا ويُسرِنا وأَثَرَةٍ عَلَيْنَا أىِ وعند اختصاصِ الأمراءِ أنفسَهم بحقوقِ الناسِ واسْتِئْثارِهم بها وأنْ لا نُنازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إلا أنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عندكُمْ مِنَ اللهِ فيه بُرهانٌ اهـ رواه البخاريُّ وذلك أنَّ انتظامَ مصالحِ العبادِ فِى معاشِهِم وفِى إظهارِ دِينِهِمْ وطاعةِ ربِّهِم إنما تكونُ بالسَّمْعِ والطاعةِ لولاةِ أمورِ

المُسْلِمِين ⊙ ولا حُجَّةَ للخروجِ على الإمامِ فِى ما فعله الحسينُ رَضِىَ اللهُ عنهُ بعدمِ انقيادِهِ لطاعةِ يزيدَ إذْ إنَّ يزيدَ لم تكنِ انعقدَتْ له بَيْعَةٌ صحيحةٌ ⊙ **(وإنْ تَأَمَّرَ)** أىْ صارَ أميرًا **(عَلَيْكُمْ عبدٌ)** وفِى روايةِ الترمذيِّ وأحمدَ عبدٌ حبشىٌّ مُجَدَّعٌ أىْ مقطوعُ الأذن أو الأنف أو اليد أو الشفة أو نحوِ ذلك فاسمَعُوا له وأطيعُوا ما أقامَ فيكم كتابَ اللهِ اهـ ويُؤَيِّدُهُ ما بعدَهُ فإنْ قيلَ قد تقرَّرَ أنَّ الأئمةَ مِن قُرَيشٍ وأنَّ العَبْدَ لا يصحُّ استخلافُهُ أُجِيبَ بأنَّ ذلك على وجهِ ضربِ المَثَلِ وإن كان لا يصحُّ وقوعُهُ كما فِى حديثِ البزار والبيهقىِّ وغيرِهما مَنْ بنَى لله مسجدًا ولو مَفْحَصَ قَطَاةٍ[١] ومَفْحَصُ القَطاةِ لا يكون مسجدًا ولكنَّ الأمثالَ يَأْتِى فيها مثلُ ذلك أو أنَّ ذلكَ العبدَ يكونُ أميرًا مِن جهةِ الإمامِ القُرَشِىِّ ويَشهدُ له حديثُ الحاكمِ بإسنادٍ جيدٍ عَنْ علىٍّ رَضِىَ اللهُ عنهُ مرفوعًا وموقوفًا الأئمةُ مِنْ قريشٍ أبرارُها أمراءُ أبرارِها وفُجَّارُها أمراءُ فُجَّارِها ولكلٍّ حقٌّ فآتُوا كلَّ ذِى حقٍّ حقَّهُ وإنْ أَمَّرَتْ قريشٌ فيكم عَبْدًا حبشيًّا مُجَدَّعًا فاسمعوا له وأطيعُوا اهـ قال الدارَقُطنِىُّ والمَوْقُوفُ أَشْبَهُ اهـ

(وإنَّهُ) أىِ الشأنَ وفِى أصولٍ مقروءةٍ فإنه بفاءِ السببيةِ جَعَلَتْ ما بعدَهَا سَبَبًا لِمَا قَبْلَهَا **(مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اختلافًا كثيرًا)** فِى الإمارةِ والسلطنةِ بِسَبَبِ طلبِ المالِ والجاهِ وفِى العقائدِ والأحكامِ بسببِ ظهورِ البِدَعِ وهذا إخبارٌ منه ﷺ بما وَقَعَ فِى أمتِهِ بعدَهُ مِن كثرةِ

---

(١) قوله (مَفْحِصَ قَطَاةٍ) وهو موضعها الذِى تجثم فيه وتبيضُ كأنها تفحص عنه التراب أىْ تكشفه والفحص البحث والكشف اهـ قاله ابن الأثير فى النهاية. والقطاة طائر مشهور اهـ كما فِى تاج العروس. وقال الحافظ فِى الفتح حملَ أكثرُ العلماء ذلك على المبالغة لأن المكان الذِى تفحص القطاة عنه لتضعَ فيه بيضها وترقد عليه لا يكفِى مقداره للصلاة فيه اهـ الفقير.

الاختلافِ (**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى**) السُّنَّةُ هِىَ الطريقُ المَسْلوكُ والمَعْنَى عليكُمْ بِمَا ثَبَتَ عنِّى قولًا وفعلًا وتقريرًا وصِفَةً أىْ عليكم بِطَرِيقَتِى القويمةِ التِى تَجْرِى على السَّنَنِ وهو السبيلُ الواضحُ كما نقلَها إليكم الخَلَفُ عن السَّلَفِ (**وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ**) أىِ الهَادينَ إلى طريقِ الصوابِ (**المَهْدِيِّينَ**) إليهِ لِتَأْمَنُوا بَعْدِى مِنَ الاختلافِ الكثيرِ المُسْتَمِرِّ ⊙ والخلفاءُ الراشدونَ خمسةٌ هم أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعلىٌّ والحسنُ ابنُ علىٍّ بِنَصِّ حديثِ رسول الله ﷺ الخلافةُ بعدِى ثلاثونَ سنةً ثم تكونُ مُلكًا عَضُوضًا اهـ أىْ ظالمًا رواه أبو داود وقد تَمَّتِ الثلاثون بتنازلِ الحسنِ عن الخلافة لمعاويةَ ⊙ ويُلْحَقُ بهم خلفاءُ جاءُوا بعدهم كانوا على العدلِ والاستقامةِ وإنْ لم يبلُغُوا مرتبتَهُم نحوُ عمرَ ابنِ عبدِ العزيزِ رَضِىَ اللهُ عنهُم ⊙ (**عَضُّوا عليها**) أىْ على السُّنَّة والطريقة (**بالنَّوَاجِذِ**) جمعُ ناجذةٍ وهى أربعةٌ من أواخِرِ الأضراسِ وقد لا تُوجَدُ لبعضِ الناس ويُسَمَّى أحدُها ضِرْسَ الحُلُم لأنه يَنبت بعد البلوغ وكمالِ العقل ويُسميه العامة ضِرْسَ العَقْلِ والقصدُ فِى الحديثِ المبالَغةُ فِى شدة التمسك بالسنة والجِدِّ فِى لُزُومها ⊙ وليس المرادُ بهذا الحديث وأمثالِهِ أنَّ كلَّ ما أتَى به أحدُ الخلفاءِ الأربعة مساوٍ فِى قُوَّتِهِ لِمَا أتَى به رسول الله ﷺ بل إنَّ قولَ الصحابِىِّ بمفردِهِ ليس حجةً فِى مذهبِنَا ولو كانَ أبا بكر أو عمرَ ⊙ وقد خالفَهُمَا غيرُهُما مِنَ الصحابة فِى أكثرَ مِنْ حادثةٍ بل صَرَّحَ عمر رَضِىَ اللهُ عنهُ بِخَطَئِهِ فِى بعضِ الأحوالِ كما رَوَى الزبيرُ بنُ بكارٍ وابنُ عبدِ البَرِّ عن عمر رَضِىَ اللهُ عنهُ أنه قال لا تزيدُوا فِى مهورِ النساءِ على أربعينَ أُوقِيَّةً وكانتْ قديمًا عبارة عن أربعين درهمًا فَمَنْ زادَ ألقيتُ زيادَتَهُ فِى بيتِ المالِ فقامتِ امرأةٌ من صَفِّ النِّساءِ طويلةٌ فيها فطسٌ فقالتْ ما ذاك لكَ قال ولِمَ قالتْ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا

تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ﴾ فقال عمرُ أصابتِ امرأةٌ وأخطأ رجلٌ اهـ وللحديثِ طرقٌ أيضًا عند سعيدِ بنِ منصورٍ والبيهقِيِّ وغيرِهِما ⊙ وليس مِنْ مذهبنا أعنِى أهل السنة والجماعة أنَّ الإمامَ معصومٌ مِنَ الخطإِ فِى المسائل الدينيةِ كالنبيِّ ﷺ بل هذا مذهبُ غيرِنَا وهو باطلٌ فعُرِفَ وظهَرَ أنَّ مَقْصِدَ النَّبِيِّ ﷺ بِسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ ليسَ أعيانَ ما أفتَوْا بِهِ فِى الحوادِثِ بحيثُ يكونونَ معصومينَ مِنَ الخطإِ فِى كُلِّ فردٍ منها وبحيثُ تُسَاوِى فَتْوَاهُمُ الحديثَ النَّبَوِيَّ فِى العصمةِ ووجوبِ الأخذِ بِهِ بل مَقصِدُهُ طَرِيقَتُهُمْ ومَسْلَكُهُمْ وهُما لا شكَّ مبنيَّانِ على الطريقةِ المُحمديةِ وإلَّا لم يكونوا راشِدِينَ ولا مَهْدِيِّينَ ⊙

(**وإيَّاكُمْ ومُحدَثَاتِ الأُمورِ**) أىْ باعدوا أو اتَّقُوا محدثاتِ الأمور فَبَعِّدُوا أنفسَكُمْ عنها وبَعِّدُوها عن أنفسكم فلا تَقْرَبُوها فضلاً عن أنْ تُحْدِثُوهَا (**فإنَّ كلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ**) قال النووىُّ فِى شرح مسلم المُرادُ غالبُ البدع اهـ أىْ أنَّ غالبَ المحدثاتِ ضلالاتٌ لا كلَّها أىْ أنَّ كلَّ بدعةٍ لا يُساعِدُهَا دليلُ الشرعِ فهى ضلالةٌ لأنَّ الحقَّ فِى ما جاءَ به الشرعُ فما لا يَرْجِعُ إليه بِوَجْهٍ يكون ضلالةً إذ ليسَ بعدَ الحقِّ إلا الضلالُ ⊙ قال النووىُّ فإذا عُرِفَ ما ذَكَرْتُهُ عُلِمَ أنَّ الحديثَ مِنَ العامِّ المَخصوصِ وكذا ما أشبهَهُ من الأحاديثِ الواردةِ ويُؤَيِّدُ ما قُلناه قولُ عمرَ بنِ الخطابِ رَضِىَ اللهُ عنهُ فِى التراويح نِعْمَتِ البِدْعَةُ ولا يمنعُ مِنْ كَوْنِ الحديثِ عامًّا مخصوصًا قولُهُ ﷺ كلُّ بدعةٍ مؤكَّدًا بكلّ بل يدخله التخصيصُ مع ذلك كقولِهِ تعالى ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ اهـ وقد قال تعالى فِى سورة الحديد ﴿ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةً وَرَحۡمَةً وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧﴾

اهـ فبيَّنَ ربُّنا عزَّ وجلَّ أنهمُ ابتدعُوا الرهبانيةَ ولم يذُمَّهُم على ذلك مع كونها محدَثَةً وإنما ذمَّ مَن لم يُراعِها حقَّ رعايتِها فتمسَّكَ بظاهرِ النُسْكِ والزُّهدِ معَ الكفرِ باللهِ تعالى وبعِيسَى عليه السلام ⊙

وفِى شرحِ الأربعينَ المنسوبِ لابنِ دقيقِ العِيدِ قال اعلمْ أنَّ المُحْدَثَ على قسمينِ محدثٌ ليس له أصلٌ فِى الشريعةِ فهذا باطلٌ مذمومٌ ومُحْدَثٌ بِحَمْلِ النَّظِيرِ على النَّظِيرِ فهذا ليس بمذموم لأنَّ لفظَ المُحْدَثِ والبدعةِ لا يُذَمَّانِ لِمُجَرَّدِ الاسمِ بل لِمَعْنَى المخالَفةِ للسُّنَّةِ والدَّعوةِ إلى الضلالة فقد قال تعالى أىْ فِى سورةِ الأنبياء ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ وقال عمرُ رَضِىَ اللهُ عنهُ نعمتِ البدعةُ هذه اهـ

وقال ابنُ جماعةَ المرادُ ما أُحدِثَ غيرَ راجعٍ إلى أصلٍ أو دليلٍ شرعِيٍّ إذْ سُنَّةُ الخلفاءِ مِنْ مُحْدَثَات الأمورِ وقد أُمِرْنا باتِّباعِهَا لأنها ترجعُ إلى أصلٍ شرعِيٍّ والاعتمادُ فيها على دليلٍ شرعِيٍّ ⊙ فإذا أُطلِقَتِ البدعةُ كان المرادُ منها ما يُخالفُ أحكامَ الدينِ ولا يدخلُ تحتَ أصلٍ عامٍّ من أصولِ الشريعةِ ولا يستندُ إلى دليلٍ منها وهذا هو المذمومُ وأَما إذَا استندَ المُحدَثُ إلى أصلٍ فِى الشرعِ ودخل تحت قواعدِه وأوامرِه فليس مذمومًا وهو ما يسميه العلماءُ بالسُّنَّة الحسنةِ والبدعةِ الحسنةِ فيُقيِّدونَ لفظَ البدعةِ بما يدُلُّ على مقصودهم كما فعلَ الإمامُ الشافعِىُّ رضِىَ الله عنه حيثُ قال البدعةُ بدعتانِ بدعةٌ محمودةٌ وبدعةٌ مذمومةٌ فما وافقَ السُّنَّةَ فهو محمودٌ وما خالفَ السُّنَّةَ فهو مذمومٌ واحتجَّ بقولِ عمرَ بنِ الخطابِ فِى قيام رمضانَ نعمتِ البدعةُ هِىَ اهـ رواه أبو نعيم فِى الحِلية وغيرُه ⊙

ومِنَ البِدَعِ الحسنةِ المتعلقةِ بالدِّينِ والراجعةِ إلى أصلٍ شرعِيٍّ جَمْعُ

المصلينَ على إمامٍ واحدٍ لصلاةِ التراويحِ أيامَ عمرَ رَضِىَ اللهُ عنهُ وزيادةُ الأذانِ الثانِى لصلاةِ الجمعةِ أيامَ عثمانَ رَضِىَ اللهُ عنهُ ⊙

ومنها القَصَصُ فِى المَسَاجِدِ فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يكنْ له وقتٌ معيَّنٌ يَقُصُّ فيه على أصحابِهِ غيرَ خُطبتِهِ الراتبةِ فِى الجُمَعِ والأعيادِ وإنما كان يُذَكِّرُهُمْ أحيانًا وعند حدوثِ أمرٍ يحتاجُ إلى التذكيرِ عنده ثم عيَّنَ الصحابةُ للقَصَصِ وقتًا فكان ابنُ مسعودٍ مثلًا يُذَكِّرُ أصحابَهُ كلَّ يومِ خميسٍ كما رواه الطبرانِىُّ فِى الكبير والبيهقِىُّ فِى المدخل وغيرهما وحَكَى الجنيدُ عن الخَوَّاص أنه قال سمعتُ بضعةَ عشرَ من مشايخِ الصَّنْعَةِ أهلِ الورعِ والدينِ والتمييزِ وتركِ الطمَعِ كلهم مجمعون على أنَّ القَصَصَ فِى الأصلِ بدعةٌ ونِعْمَتِ البِدْعَةُ هِىَ الرحمةُ تنزلُ فِى مجالسِهِم والدموعُ تُذْرَفُ مِن بركةِ ألفاظِهِم وتَنْفِرُ القلوبُ عنِ المَعَاصِى بتخويفِهِمْ اهـ رواه الخطيبُ فِى التاريخ ⊙

ومنها نَقْطُ المصحفِ فَعَلَهُ التابعىُّ يحيى بنُ يَعْمَر(١) كما فِى المَصاحفِ لابنِ أبِى داود وغيرِهِ ⊙

ومنها المَحَاريبُ المُجَوَّفةُ فِى المساجدِ فَعَلَهَا عمرُ بن عبدِ العزيزِ رَضِىَ اللهُ عنهُ فِى أثناءِ إمارتِهِ على المدينةِ قبل تَوَلِّيهِ الخِلافةَ فلم يعترِضْ عليه أحدٌ منَ الصحابةِ فِى ذلك وفعلَه بمحضَرٍ من أئمةِ التابعينَ وإقرارٍ منهم ⊙

---

(١) قوله (يحيى بن يَعْمَر) بفتح الياء المثناة من تحتها والميم وبينهما عينٌ مهملة وفِى الأخير راءٌ وقيل بضمّ الميم والأولُ أصحُّ وأشهرُ. ويعمر بفتح الميم مضارع قولهم عَمِرَ الرجل بفَتح العَين وكسر الميم إذا عاش زمنًا طويلًا وإنما سُمِّىَ بذلك تفاؤلًا بطول العمر كما سمِىَ يحيَى بذلك أيضًا اهـ قاله ابن خلكان فِى وفيات الأعيان. الفقير.

وما زالَ الأئمةُ بعد ذلك يستحدثونَ أمورًا دِينيةً لم يَنُصَّ عليها رسولُ اللهِ ﷺ ولا فَعَلَها ولا كانتْ فِى زمانِهِ فأقرَّها ويَستحبونَها لكَوْنِها توافقُ شرعَهُ وترجعُ إلى أصلٍ مأمورٍ به فيه وسيأتِى زيادةُ بيانٍ لِهَذَا الأمرِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى ⊙

وفِى الحديثِ حَثٌّ على تَجَنُّبِ القواعدِ المُسْتَحْدَثَةِ المُزَاحِمَةِ للسُّنَّةِ فِى العِباداتِ والعاداتِ وقوانينِ الحُكْمِ فَيَشْمَلُ ذلكَ المَأْكَلَ والمَلْبَسَ والمَشْرَبَ والأثاثَ والتعامُلَ بين الوالدِ وأولادِهِ وبينَ الزَّوْجِ وامرأتِهِ وبينَ الرجلِ والنَّاسِ وبين المَرْأَةِ والناسِ وبينَ الحاكِمِ والمَحْكُومِ والأجيرِ والمُسْتَأْجِرِ والبائِعِ والمُشْتَرِى وكيْفِيَّةَ طَلَبِ العِلْمِ وتبليغِهِ وكيفيةَ التَّزاوُرِ وكيفيَّةَ اللَّهْوَ وغيرَ ذلك ⊙ روَى الدارِمىُّ فِى سُنَنِهِ أَنَّ ابنَ مسعودٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ كان يُوصِى الرجالَ والنساءَ ويقولُ مَنْ أدركَ منكنَّ مِنِ امرأةٍ أو رجلٍ فالسَّمْتَ الأولَ السَّمْتَ الأولَ فإنَّا على الفِطْرَةِ اهـ قال الدارمىُّ السَّمْتُ الطريقُ اهـ ورحم اللهُ شَيخَنا الهَرَرِىَّ فطالَمَا قَالَ عاداتُ السَّاداتِ سَاداتُ العاداتِ اهـ وقد حَاكَى اليومَ أىْ تشَبَّهَ أكثرُ المسلمينَ أهلَ الفِسْقِ بل أهلَ الكفرِ فِى المأكَلِ والمَشرَبِ والملبسِ والنَّومِ والاستيقاظِ وطريقةِ الكلامِ والكتابةِ واللَّهْوِ والمَسكَنِ والأثاثِ والخِطبةِ والزواجِ والعُرْسِ وتربيةِ الأولادِ ومعاملةِ الوالِدَين والأكبرِ سنًّا ونظامِ المدرسةِ دنيويةً كانتْ أو دِينيةً وأوقاتِ العملِ والعُطَلِ والأعيادِ وحفظِ المالِ والعملِ فيهِ والتخاصُمِ والتحاكُمِ وطريقةِ الجلوسِ فِى الاجتماعاتِ وإدارتِها وترتيبِها وفِى التشاورِ وغيرِ ذلك فضلًا عن نظامِ الدولةِ وقوانينِها فلا عجبَ بعدَ ذلكَ أن يكونوا ضائِعِينَ تائِهِينَ ليسُوا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء غارقينَ فِى الوَهَنِ أَذِلَّةً مقهورينَ تتقاذفهمُ الفتنُ وتتلاعبُ بهم الأُمَمُ ويَتَسَلَّطُ عليهم الظلمةُ ويُفْسِدُونَ من حيثُ يَظُنُّونَ أنهم

يُحْسِنُونَ ويَهْدِمُونَ من حيثُ يَخالُونَ أنهم يَبنُونَ وكلَّ بضعِ سنينَ يَتَقَهْقَرُونَ[1] ولا يَخْلُفُ منهم خَلْفٌ إلَّا وهم أَسْوَأُ مِنْ سَلَفِهِمْ إلَّا قِلَّةً قليلةً مِنَ الغُرباءِ يُؤذيهِمُ الأخُ والعَدُوُّ يَتَجَرَّعُونَ مثلَ الصَّبِرِ[2] ويقبضُونَ على الجمرِ ويجتهدونَ فِى إصلاحِ ما أفسَدَ الناسُ وليسَ يَصْلُحُ ءَاخِرُ هذا الأمرِ إلَّا بما صَلَحَ بِهِ أوَّلُهُ ⊙

والحديثُ **(رواه أبو داود)** سليمانُ بن الأشعث السِّجِسْتَانىُّ المتوفَّى بالبصرة سنة خمس وسبعين ومِائَتَيْنِ **(والترمذىُّ وقال حديثٌ حسنٌ صحيحٌ)** وابنُ ماجَهْ وأحمدُ وغيرُهُمْ وقالَ أبو نُعيم حديثٌ جَيِّدٌ من طريقِ الشَّامِيِّينَ اهـ

تنبيهٌ. حَصَلَ فِى المَاضِى ما أخبرَ به رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ تَوَلِّى العبيدِ السلطنةَ مِن غيرِ أنْ يَكونوا قد عَتَقُوا قبلَ ذلك وقصةُ عِزِّ الدِّينِ ابنِ عبدِ السَّلامِ مع نائبِ السلطانِ وأمراءٍ دُونَهُ أيامَ حُكْمِ المَماليكِ مشهورةٌ وأما فِى أيامِنا فقدْ ضاعتْ أكثرُ الأنسابِ واختلَطَ الأحرارُ بالعبيدِ وادَّعَى عبيدٌ الحُرِّيَّةَ من غيرِ أن يَتِمَّ عِتْقُهُمْ شرعًا ومَدُّوا أعناقَهُمْ إلى ولاياتٍ ومناصبَ لا تجوزُ لهم وعضَدَهُمْ حُكَّامٌ فاسدونَ لا يبالُونَ بمخالفةِ أحكامِ الدِّينِ فلا يُستبعَدُ أنْ يكونوا قد صارُوا ولاةً بالتَّسَلُّطِ والشَّوكةِ أو بالرِّشوةِ والمالِ أو بنظامِ الانتخاباتِ ووسائلِ الدعاياتِ التِى ترفعُ السَّفَلَةَ وتُعْلِى مَنْ لا ينطبِقُ عليه شرطٌ واحدٌ من شروطِ الأئمةِ والوُلاةِ وإلى اللهِ المُشْتَكَى وإليهِ نلجأُ فِى كَشْفِ الغُمَّةِ التِى عَمَّتْ ونسْألُهُ أنْ يَمُنَّ علينا بِحُكَّامِ عَدْلٍ يُقِيمونَ دينَهُ ويُطبِّقُونَ

---

(١) قوله (يَتَقَهْقَرون) أى يرجعون إلى الخلف قال الزبيدِىُّ فى تاج العروس القهقرى الرجوع إلى خلف اهـ الفقير.

(٢) قوله (الصَّبِر) بكسر الباء فِى الأشهر وسكونُهَا للتخفيف لغةٌ قليلة كما فِى المصباح المنير وهو عصارة شجرٍ مُرٍّ كما نقله فِى التاج عن المحكم اهـ الفقير.

أحكامَهُ ويُزيلُونَ عَسْفَ الظُّلْمِ ودَوْلَتَهُ ⊙

والله أعلمُ ⊙

(الحديثُ التاسعُ والعشرونَ)

رُوِيَ من طُرُقٍ **(عن مُعَاذ)** بنِ جبلٍ **(رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ قلتُ)** أيْ فِي غزوةِ تَبُوكَ **(يا رسولَ الله أخْبِرْنِي بعملٍ يُدْخِلُنِي الجنةَ)** بلا سَبْقِ عذابٍ **(ويباعدُنِي مِنَ النارِ)** أيْ يُبعدنِي منها فلا أدخلُها وفِي بعضِ طُرُقِ الحديثِ عند الإمام أحمدَ أنَّ مُعاذًا قال يا رسولَ اللهِ إنِّي أريدُ أنْ أسألكَ عن كلمةٍ قد أَمْرَضَتْنِي وأسْقَمَتْنِي وأحرقَتْنِي قال سَلْ عَمَّا شئتَ اهـ الحديثَ وهو يدُلُّ على شدةِ اهتمام معاذٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ بالأعمالِ الصالِحَةِ وفيه دليلٌ على أنَّ الأعمالَ سَبَبٌ لدخولِ الجنةِ على خلافِ مزاعم ملاحدةِ المُتَصَوِّفَةِ الذينَ يُسْقِطونَ الأعمالَ ويزعُمونَ الاكتفاءَ بالمعرفةِ وعلى أنَّها سببٌ لدخولِ الجنةِ مِن غيرِ أنْ تُوجِبَ ذلك على اللهِ تعالى كما زعمَ المعتزلةِ بل دخولُها بمحضِ فضلِ الخالقِ عزَّ وجلَّ كما عليه عقيدةُ أهلِ السُّنَّةِ قاطبةً **(قالَ)** ﷺ فِي جوابِهِ **(لقد سألتَ عن عظيمٍ)** أيْ أمرٍ عظيمٍ **(وإنه لَيَسِيرٌ)** أيْ هَيِّنٌ **(على مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تعالى عليْهِ)** أيْ سَهَّلَ له اكْتِسَابَهُ وذَكَرَ ذلك تشويقًا لِمُعاذٍ إلى مَعرفتِهِ وترغيبًا لهُ فِي فعلِهِ **(تَعْبُدُ اللهَ)** أيْ هو أنْ تعبدَ اللهَ والعبادةُ هِيَ نهايةُ التذلُّلِ أو غايةُ الخضوعِ والخشوعِ كما عَرَّفَها الفرَّاءُ الراغبُ الأصبهانِيُّ والتقيُّ السُّبْكِيُّ وغيرُهما مِن أئمةِ اللُّغَةِ قبلَهُما كالفرَّاء وبعدَهُما كالزبيدِيِّ وليس معناها مجردَ النداءِ أو الاستغاثةِ أو الاستعانةِ كما ادَّعَى بعضُ أهلِ البدعِ مِنْ غيرِ دليلٍ ولا سلَفٍ سبقَهُ إلى ذلكَ وقد تُطلق على الطاعاتِ كذلكَ فتُسَمَّى الطاعةُ عبادةً لكنَّ المرادَ بها هنا الإيمانُ والتوحيدُ **(لا تُشْرِكُ به شيئًا)** أيْ لا

تعبُدُ معه غيرَهُ (**وتقيمُ الصلاةَ**) المكتوبةَ (**وتُؤْتِى الزكاةَ**) أيِ الصدقةَ المفروضةَ إذا وَجبَتْ عليكَ (**وتَصُومُ رمضانَ**) أىْ أيامَ شهرِه (**وتَحُجُّ البيتَ**) إن استطعْتَ إليه سبيلًا ⊙

(**ثم قالَ ألا أدلُّكَ على أبوابِ الخيرِ**) أىْ على أصنافِ الأمورِ المُوصلةِ إليه والطرقِ المُؤَدّيَةِ للازديادِ منه (**الصَّوْمُ**) أىْ تَنَفُّلًا إذْ قد تَقَدَّمَ ذِكْرُ الفرضِ (**جُنَّةٌ**) أىْ وقايةٌ مِن المعَاصِى فِى الدُّنْيا فيكونُ وقايةً مِنَ النَّارِ فِى الآخرةِ كما رَوَى النَّسائىُّ الصيامُ جُنَّةٌ ما لم تخرِقْهَا اهـ أىْ بالغِيبَةِ والنَّمِيمَةِ ونَحْوِهِما مِنَ الكلامِ والأفعالِ (**والصَّدَقَةُ**) النَّافلةُ (**تُطْفِئُ الخطيئةَ**) الصغيرةَ التِى لا تَعَلُّقَ لَهَا بحقوقِ العبادِ أىْ تَمْحُو أثرَها وتُذهبُها (**كما يُطفِئُ الماءُ النارَ**) فيمحوها ويذهبُ بأثرِها وأما حقوقُ العِباد فإنَّ الصدقة لا ترفعُها ولا تُلْغِيها ⊙ والأفضلُ مِن حيثُ الجملةِ إخفاءُها وهو أبعدُ عنِ الرياءِ كما قال تعالى ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ﴾ ورَوَى ابنُ زنجويه فِى الأموالِ عن علىِّ بنِ الحسينِ رَضِىَ اللهُ عنهُما أنه كان يحملُ الخُبْزَ على ظهرِهِ باللَّيْلِ يتتبعُ به المَساكينَ فِى ظُلْمَةِ الليل ويقول إنَّ الصدقةَ فِى ظلامِ اللَّيلِ تُطْفِئُ غضبَ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ اهـ أىْ تُذْهِبُ ءاثارَهُ ⊙ (**وصلاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**) كذلك تُطْفِئُ الخطيئةَ وأفضلُها الوِتْرُ وهِىَ أفضلُ منَ التراويحِ ومِن باقِى النوافلِ التِى لا تُسَنُّ فيها الجماعةُ ورَوَى الترمذِىُّ عن رسولِ اللهِ ﷺ قال عليكم بقيامِ الليلِ فإنه دَأْبُ الصالحينَ قبلَكم وإنَّ قيامَ الليل قُرْبَةٌ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ومنهاةٌ عنِ الإثمِ وتكفيرٌ للسيئاتِ ومطردةٌ للداءِ عن الجَسَدِ اهـ ويحصلُ فضلُ قيامِ الليل بركعتين وأفضلُهُ صلاةُ داودَ عليه السلام كان ينامُ نصفَهُ ويقومُ ثلثَهُ وينامُ سُدسَهُ (**ثُمَّ تَلَا**) رسولُ اللهِ ﷺ قولَهُ تعالى (﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ

﴿ٱلْمَضَاجِعِ﴾) أى المَفَارِش والمَعْنَى يتركون النومَ ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ أىْ يَعبدونه ﴿خَوْفًا﴾ مِنْ سَخَطِهِ ﴿وَطَمَعًا﴾ فِى رضاهُ ورحمتِهِ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ فِى سبيلِ مَرْضاته ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ فقرأ عليه الصلاة والسلام مِن قوله ﴿تَتَجَافَىٰ﴾ (**حتى بلغ** ﴿يَعْمَلُونَ﴾) ومعناه أنَّ الأتقياءَ الأصفياءَ الذين يقومونَ فِى جوفِ الليلِ ويتركونَ نومَهُم ولذَّتَهُ ويُؤثِرونَ على ذلك ما يَرجونَهُ مِنْ ربِّهِم فجزاؤُهُم ما فِى الآيةِ مِن قولِهِ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ ⊙

(**ثم قالَ**) ﷺ (**أَلَا أُخْبِرُكَ برأسِ الأمرِ**) الذِى سألتَ عنه (**وعَمودِهِ**) المتينِ الذى يَعْتَمِدُ عليه (**وذِرْوَةِ**) بكسرِ الذالِ وضَمِّها (**سَنامِهِ**) والسَّنامُ ما ارتفعَ مِنْ ظهرِ الجمل قُرْبَ عُنُقِهِ والمعنَى أعلَى الأمرِ (**قلتُ بَلَى يا رسولَ اللهِ قالَ** لا **رأسُ الأمرِ الإسلامُ وعمودُهُ الصلاةُ وذروةُ سَنَامِهِ** إلى **الجهادُ**) فَشَبَّهَ الإسلامَ الذِى عليه مدارُ الأحكام وهو الإقرارُ بالشهادتينِ بالرأسِ لأنه مِنْ سائرِ الأعمالِ بمنزلةِ الرأسِ مِنْ سائرِ أعضاءِ الجسدِ، وشَبَّهَ الصلاةَ التِى هِىَ أفضلُ الأعمالِ بعد الإيمانِ وأكثرُها ثوابًا فرضُها أفضلُ الفروضِ ونفلُها أفضلُ النوافلِ شَبَّهَها بعمودِ الخَيْمَةِ الذِى تعتمدُ عليه لأنها عِمَادُ الدِّينِ كما جاء فِى حديث البيهقىِّ وغيره وفِى بعض الرواياتِ مَنْ أقامها فقد أقامَ الدِّينَ ومَنْ هَدَمَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ اهـ وشَبَّهَ الجهادَ بأعلى جُزْءٍ فِى الأمرِ لأنَّ به حمايةَ بيضةِ الدِّينِ أىْ جماعتِهِ ورِفْعَةَ أهلِهِ وسلامةَ بلادِهِمْ وقد قَرَنَ اللهُ تعالى بِهِ الهدايةَ فقال فِى سورةِ العنكبوتِ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ وبيَّنَ نبيُّنا عليه الصلاةُ والسلامُ رِفْعَتَهُ ففِى البخارىِّ أنَّ رجلًا جاء إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال دُلَّنِى على عملٍ يَعْدِلُ الجهادَ قال لا أَجِدُهُ قال هل تستطيعُ إذا خرجَ

المجاهدُ أن تدخلَ مَسْجِدَكَ فتقومَ ولا تَفْتُرَ وتصومَ ولا تُفْطِرَ قال ومن يستطيعُ ذلك اهـ

والحاصلُ أنَّ العبد ما لم يُقِرَّ بالشهادتينِ لم يكنْ له شَىْءٌ مِنْ ءَاثارِ السعادةِ فإذا أقرَّ بهما حصلَ له أصلُ الدِّينِ إلا أنه ليس له كمالٌ وقوةٌ فِى اليقينِ كالبيتِ الذِى ليسَ له عمودٌ متينٌ فإذا صَلَّى وداوَمَ عليها قَوِىَ إيمانُهُ وصَلُبَ عَمُودُ بيتِهِ فإذا جاهدَ حصلَ له الرِّفْعَةُ والعِزَّةُ بخلافِ مَا لَوْ أهملَ الناسُ ذلك كحالِهِمُ اليومَ، أهملَ الأكثرُ تعلُّمَ أصولِ العقائد فسَهُلَتْ فتنتُهُم، وأهملوا تعلُّمَ أحكامَ الصَّلواتِ فأهملُوا إتقانَها بل غفلَ الكثيرونَ الكثيرونَ عن مجرَّدِ الإتيانِ بها فضعفَ إيمانُهُم ورقَّ دينُهُم وهانَ عليهم إتيانُ المعاصِى، وأهملوا الاستعدادَ بأسبابِ القوةِ فصارُوا عالةً تابعينَ مستذَلِّينَ بعدما كانوا أعزَّةً متبوعينَ مصداقَ حديثِ أبِى داودَ وأحمدَ وغيرِهما عن ثَوْبَانَ مرفوعًا يُوشِكُ الأُممُ أن تَدَاعَى عليكُمْ كما تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها فقال قائلٌ ومِن قِلَّةٍ نحن يومئذٍ قال لا بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ ولكنكم غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ أىْ كالذِى يحملُهُ السيلُ فوقَه منَ الزَّبَد والوسخ وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صدورِ عدُوِّكُمُ المَهَابَةَ منكم ولَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِى قُلُوبكم الوَهَنَ فقال قائلٌ يا رسولَ الله وما الوَهَنُ قال حبُّ الدُّنيا وكراهيةُ المَوْتِ اهـ أىْ تركُ الجهادِ ⊙

(**ثم قال ألا أخبِرُكَ بمِلاكِ ذلكَ كُلِّهِ**) أىْ ألا أقولُ لكَ ما هو الأمرُ الذِى يقومُ به ما تقدَّمَ من العباداتِ وتَتِمُّ به أحكامُها (**قلتُ بَلَى يا رسولَ اللهِ فأخذَ بلسانِهِ وقالَ كُفَّ عليكَ هَذَا**) فحثَّهُ على جهادِ النَّفْسِ بِقَمْعِهَا عَنِ الكلامِ فيما يُؤْذِيهَا ويُرْدِيهَا وجهادُ النَّفسِ هو الجِهادُ الأكبرُ كما رَوَى البيهقِىُّ فِى الزُّهْدِ وغيرُهُ والمَعْنَى امْنَعْ عنكَ ءَافَةَ لسانِكَ واحْبِسْه عليكَ بمنعِهِ عنِ الشَّرّ فلا يتكلمُ إلا بخيرٍ فإنْ لم

تفعلْ أوردَكَ الـمَواردَ فإنه صغيرُ الجِرْمِ كبيرُ الجُرْمِ كما دلَّ عليه حديثُ الترمذيِّ وغيرِهِ أكثرُ ما يُدخِلُ النَّاسَ النارَ الأجوفانِ الفَمُ والفَرْجُ اهـ فإنَّ مَنْ كَثُرَ كلامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ ومَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وعند الطبرانِيِّ أنَّ عبد الله بن مسعودٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ كان يأخذُ لسانَهُ ويقولُ يا لسانُ قلْ خيرًا تغنمْ واسكتْ عن شرٍّ تسلم مِنْ قبلِ أنْ تَنْدَمَ إنِّى سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ أكثرُ خطايا ابنِ ءادمَ من لسانِهِ اهـ

قال معاذٌ (**قلتُ يا نَبِىَّ الله وإنَّا لَمُؤَاخَذون بما نتكلَّمُ به**) وسؤالُهُ لزيادةِ التأكدِ (**قال**) ﷺ (**ثَكِلَتْكَ أمُّك**) ومعناهُ لغةً فَقَدَتْكَ أُمُّكَ أىْ بأنْ تموتَ فتفقِدُكَ وليس مرادًا بل هِىَ عبارةٌ جَرَتْ عادةُ العربِ بالإتيانِ بها فِى موضعِ التعجبِ أو للتحريضِ على التَّيَقُّظِ فِى مَقام الأدبِ أو للاستعظامِ على حسبِ ما يقتضيه المَقَامُ (**وهل يَكُبُّ الناسَ فِى النارِ على وجوهِهم**) أىْ هل يُلْقِيهِمْ فيها مكبوبينَ على وجوهِهم (**أو قال على مَنَاخِرِهم**) جمع مَنْخَرٍ بفتح الميم وكسرِ الخاءِ المُعْجَمَةِ وفتحِهَا ثقبةُ الأنفِ والمرادُ هنا نفسُ الأنفِ (**إلا حصائدُ ألسنَتِهِمْ**) حصائدُ جَمْعُ حَصِيدةٍ فَعِيلةٌ بِمَعْنَى مفعولةٍ مِنْ حَصَدَ الزَّرْعَ إذا قطعَهُ والمَعْنَى محصوداتُ الألسنةِ وهِىَ ما تلتقطُهُ مِنَ الكفرِ أو الكذبِ أو الشَّتْمِ أوِ اللَّعنِ أو القذفِ أو الغِيبةِ أو النَّمِيمةِ أو البهتانِ أو نحوِها، شَبَّهَ اللسانَ وما يُقْطَعُ بِهِ مِنَ القَوْلِ بالمِنْجَلِ وما يُقْطَعُ به من النباتِ وشَبَّهَ إطلاقَ المتكلِّمِ لسانَهُ مِن غيرِ تمييزٍ بينَ قبيحٍ وحَسَنٍ وما يَشِينُ وما يَزِينُ بفعلِ الحصَّادِ الذى لا يُمَيِّزُ فِى الحَصَادِ بين شَوْكٍ وزَرْعٍ وهو مِنْ بلاغةِ النُّبُوَّةِ التِى لا تُدَانِيها بلاغةُ عَرَبِىٍّ ⊙ وهذا الكلامُ استفهامٌ تَقْريرىٌّ تقديرُهُ ما يَكُبُّ الناسَ فِى النارِ إلا حصائدُ ألسنتِهِمْ وهو عامٌّ أُرِيدَ به خاصٌّ إذ فِى الناسِ مَنْ يُكَبُّ بعملِهِ لا بلسانِهِ وإنما خرجَ هذا مَخْرَجَ المُبالغةِ فِى التعظيمِ للكلامِ مثل الحجُّ عرفةُ اهـ وفِى

حديثِ ابنِ أَبِى الدنيا والبزَّارِ والطبرانِيِّ مرفوعًا يا أبا ذَرٍّ ألا أدلُّكَ على خَصلتينِ هما أخفُّ على الظهرِ وأثقلُ فِى المِيزانِ قال بَلَى يا رسولَ اللهِ قال عليكَ بِحُسْنِ الخُلُقِ وطولِ الصَّمْتِ فوالذِى نَفْسِى بيدِهِ ما عملَ الخَلَائقُ بِمِثْلِهما اهـ قال البُوصِيرِىُّ فِى إتحافِ الخِيَرَةِ هذا إسنادٌ رجالُهُ ثقاتٌ اهـ

وحديثُ المتن (**رواه الترمذىُّ وقال حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ**) وأخرجه أحمدُ وابنُ ماجَهْ والنَّسائىُّ وطُرُقُهُ يتقَوَّى بعضُهَا ببعضٍ وله شواهدُ ثابتةٌ من طريقِ أَبِى هريرةَ وأَبِى أيوبَ وغيرِهما ⊙ وتفسيرُ رسولِ اللهِ ﷺ لرأس الأمر وعَمُودِهِ وذِرْوَةِ سنامه ساقطٌ مِنْ أصلِ الشيخِ وكذا مِنْ كتابِ الأذكارِ له قال الحافظ زينُ الدينِ العراقىُّ وسببُ ذلك سقوطُهُ مِنْ نُسختِهِ مِنَ الترمذىِّ اهـ

والله أعلم ⊙

(الحديثُ الثلاثونَ)

هذا الحديثُ أصلٌ كبيرٌ من أصولِ الدينِ كما قال أبو بكر بنُ السَّمعانِىِّ وغيرُهُ ⊙

(**عن أَبِى ثَعْلَبَةَ الخُشَنِىِّ**) نسبة إلى خُشَيْنَةَ بضم الخاء وفتح الشين المعجمة وبالنون بطنٍ مِنْ قُضاعة (**جُرثوم بنِ ناشِرٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ**) وفِى اسمِهِ واسمِ أبيه خلافٌ كثيرٌ حضرَ بَيْعة الرِّضوان ونزل الشامَ ومات سنةَ خمسٍ وسبعينَ (**عن رسولِ الله ﷺ قالَ إنَّ اللهَ فَرَضَ فرائضَ**) أىْ أوجبَ عليكم أمورًا وأَلْزَمَكُمُ القِيَامَ بِهَا (**فلا تُضَيِّعُوها**) أىْ لا تَتْرُكُوها ولا تُقَصِّرُوا فِى أدائِهَا ولا تُخْرِجُوها عن أوقاتِهَا (**وحَدَّ حُدودًا**) أىْ بَيَّنَ وعَيَّنَ صفاتٍ أو هيئاتٍ أو مقاديرَ أو أعدادًا

أو نحوَ ذلكَ لأداءِ أمورٍ طلبَ فعلَها أو أذِنَ فيها **(فلا تَعْتَدُوها)** أيْ لا تتجاوزوها بل قِفُوا عندها ولا تزيدُوا عليها فحدودُ اللهِ ما مَنَعَ اللهُ مِنْ مُخالَفتها بعد أن قَدَّرَها بمقاديرَ مخصوصةٍ وصفاتٍ مضبوطةٍ كتعيينِ الركعاتِ والأوقاتِ وما وجبَ إخراجُهُ فِى الزكاةِ وصفةِ الحجّ ومواضعِ أداءِ مناسكِهِ وحدودِ العقوباتِ وعددِ الطلاقِ فمَن عملَ بذلك على ما بيَّنَ اللهُ وحدَّ كان متصرِّفًا فِى حَيِّزِ الحقِّ فإذا تعدَّاه وقعَ فِى حَيِّزِ الباطلِ فنُهِىَ لذلك عن تَعَدِّيها وقال عليه الصلاة والسلام فلا تَعْتَدُوها أىْ فلا تُهمِلوا أو تَتَجاوزوا ما حُدَّ لكم فتقعُوا فِى ما نُهِيتُمْ عنه كما قال تعالى فِيمَنْ طلَّقَ بغيرِ معروفٍ أو سرَّحَ بغيرِ إحسانٍ أو أخذ مِمَّا أعطَى المرأةَ شيئًا بغيرِ حقٍّ ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وكَمَا قالَ فِيْمَنْ تجاوزَ ما فرضَ اللهُ للورثةِ فزادَ وارثًا على حقِّهِ أو نَقَصَهُ منه ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ شكًّا فِى حقِّيَّةِ الشرعِ أو محادَّةً للخالقِ أوِ استنكارًا لحكمِ اللهِ ورسولِه ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ⊙ رَوَى أحمدُ والنسائىُّ فِى التفسيرِ والتِّرْمِذِىُّ وحسَّنَهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ ضربَ اللهُ مثلًا صراطًا مستقيمًا وعلى جَنَبَتَىِ الصراطِ سُورانِ فيهما أبوابٌ مفتحةٌ وعلى الأبوابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ وعلى بابِ الصراطِ داعٍ يقولُ يا أيها الناسُ ادخُلُوا الصِّراطَ جميعًا ولا تَعْوَجُّوا أىْ لا تميلُوا إلى الأطرافِ وداعٍ يدعُو من جوفِ الصراطِ فإذا أرادَ أن يفتح شيئًا مِنْ تلكَ الأبوابِ قال وَيْحَكَ لا تَفْتَحْهُ فإنَّكَ إنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ والصِّراطُ الإسلامُ والسُّورانِ حدودُ اللهِ والأبوابُ المُفَتَّحَةُ محارمُ اللهِ وذلك الداعِى على الصِّراطِ كتابُ اللهِ والدَّاعِى مِنْ فَوْقُ واعظُ اللهِ فِى قلبِ كلِّ مسلمٍ اهـ

ولا يُعتَرَضُ على ما قدَّمناه فِى منعِ تجاوزِ الحدودِ بما رواه مسلمٌ

مِنْ ضَرْبِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عنهُ ثمانينَ فِى شُرْبِ الخمرِ لأنَّ الخليفةَ له الزيادةُ على الأربعينَ إلى الثمانينَ فِى شربِ الخمرِ إنْ رَأَى المصلحةَ فِى الزيادةِ تعزيرًا ويَدُلُّ عليه قولُ عليٍّ رَضِىَ اللهُ عنهُ وكلٌّ سُنَّةٌ اهـ أىْ سُنَّةُ رسولِ اللهِ ﷺ رواه مسلمٌ ⊙

قال عليه السلام **(وحَرَّمَ أشياءَ)** أىْ نَهَى عن قِرْبَانِها وارتكابِها كأكلِ المَيْتَةِ ولحمِ الخنزير وشربِ الخمرِ والزنا والربا والسرقة والقتل ظلمًا وغيرِ ذلكَ **(فلا تَنْتَهِكوها)** أىْ فلا تتناولوها ولا تأتوها **(وسكتَ عن أشياءَ)** أىْ تركَ النَّصَّ على حُكْمِهَا فلم يُصَرِّحْ فيها بوجوبٍ أو حرمةٍ أو إباحةٍ أو كراهةٍ أو ندبٍ **(رَحْمَةً لكم غيرَ نِسْيانٍ)** أى مِنْ غيرِ كونِ السُّكُوتِ عنها عن نِسيانٍ لأحكامِها بل رحمةً بعبادِهِ ورفقًا بهم حيثُ لم يُحَرِّمْهَا عليهم فيكونُ المَسْكُوتُ عنه مَعْفُوًّا عنه لا حَرَجَ على فاعلِهِ كما فِى روايةِ إسحٰقَ بنِ راهويهِ إنَّ اللهَ فرضَ فرائضَ فلا تُضَيِّعُوها ونهاكُمْ عن أشياءَ فلا تَنْتَهِكُوها وعَفَا عن أشياءَ مِن غيرِ نسيانٍ **(فلا تبحثُوا عنها)** اهـ وهذا مُوافِقٌ لِمَا سَبَقَ فِى حديثِ مسلم مرفوعًا ذَرُونِى ما تركتُكُمْ فإنَّما أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مسائلِهِمْ واختلافُهُمْ على أنبيائِهِمْ اهـ

وقال بعضُهُم فِى الحديثِ إشارةٌ لتركِ تتبُّعِ استنباطِ الأسئلةِ عَمَّا لَمْ يحصلْ حتى مَنَعَ قومٌ مِنَ العُلماءِ السؤالَ فِى النوازلِ للعلماءِ حَتَّى تقعَ كما رواه ابنُ عبدِ البَرِّ وغيرُهُ عن عمرَ بنِ الخطاب وزيدِ بن ثابت وابنِ عمرَ وأُبَىِّ بن كعبٍ ومعاذِ بن جبل والزُّهرىِّ وغيرِهِم وكانَ شيخُنا الهررىُّ رحمه الله كثيرًا ما يَسْأَلُ المُسْتَفْتِى هل وقعَ ما تسألُ عنه أَوْ لا فإنْ قالَ لا قال اتركنا منه اهـ إلَّا أنَّ العلماءَ لَمَّا خافُوا ذهابَ العِلْمِ أصَّلُوا وفَرَّعُوا ومهَّدُوا وسَطَّروا ولم يريدُوا بذلك أنْ ينشغلَ أحدٌ بذلك تَفَكُّهًا أَوْ وَسْوَسَةً ولا أنْ يشغَلَ نفسَهُ بما لا يَحتاجُ

إليه عمَّا يَحتاجُ إليه ولا أن يشغَلَ غيرَهُ بذلك ⊙

ويَدُلُّ الحديثُ أيضًا على أنَّ التَّرْكَ لا يُفيدُ التحريمَ كما سبقَ فِى شرحِ الحديثِ التاسعِ ولِذا لا يَصِحُّ الاستدلالُ على تحريمِ أمورٍ مِنَ المُستحدثاتِ بمجرَّدِ عدمِ فِعْلِ رسولِ اللهِ ﷺ لَهَا لا سِيَّمَا إذا كان لَهَا أصلٌ فِى الشرعِ بل تُلْحَقُ بأصلِهَا ما لم يَمْنَعْ مِنْ ذلكَ مانعٌ شرعِيٌّ ومَنْ لم يكنْ مِنْ أهلِ المعرفةِ بذلك فَلْيَسْكُتْ عنه ولْيَرْجِعْ فِى أمرِهِ إلى أهلِ المعرفةِ ⊙

فائدةٌ. إذا اشْتَبَهَ الأمرُ فِى عينٍ مِنَ الأعيانِ مِمَّا أصلُهُ الحِلُّ فشُكَّ هلْ دَخَلَهُ محرَّمٌ أو لا لم يَجِبِ البَحْثُ كالسَّمْنِ إذا شُكَّ أنه دخله دهنُ مَيْتةٍ لم يجبِ البحثُ عنه وأمَّا ما كانَ أصلُهُ التحريمَ فهو باقٍ على أصلِهِ حتَّى يُعْلَمَ الحِلُّ كالحيوانِ المَأكولِ يحرمُ أكلُهُ حتى يُذَكَّى فما لم تُعْلَمْ تَذْكِيَتُهُ لم يحلَّ تناولُهُ وحَرُمَ أكلُهُ معَ الشَّكِّ فيه إجماعًا ⊙

وحكمَ الشيخُ رحمه الله على الحديثِ بالحُسْنِ فقال (**حديثٌ حسنٌ رواه الدَّارَقُطنيُّ وغيرُه**) وحَسَّنَهُ قَبْلَهُ الحافظُ أبو بكر ابن السَّمْعَانِيِّ فِى أماليه لشواهدِهِ المرفوعةِ والموقوفةِ ⊙

والله أعلم ⊙

(الحديثُ الحادِى والثلاثونَ)

(**عنْ أبِى العباسِ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ السّاعدِيِّ**) الأنصاريّ ءاخِرِ مَنْ تُوُفِّىَ بالمدينةِ مِنَ الصحابةِ سنةَ إحدَى وتسعين عن مِائَةِ سنةٍ (**رَضِىَ اللهُ عنهُ**) وكان الأَوْلَى على طريقتِهِ أنْ يقولَ رَضِىَ اللهُ عنهُما لأنَّ والدَهُ صَحَابِيٌّ أيضًا (**قالَ جاءَ رجلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ فقالَ يا رسولَ اللهِ**

دُلَّنِى على عَمَلٍ إذا عَمِلْتُهُ أحبَّنِى اللهُ وأحبَّنِى النَّاسُ) أىْ أرشِدْنِى إلى عملٍ جليلِ القَدْرِ عظيمِ الفضلِ جالبٍ للخيراتِ دافعٍ للشُّرُورِ صفتُهُ أنَّنِى إذا عملتُهُ أحبَّنِى اللهُ وأحبَّنِى الناسُ والمحبةُ مِنَ اللهِ إرادةُ الرَّحمةِ والمَثُوبَةِ ومنَ الناسِ الشفقةُ وإرادةُ المنفعةِ **(فقالَ)** له جملتَيْنِ فيهما وصِيَّتَانِ عظيمَتَانِ أُولاهما **(ازْهَدْ فِى الدُّنْيَا)** وهِىَ لغةً الأرضُ وما عَلَيها من جمادٍ ونباتٍ وحيوانٍ وتُطْلَقُ على المَذموم مِنَ الأعيانِ والأعمالِ وهو المُرَادُ هنا والمَعْنَى أعْرِضْ عنها ولا تَسْعَ خلفها ولا تُبَالِ بإقبالِهَا وإدبارِها واشْتَغِلْ فيها بما يَعْنِيكَ ويُعِينُكَ على التعظيمِ لأمرِ اللهِ والشفقةِ على خَلْقِ الله ⊙

وقد حطَّ رسولُ الله عليه الصلاةُ والسلامُ مِن قدرِها ورغَّبَ عنها ففِى صحيح مسلمٍ أنَّه ﷺ مرَّ بالسُّوقِ والنَّاسُ كَنَفَيْهِ أىْ جانِبَيْهِ فَمَرَّ بِجَدْيٍ أسَكَّ أىْ صغيرِ الأُذُن ميتٍ فتناوله فأخذه بأذنه فقال أيُّكُمْ يُحِبُّ أنَّ هذا له بدرهمٍ فقالوا ما نحبُّ أنَّهُ لنا بِشَىْءٍ وما نصنع به قال أتحبُّونَ أنه لكم قالُوا واللهِ لو كانَ حيًّا لَمَا رغِبْنا فيه لأنه أسَكُّ فكيف وهو ميتٌ فقال واللهِ لَلدُّنْيا أهونُ على اللهِ من هذا عليكم اهـ فَمَعْنَى الزُّهْدِ فِى الدنيا هو حملُ النَّفسِ على العُزُوفُ عن متاعِها مع القدرة عليه لأجلِ الآخرةِ وإن شئتَ قلتَ إسقاطُ الرَّغْبَةِ فيها بالكُلْفَةِ وثَمَرَتُهُ القناعةُ منها بما لا بُدَّ منه للتَّزَوُّدِ للعُقْبَى واغتنامُ الوقتِ والـجهدِ لعمارة الآخرة ⊙ فَمَنْ عرفَ قَدْرَ الدنيا وصَغَارها وتَقَلُّبَها مع ذلك واستحواذَها على جُهْدِ طالبِهَا وشَغْلَهَا لكلِّ وقتِهِ مع نعومةِ مَلْمَسِهَا ونقاعةِ سُمِّهَا وكانت له نفسٌ تَسْمُو إلى المَعَالِى وتحبُّ الارتفاعَ عنِ السَّفَاسِفِ أعرضَ عنها ولو باشرَهَا بيده واستحقرَها وجعلَها خلفَ ظهرِهِ واشتغل بِـخِدْمَةِ مولاه الكريمِ وبالعملِ للباقيةِ ⊙

ثم إنَّ الذمَّ الواردَ للدُّنيا ليس راجعًا لزمانِها وهو الليل والنهار ولا

لِمَكانِها وهو الأرض ولا إلى ما يحتاجُهُ العبادُ للمعايش فإنَّ القيامَ به فرضُ كفايةٍ كما هو معلومٌ ولا إلى الكسب مِنَ الحلال مع حُسْنِ النِّيَّةِ فَفِى حديثِ أحمدَ وغيرِهِ نِعْمَ المَالُ الصالحُ للرجلِ الصالحِ اهـ وقد كان سيدُنا عثمانُ تاجرًا وعبدُ الرحمن بن عوف تاجرًا وعبدُ الله ابنُ المبارك تاجرًا فمَن أخذَ للهِ وتركَ للهِ فهو زاهدٌ ولو ترك العبدُ جميعَ ما فِى الدنيا لغيرِ وجهِ اللهِ لم يكنْ زاهدًا وإنما يرجعُ الذمُّ إلى الاشتغالِ بما فِى الدُّنْيَا عَمَّا أُمِرْنا به مِنْ عبادتِهِ تعالى والتَّذَلُّلِ له والإقبالِ على خدمته وعلى هذا قال سيدُنا رسولُ اللهِ ﷺ إنَّ الله إذا أحبَّ عبدًا حَمَاهُ الدنيا كما يَظَلُّ أحدُكُمْ يَحْمِى سَقِيمَهُ الماءَ اهـ رواهُ الترمذيُّ وابنُ حبانَ وغيرُهُما وفِى روايةٍ إنَّ اللهَ لَيَحْمِى عَبْدَهُ الدُّنْيَا وهو يُحِبُّهُ كما تَحْمُونَ مريضَكُمُ الطعامَ والشرابَ تخافونَ عليه اهـ فما ألهاكَ عن طَلَبِ الآخرةِ فهو متاعُ الغُرور وما لم يُلْهِكَ فليس مَتَاعَ الغُرورِ ولكنه متاعُ بلاغٍ إلى ما هو خيرٌ منه اهـ

وعندَ التفصيلِ فالزهدُ يرجعُ إلى أُمورٍ ثلاثةٍ هِىَ فروعٌ عن قُوَّةِ التَّوَكُلِ واليقينِ والثقةِ باللهِ تعالى أولُهَا أنْ تَشْهَدَ بقلبكَ عَقْدًا وذَوْقًا فِى مختلفِ أحوالِكَ أنَّ رِزْقَكَ لا يأكلُهُ غيرُكَ ولا يَسُوقُهُ حِرصُ حريصٍ ولا يردُّهُ كراهيةُ كارِهٍ بل هو بيدِ اللهِ ضَمِنَ لعبادِهِ أرزاقَهُمْ وتكفَّلَ بِهَا كما قال تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وكما قالَ ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ فيغْنَى قَلْبُك وتعتمدُ على اللهِ وتمتنعُ مِنَ الأسبابِ المَكْرُوهَةِ والنِّيَّاتِ الوضيعةِ ⊙ وثانيها أن يكونَ العبدُ إذا أُصِيبَ بمصيبةٍ فِى دُنْيَاهُ مِنْ ذهابِ مالٍ أو وَلَدٍ أو غيرِ ذلك أرغبَ فِى ثوابِ ذلك مِمَّا ذهبَ منه فِى الدُّنيا أنْ يَبْقَى له وهذا أيضًا ينشأُ مِنْ كمالِ اليَقِينِ كما فِى الدُّعَاءِ المَرْفُوع عند النسائىِّ فِى الكبرى ومِنَ اليَقِينِ ما تُهَوِّنُ به علينا مصائبَ الدُّنْيا اهـ وهو مِنْ

علاماتِ الزُّهدِ فِى الدُّنيا وقِلَّةِ الرغبةِ فيها كما رَوَى البيهقِىُّ فِى الشُّعَبِ وغيرُهُ عن عَلِىٍّ رَضِىَ اللهُ عنهُ مَنْ زَهِدَ فِى الدنيا هانَتْ عليه المُصِيبَاتُ اهـ ⊙ وثالثُهَا أنْ يَستوِىَ عندَ العَبْدِ حامدُهُ وذامُّهُ فِى الحقِّ فلا يَحِيدُ عنِ الحقِّ لِحَمْدٍ ولا ذَمٍّ وهذا مِنْ علاماتِ الزُّهدِ فِى الدنيا واحتقارِها وقلةِ الرغبةِ فيها فإنَّ مَنْ عظُمَتِ الدُّنيا عنده اختارَ المَدْحَ وكَرِهَ الذَّمَّ وحَمَلَهُ ذلك على تركِ كثيرٍ من الحَقِّ خشيةَ الذَّمِّ وعلى فعلِ كَثِيرٍ منَ الباطلِ رجاءَ المَدْحِ وأمَّا مَن كان قلبُهُ مُمْتلِئًا بمحبةِ الخالقِ وما فيه رضاهُ مُقَدِّمًا له على الدنيا وما فيها اسْتَوَى عنده المدحُ والذَّمُّ فِى الحقِّ فصارَ كما رَوَى هَنَّادٌ فِى الزُّهْدِ والبيهقىُّ فِى الأربعينَ الصغرى عن ابنِ مسعودٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ اليقينُ أنْ لا تُرْضِىَ الناسَ بسخطِ اللهِ اهـ وعباراتُ السَّلَفِ فِى الزهدِ تَدُورُ على هذه الأمورِ الثلاثةِ ⊙

وقولُهُ ﷺ **(يُحِبَّك اللهُ)** جوابُ الأمرِ بالزُّهدِ فِى الدنيا ويُفْهَم منه أنَّ الزُّهْدَ مِنَ المقاماتِ العَلِيَّةِ والحالاتِ البَهِيَّةِ لأنه جُعِلَ سببًا لِمَحَبَّتِهِ تعالى وأنَّ مَنْ علَّقَ قلبَهُ بالدنيا بَعُدَ عَنِ اللهِ تعالى لأنَّ حبَّ الدنيا إذا حَلَّ فِى قَلْبٍ زاحمَ مَحبَّةَ الخالِقِ تعالى فيه فلم يتفرَّغْ للسَّيْرِ إلى الآخرةِ بالانشغالِ بتعظيمِ الربِّ وطاعتِهِ ولم يَذُقْ ذواقَ العارفينَ أنَّ الدُّنيا طريقُ مسافرٍ إلى دارِ القرارِ بلِ اشتغلَ بالتكثُّرِ مِنْ مَتَاعِهَا الذِى هو مُفَارِقُهُ عَنِ التخفُّفِ منها للتزوُّدِ لِسَفَرِهِ ومَقْصِدِهِ وغفلَ عن كونِ كُلِّ مَنْ فِى الدنيا ضَيْفًا وما فِى يَدِهِ عاريَّةً والضيفُ مُرْتَحِلٌ والعاريَّةُ مردودةٌ فالأمرُ كما جاءَ فِى حديثِ الحاكمِ وصحَّحَهُ ووافقه الذهبِىُّ مَنْ أحبَّ ءَاخِرَتَهُ أضرَّ بدُنياهُ ومَنْ أحبَّ دنياه أضرَّ بخِرَتِهِ فثِروا ما يَبْقَى على ما يَفْنَى اهـ فهما ضَرَّتَانِ لا تَرْضَى إحداهُما إلا بإسخاطِ الأُخْرَى ⊙ وفِى حديثِ الترمذىِّ وابن ماجَهْ وغيرِهما عَنْ أبِى هُرَيْرَةَ

رَضِيَ اللهُ عنهُ قال تَلَا رسولُ اللهِ ﷺ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠﴾ ثم قال رَسُولُ اللهِ ﷺ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ ابنَ ءَادَمَ تَفَرَّغْ لِعِبادَتِى أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وأسدَّ فَقْرَكَ وإلَّا تفعلْ ملأْتُ صدرَكَ شُغلًا ولم أَسُدَّ فَقْرَكَ اهـ

وقدْ دلَّتِ النُّصُوصُ والنَّظَرُ والتجربةُ والطَّبْعُ والتواتُرُ عن أهلِ الفضلِ على أنَّ الاستقامةَ على طاعةِ اللهِ تعالى وتَعَلُّقَ القلبِ بالدُّنيا لا يجتمعانِ فأَخلِقْ بما شَغَلَ عن الاستقامةِ أنْ يكونَ مستقذَرًا نَتِنًا تنفرُ منه الطباعُ السليمةُ الصافيةُ ولا يُقبلُ عليه إلا المُتَدَنِّسُونَ ولذا قال عليٌّ رَضِيَ اللهُ عنهُ الدنيا جِيفةٌ فمن أرادها فَلْيَصْبِرْ على مخالطةِ الكلابِ اهـ أى لأنَّهم طُلَّابُها رواه أبو الشيخ وأبو نُعيمٍ أعاذنا الله من مثلِ ذلكَ الحالِ ⊙

والوصيةُ الثانيةُ فِى الحديثِ قولُهُ (**وازهدْ فيما عِنْدَ الناسِ**) مِنَ المَالِ والجاهِ (**يحبَّك الناسُ**) لأنَّ مَن نازع إنسانًا فِى مَحبوبه كَرِهَهُ وقَلَاهُ ومَنْ لم يعارضْهُ فيه أحبَّهُ وارتضاهُ فالدنيا عَرَضٌ حاضرٌ يأكلُ منها البَرُّ والفاجرُ وهى مُبَغَّضَةٌ لأولياءِ اللهِ مُحَبَّبَةٌ لأهلِها فَمَنْ شاركَهم فِى محبوبِهم أبغضوه كما رُوِىَ عن إمامِنَا الشافعىِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ

ومَنْ يأمنِ الدُّنيَا فإِنِّى خبرْتُها   وسِيقَ إِلَيَّ عَذْبُها وعذابُها
فَمَا هِىَ إلا جيفةٌ مُسْتحيلةٌ   عليها كلابٌ هَمُّهُنَّ اجتذابُها
فإنْ تَجْتَنِبْها كنتَ سِلْمًا لأهلِهَا   وإنْ تَجْتَذِبْها نازعتْكَ كلابُها

وفِى جامعِ بيانِ العِلْمِ وفضلِهِ أنَّ الحجاجَ قال لخالد بن صفوانَ مَنْ سَيِّدُ أهلِ البصرةِ فقال له الحَسَنُ فقال كيف ذلك وهو مَوْلًى قال احتاجَ الناسُ إليه فِى دينِهِم واسْتَغْنَى عنهم فِى دنياهم اهـ ورَوَى أبو

نُعيم فِى الحِلْيةِ عن الحسنِ قال لا تزالُ كريمًا على الناسِ ولا يزال الناسُ يُكرمُونَكَ ما لم تَعَاطَ ما فِى أيديهم فإذا فعلتَ ذلك استخفُّوا بك وكرِهُوا حديثَكَ وأبغضوكَ اهـ وقد تكاثَرَتِ الأحاديثُ عنِ النَّبِيِّ ﷺ بالأمرِ بالاستعفافِ عن مسألةِ الناسِ والاستغناءِ عنهم وقد مَرَّ بعضُها وفيه كفايةٌ ⊙

وحَكَمَ الشيخُ مُحيِى الدينِ رحمه اللهُ على الحديثِ بالحُسْنِ فقال (**حديثٌ حسنٌ رواهُ ابنُ ماجَهْ**) القَزْوِينِيُّ أبو عبد الله محمد بن يزيد صاحبُ السنن المُتَوَفَّى سنةَ ثلاثٍ وتسعينَ ومِائَتَيْنِ (**وغيرُهُ بأسانيدَ حَسَنَةٍ**) وتحسينُ المُصَنِّفِ رحمه اللهُ له هو باعتبارِ تَعَدُّدِ طرُقِه من متصلٍ ومرسَلٍ وما لَهُ مِنَ الشَّوَاهِدِ ولِذَا حَسَّنَهُ فَضْلًا عَنه رحمه اللهُ الحافظانِ العراقِيُّ والهَيْثَمِيُّ وقوَّاهُ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ فِى بلوغِ المَرَامِ اهـ

والله أعلم ⊙

(الحديثُ الثَّانِى والثَّلَاثُونَ)

رُوِىَ عن أبِى داودَ رحمه الله أنه قال الفِقْهُ يدورُ على خمسةِ أحاديثَ وعَدَّ هذا الحديثَ منها اهـ

(**عن أبِى سعيدٍ سعدِ بنِ مالكِ بنِ سِنانٍ الخُدْرِيِّ**) نسبة إلى بَنِى خُدْرَةَ مِنَ الأنصارِ كان مِنْ حُفَّاظِ الصَّحابةِ وعلمائِهِمْ ورُوِىَ له ألفٌ ومِائةٌ وسبعون حديثًا وتُوُفِّىَ فِى المَدينة سنةَ أربعٍ وسبعينَ (**رَضِىَ اللهُ عنهُ**) ولو قال عنهما لكان أحسنَ فإنَّ أباه صحابِيٌّ أيضًا شَهِدَ أُحُدًا (**أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال لا ضَرَرَ**) أىْ فِى دينِنَا أو فِى شريعتِنا (**ولا ضِرارَ**) بالبِنَاءِ على الفتح فيهما ⊙ قال ابنُ عبدِ البَرِّ فِى التمهيدِ هُمَا لفظانِ بمعنًى واحدٍ تَكَلَّمَ بهما ﷺ جميعًا على وَجْهِ التَّأْكِيدِ اهـ وقال

بعضُهُمْ الضَّرَرُ والضِّرارُ مثلُ القَتْلِ والقِتَالِ فالضَّرَرُ أنْ تَضُرَّ مَنْ لا يَضُرُّكَ والضِّرَارُ أنْ تَضُرَّ مَنْ أضرَّ بَك مِن غير جهة المقابلةِ بالمِثْلِ واستيفاءِ الحقِّ اللَّذَيْنِ أجازهما الشَّرْعُ اهـ فإنَّ مَنْ سبَّهُ إنسانٌ بغيرِ حقٍّ جاز له مقابلتُهُ بالمثلِ مِن غيرِ تجاوزٍ للحدِّ ولا كذبٍ ومَن أخذَ حقَّه ليس بمذمومٍ كما لو جحدَ شخصٌ حقًّا عليه ومنعَهُ وكان صاحبُ الحقِّ لا يستطيعُ استيفاءَ حقِّهِ بواسطة القاضِى كأن لم يكنْ له شهودٌ ثم ظفرَ بمالٍ للجاحدِ فله أنْ يأخذ حقَّهُ مِن تحتِ يدِه إنِ استطاعَ وهو مذهبُ الشافعيةِ والحنفيةِ واحْتَجُّوا بحديثِ الشيخين أنَّ هندًا امرأةَ أبِى سفيانَ قالتْ يا رسولَ اللهِ إنَّ أبا سفيانَ رجلٌ شحيحٌ وليس يُعْطِينِى ما يَكْفِينِى وَوَلَدِى إلا ما أخذتُ منه وهو لا يعلمُ فقال خُذِى ما يكفيكِ وَوَلَدَكِ بالمعروفِ اهـ وفِى المسئلةِ تفاصيلُ ذُكِرَتْ فِى كتبِ الفقه ⊙

وقد ذَكَرَ الفقهاءُ أخذًا مِنَ القرءانِ والسنةِ أنواعًا كثيرةً من الضَّرَرِ والضِّرار منها الإضرارُ فِى الرَّجعةِ بأن يطلِّقَ امرأتَهُ فإذا قاربتِ انتهاءَ العدةِ ردَّها ثم يطلِّقُها حتَّى يُطيلَ عليها المدةَ فهذا إضرارٌ بها وليس منَ الإمساكِ بالمعروف ومنها التفريقُ بين الوالدةِ وولدِها فِى البيعِ وإضرامُ النَّارِ فِى يوم عاصفٍ فِى أرضِهِ عالمًا انتقالَهَا إلى أرضِ جَارِهِ وعدمُ بَذْلِ المَاءِ الزائدِ عن حاجتِهِ ليمنعَ ماشيةَ غيرِهِ مِن أن تَرْعَى الكَلَأَ المباحَ المجاورَ وإشْراعُ الجَنَاحِ أو السَّاباطِ بِحيثُ يَضُرُّ المَارَّةَ ومسائلُ كثيرةٌ مِنْ نحوِ ذلك ⊙

وهذا الحديثُ **(حديثٌ حسنٌ رواه ابنُ ماجَهْ والدّارقطنيُّ وغيرُهما)** كالحاكم فِى المستدرك وقال صحيحٌ على شرطِ مسلم **(مُسْنَدًا)** أىْ بإسنادٍ مُتَّصِلٍ لا إسقاط فيه ولكنْ إنما أخرجه ابنُ مَاجَهْ مِنْ حديث عُبادة بنِ الصامت وابنِ عباس رَضِىَ اللهُ عنهُم ولم يخرجه عن أبِى

سعيدٍ والذِى أخرجه عن أبِى سعيد هو الدارقطنىُّ فعَزْوُ الشيخِ يحيى النووىِّ رحمه الله حديثَ أبِى سعيد لابنِ مَاجَهْ وَهَمٌ (**ورواه مالكٌ فِى الموطَّإِ عن عمرو بن يحيَى عن أبيه عن النَّبِىِّ ﷺ مُرْسَلًا فأسقطَ أبا سعيدٍ وله طرقٌ يَقْوَى بعضُها ببعضٍ**) وفِى نسخةٍ يُقَوِّى بعضُها بعضًا اهـ ونقل فِى فيضِ القدير عنِ الحافظِ العلائىِّ أنَّ للحديث شواهد ينتهِى مجموعُها إلى درجة الصحة أو الحُسن المُحتَجِّ به اهـ

والله أعلم ⊙

(الحديثُ الثالثُ والثلاثونَ)

هذا الحديثُ أصلٌ مِنْ أصولِ الأحكامِ ومرجِعٌ عظيمٌ عندَ التَّنَازُعِ والخصامِ يَقتضِى ألا يُحْكَمَ لأحدٍ بمجرَّدِ دَعْواه ⊙

(**عن ابنِ عباسٍ رَضِىَ اللهُ عنهُما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ لو يُعْطَى الناسُ بِدَعْوَاهُم**) أىْ لو يُعطَى بنُو ءادمَ ذكورًا وإناثًا بمجردِ دعواهُمْ من غير تصديقِ المُدَّعَى عليه أو بَيِّنَةِ الْمدَّعِى (**لَادَّعَى رِجالٌ**) أىْ لَشَاعَ ادِّعَاءُ ناسٍ كثيرين لا واحدٍ ولا اثنينِ (**أموالَ قوم ودِماءَهم**) وأَخَّرَ ذِكْرَ الدماءِ عنِ الأموالِ تَرَقِّيًا منَ المُحَرَّمِ إلى الأشدِّ حُرْمَةً ومِنَ الأقلِّ إلى الأكبرِ إثمًا أو لأنَّ الخُصُوماتِ فِى الأموالِ أكثرُ أىْ ولأَفْضَى ذلكَ إلى الهَرْجِ والمَرْجِ ولاقْتَضَى حَرَجًا نَزَّهَ اللهُ تعالى دينَهُ عنه (**لكِن**) بتخفيفِ النونِ روايةً (**البَيِّنَةُ**) وهِىَ ما يُبَيِّنُ ثبوتَ الدَّعْوَى أىِ الشَّاهدُ (**على المُدَّعِى**) وهو المُكَلَّفُ المُلْتَزِمُ للأحكامِ الذِى يَذْكُرُ أمرًا يخالفُ الظاهرَ والمُدَّعَى عليه هو الذِى يَذْكُرُ ما يوافقُ الظاهرَ ولذا جُعِلَتِ البَيِّنَةُ على المُدَّعِى لِتَجْبُرَ ضَعْفَ مخالفةِ دعواه للظاهرِ والمَعْنَى لا يُعْطَى الناسُ ما يَدَّعُونَ بمجردِ دعواهم ولكنْ بالبَيِّنَةِ

(واليمينُ على مَنْ أَنْكَرَ) ما يُدَّعَى به عليه إذا لم يكنْ له بَيِّنَةٌ لِتَجْبُرَ يَمِينُهُ فَقْدَ البَيِّنَةِ ⊙

وهذه القاعدةُ أَيْ أَنَّ البينةَ على المُدَّعِى واليمينَ على مَنْ أنكرَ مَحَلُّ إجماعٍ مِنْ حيثُ الإجمالُ بين العلماءِ وإنْ كان بينهم خلافٌ فِى بعضِ التفاصيلِ المتعلقةِ بها فذهبَ الشافعيَّةُ وغيرُهم إلى وجوبِها على كُلِّ مُدَّعًى عليه فِى مالٍ أو حَدٍّ أو طلاقٍ أو نكاحٍ أو عِتْقٍ أخذًا بعموم ظاهرِ الحديثِ فإنْ لَمْ يكنْ له بينةٌ حُلِّفَ المُدَّعَى عليهِ فإنْ نَكَلَ لم تَثْبُتِ الدَّعْوَى بمجردِ نُكولِهِ بل تُرَدُّ اليمينُ على المُدَّعِى فإنْ حَلَفَ ثبتَتْ دعواه بيمينِهِ وقالَ غيرُهُم يُحَلَّفُ المُدَّعَى عليه فِى الأموالِ وعلى الطلاقِ والنكاحِ والعتقِ فإنْ نَكَلَ لَزِمَهُ ذلك كلُّهُ قالوا ولا يُستحلَفُ فِى الحدود ولا فِى السرقة ⊙

وقد يحلِفُ المُدَّعِى فِى بعضِ الصُّور المستثناةِ كالقضاءِ فِى الأموالِ باليمينِ معَ الشاهدِ الواحدِ فِى جانبِ المُدَّعِى ومثلِ يمينِ المُدَّعِى إذا لم يحلِفِ المُنكرُ فرُدَّتْ عليه كما تقدَّمَ بيانُهُ ⊙

وهذا الحديثُ **(حديثٌ حسنٌ رواه)** الإمامُ الفقيهُ الأصوليُّ الحافظُ صاحبُ التصانيفِ الجَلِيلَةِ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسينِ **(البيهقيُّ)** الأشعريُّ الشافعيُّ المُتَوَفَّى سنة ثمانٍ وخمسين وأربعِمِائَةٍ **(و)**رواه **(غيرُه هكذا)** وحسَّنَهُ الشيخُ أبو عمرٍو بنُ الصلاحِ رحمه اللهُ فإنه ساقَهُ فِى الأحاديثِ الكُلِّيَّاتِ وقال رواه البيهقيُّ بإسنادٍ حسنٍ اهـ وقد استدلَّ الإمامُ أحمدُ وأبو عبيدٍ بهذا الحديثِ وهو يدلُّ على أنَّ هذا اللفظَ عندهما صحيحٌ مُحْتَجٌّ بِهِ **(وبعضُه فِى الصَّحِيحَيْنِ)** وهو قولُ ابنِ أبِى مُلَيْكَةَ كتبَ ابنُ عباس رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قَضَى باليمينِ على المُدَّعَى عليه اهـ وفِى مسلمٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال لو يُعطى

الناسُ بدعواهم لادَّعَى ناسٌ دماءَ رجالٍ وأموالَهُمْ ولكن اليمينُ عَلَى المُدَّعَى عليه اهـ

وقال بعضُ العارفين فِى الحديثِ إشارةٌ إلى أنَّ كلَّ حالٍ أو مَقَامٍ يُدَّعَى لا بُدَّ أن يكون له أصلٌ فِى الشرعِ ودليلٌ فيه ومَنْ أرادَ التَّرَقِّىَ فِى العِرفانِ والارتقاءَ مِنْ حضيضِ النُّقصانِ إلى ذروةِ الإيقانِ بدونِ اتباعِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام فهو شيطانٌ مَرِيدٌ مَخْذُولٌ اهـ قلتُ وقد كان شيخُنا رحمه الله إذا سُئِلَ عن حالِ شخصٍ نُسِبَ إلى حصولِ الخَوَارقِ والكراماتِ على يدِهِ أو إلى كونِهِ من شيوخِ الطريقِ نَظَرَ هلْ عُرِفَ عنه طَلَبُ كفايةٍ من العِلْمِ وسَبْقُ استقامةٍ أو لا فإنْ فُقِدَ فيه ذلك أبَى أنْ يَشهَدَ له بولايةٍ مهما قِيلَ فيهِ طارَ فِى الهَوَاءِ أو مَشَى على الماءِ ⊙

والله أعلمُ ⊙

(الحديثُ الرابعُ والثلاثونَ)

(عَنْ أبِى سعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ مَنْ رَأَى) أىْ عَلِمَ فهو مِنْ رُؤْيَةِ القلبِ **(منكم)** خطابٌ للأُمَّةِ كُلِّهَا لا للسَّامِعِينَ فقط كَمَا فِى قولِهِ تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ **(مُنْكَرًا)** وهو ما يُنكِرُهُ الشرعُ والمرادُ الحرامُ وفِى معناه تركُ الواجبِ **(فلْيُغَيِّرْهُ)** أمرُ إيجابٍ بالإجماعِ **(بيدِهِ)** أىْ فَلْيُزِلْهُ بنفسِهِ **(فإنْ لم يَسْتَطِعْ)** إزالتَهُ بقوةِ يَدِهِ **(فَبِلِسَانِهِ)** أىْ فليَأْمُرْ فاعلَهُ بحكمةٍ أن يتركَهُ فإنْ لم يُطِعْهُ فليستعنْ بغيرِهِ فِى إزالتِه باليدِ أو باللسانِ وهذا الإنكارُ باليدِ أو باللسانِ واجبٌ على الكفايةِ إلا أن يَعْلَمَ أنَّ نهيَهُ باللسانِ لا يُؤَثِّرُ مع عجزِهِ عن التغييرِ بنفسِهِ أو بغيرِهِ فإنَّ النَّهْىَ يسقطُ عنه عند

ذلك على المعتمدِ لحديثِ أبِى داودَ والترمذيّ وابنِ ماجَهْ وغيرِهِمْ عن أبِى ثَعْلَبَةَ الخُشَنِىّ أنه قيل له كيف تقول فِى هذه الآيةِ ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ﴾ قال سَأَلْتَ عنها خبيرًا أمَا واللهِ لقد سألتُ عنها رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ بَلِ ائْتَمِرُوا بالمَعروفِ وانهَوْا عنِ المُنكرِ حتى إذا رأيتَ شُحًّا(١) مُطاعًا وهوًى مُتَّبَعًا ودُنيا مُؤْثَرَةً وإعجابَ كلِّ ذِى رَأْيٍ بِرأْيِهِ فعليكَ بنفسِكَ ودَعْ عَنكَ أمرَ العوامّ اهـ فمعنَى الآيةِ أنَّكُمْ إذا فَعَلْتُمْ ما كُلِّفْتُمْ به لا يَضُرُّكُمْ تقصيرُ غَيْرِكُمْ وإذا كان كذلك فَمِمَّا كُلِّفَ به الأمرُ بالمعروفِ والنَّهْىُ عنِ المُنكرِ فإذا فَعَلَهُ ولم يَمْتَثِلِ المُخَاطَبُ فلا عَتَبَ بعد ذلك فإنما عليه الأمرُ والنَّهْىُ لا القَبُولُ واللهُ أعلمُ ⊙

(**فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ**) هكذا فِى نسخة الأصل وفِى غيرِهَا مِنَ النُّسَخِ (**فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ**) وهو الموافقُ لِمَا فِى أيدينا مِنْ نُسَخِ صحيحِ مسلمٍ وللنسخةِ التِى شرح عليها الشيخُ (**فَبِقَلْبِهِ**) أىْ فلينكرْهُ بقلبِهِ وليس ذلكَ تغييرًا فِى الحقيقةِ ولكنه ما فِى وسعه (**وذلكَ أضعفُ الإيمانِ**) أىْ أقلُّهُ ثمرةً وفِى روايةٍ أخرى لِمُسْلِمٍ وليس وراءَ ذلك من الإيمانِ حبةُ خَرْدَلٍ اهـ أىْ لم يَبْقَ وراء ذلك مرتبةٌ أُخرى ⊙ والمرادُ بالإيمانِ هنا الإسلامُ ⊙

ثم إنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهْىَ عن المُنْكَرِ فرضُ كفايةٍ إذا قامَ به مَنْ يَكْفِى سقط عن الباقين وإذا تركَهُ الجميعُ أَثِمَ كلُّ مَنْ تَمَكَّنَ منه وتَرَكَهُ بلا عذرٍ وقد يَتَعَيَّنُ كما إذا كان المنكَرُ فِى موضعٍ لا يَعلم به إلا هو أو لا يَتَمَكَّنُ مِن إزالته إلا هو ⊙

قال العلماءُ ولا يُشترط فِى الآمر بالمعروف والناهِى عَنِ المنكر

---

(١) قوله (شُحًّا) قال فِى النهاية الشحُّ أشدُّ البخلِ اهـ الفقير.

أن يكون كاملَ الحالِ فاعلًا ما يأمرُ به مُجْتَنِبًا ما يَنْهَى عنه بل عليه الأمرُ وإنْ كانَ مُرْتَكِبًا خلافَ ما يَأْمُرُ به لأنه يجبُ عليه شيئانِ أنْ يأمرَ نفسَهُ وينهاها ويأمرَ غيرَهُ ويَنْهَاهُ فإذا أخلَّ بأَحَدِهِما لا يَسْقُطُ عنه الآخَرُ ⊙

قالوا ولا يختصُّ الأمرُ بالمعروف والنَّهْيُ عنِ المنكرِ بأصحابِ الوِلاياتِ بل ذلك ثابتٌ لآحادِ المسلمينَ ولكنْ إنما يأمرُ ويَنْهَى مَنْ كان عالمًا بما يأمُرُ به ويَنْهَى عنه فإنْ كان مِنَ الأمورِ الظاهرةِ مثلِ الصلاةِ والصَّوْمِ والزِّنَى وشربِ الخمرِ ونحوِ ذلك فكلُّ المسلمين علماءُ بها وإنْ كانَ مِنْ دقائقِ الأفعالِ والأقوالِ مِمَّا لا يعلمه إلَّا العلماءُ أو ما يتعلقُ بالاجتهادِ ولم يكنْ للعوامّ فيه مَدْخَلٌ فليس لَهُمْ إنكارُهُ بل ذلك لأهلِ العلمِ وهؤلاءِ إنما يُنْكِرُونَ ما أُجمع عليه أما المُخْتَلَفُ فيه فلا إنكارَ فيه إلا على مَنْ يفعلُهُ معتقِدًا تحريمَهُ لكنْ يُحَثُّ فاعلُ المُحَرَّمِ المختلَفِ فِى تحريمه على تَرْكِهِ على جهةِ النصيحةِ للخروجِ مِنَ الخلافِ وهو حسنٌ مندوبٌ إلى فِعْلِهِ برفقٍ ⊙

قال الشيخ مُحْيِى الدِّينِ رحمه الله واعلمْ أنَّ بابَ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عنِ المُنْكَرِ قد ضُيِّعَ أكثرُهُ مِنْ أزمانٍ متطاولةٍ ولم يبقَ منه فِى هذهِ الأزمانِ إلا رسومٌ قليلةٌ جدًّا وهو بابٌ عظيمٌ به قِوامُ الأمرِ(١) ومِلاكُهُ(٢) أىْ به تنتظمُ الأمورُ فإنَّ الخبَثَ إذا كَثُرَ عَمَّ البلاءُ الصالحَ والطالحَ وإذا لم يأخذُوا على يدِ الظالِمِ أَوْشَكَ أنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بعذابٍ ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فينبغِى لطالبِ الآخرةِ والسَّاعِى فِى تحصيل رِضَى اللهِ تعالى

---

(١) قوله (قِوام الأمر) بكسر القاف أىْ نظامه. الفقير.
(٢) قوله (ملاكه) بفتح الميم وكسره قوام الأمر. الفقير.

أن يعتنِيَ بهذا الباب فإنَّ نفعَهُ عظيمٌ لا سيَّما وقد ذهبَ معظمُهُ، ولا يَهَابَنَّ مَن ينكِرُ عليه لارتفاعِ مَرْتَبَتِهِ فإنَّ اللهَ تعالى قال ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ واعلمْ أنَّ الأجرَ على قَدْرِ النَّصَبِ، ولا يتركْهُ أيضًا لِصَدَاقَتِهِ ومَوَدَّتِهِ فإنَّ صديقَ الإنسانِ هُوَ الذِى يَسْعَى فِى عمارة ءَاخِرَتِهِ وإنْ أدَّى ذلك إلى نقصٍ فِى دُنْيَاهُ وعدوَّه مَنْ يَسعى فِى ذهابِ ءَاخِرَتِهِ أو نَقْصِهَا وإنْ حصلَ بسببِ ذلك نيلُ مأربٍ له فِى الدنيا اهـ قُلْتُ وكذا لا يتركْهُ لاعتقادِهِ فِى مَنْ يستحِقُّ الإنكارَ عليه عُلُوَّ المَرْتَبَةِ الدِّينِيَّةِ كولايةٍ وتُقًى وعِلْمٍ واسعٍ فإنَّ الأحكامَ الشرعيةَ تَجْرِى عليه أيضًا كما يُشيرُ إلى ذلك ما رواهُ البخاريُّ أنه عندما ذهبَتِ السيدةُ عائشةُ رضوانُ اللهِ عليها إلى معسكرِ المُناهِضِينَ لسيدِنَا عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قام الحسنُ بنُ عليٍّ وعمارُ بنُ ياسرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما على المنبر فِى الكوفةِ فكانَ الحَسَنُ فِى أعلى المنبر وعمارٌ أسفلَ مِنَ الحسنِ فقال عمارٌ إنَّ عائشةَ قد سارتْ إلى البصرةِ وَوَاللهِ إنَّها لزوجةُ نبيِّكُمْ ﷺ فِى الدُّنْيَا والآخرةِ ولكنَّ اللهَ ابتلاكُمْ لِيَعْلَمَ إيَّاهُ تُطيعُونَ أم هِيَ اهـ هذا مع أنَّ قَصْدَ السيدةِ عائشةَ بذهابِها ذاكَ لم يكنِ الدعوةَ إلى قِتَالٍ بل الإصلاحَ ولكنْ لَمَّا كانَ فيه مخالفةُ الأمرِ النبويِّ الشريفِ ومخالفةُ أمرِ الخليفةِ الواجبِ الطاعةِ لم يَسْكُتْ عمَّارٌ رَضِيَ اللهُ عنهُ عن ذلك ⊙ ومثْلُهُ ما حصلَ مِنْ سيدِنا عليٍّ حينَ سَمِعَ ابنَ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ يُفْتِى بجوازِ نِكَاحِ المُتعةِ قال له ألا كُفَّ عن هذا إنكَ رجلٌ تائهٌ اهـ رواهُ مسلمٌ ⊙ ومِنْ هنا قال الولِيُّ الكبيرُ والغِطْرِيفُ[١] الشهيرُ أبُو العَلَمَيْنِ السيدُ أحمدُ بنُ علِيٍّ الرفاعيُّ رَضِيَ اللهُ عنهُ سَلِّمْ لَهُم أىْ للأولياءِ أحوالَهُمْ إلا إذا رَدَّها الشرعُ فكُنْ مَعَهُ اهـ

(١) قوله (الغطريف) أى السيد الشريف. الفقير.

وينبغِى للآمرِ بالمعروفِ والنَّاهِى عنِ المُنكرِ أنْ يكونَ منه ذلك برفقٍ ليكونَ أقربَ إلى تحصيلِ المقصودِ وأدعَى للوصولِ إلى المُرادِ وإذا وقعتِ الكفايةُ بالنصيحةِ سِرًّا فلا يُعلِنْ بها فقد قال الإمامُ الشافعىُّ رحمه الله فِى ما رواه أبو نُعيم فِى الحِلْيَةِ مَنْ وَعَظَ أخاه سرًّا فقد نَصَحَهُ ومَنْ وَعَظَهُ علانيةً أىْ حيثُ لا يَنْبَغِى الإعلانُ فقد فَضَحَهُ وعَابَهُ اهـ ورَوَى أبو بكرٍ الخلَّالُ فِى كتابِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهْىِ عنِ المنكر عن سفيانَ الثورِىّ رحمه الله قال لا يأمرُ بالمعروفِ ولا ينهَى عنِ المنكر إلا مَنْ كانَ فيه ثلاثُ خصالٍ رفيقٌ بما يأمرُ رفيقٌ بما يَنْهَى عَدْلٌ بما يأمر عَدْلٌ بما يَنْهَى أىْ لا يجاوز الحقَّ فِى الأمرِ والنَّهْىِ عنه عالمٌ بما يَأمر عالمٌ بما يَنْهى اهـ ورَوَى عن أحمدَ قال الناسُ محتاجون إلى مداراةٍ ورفقٍ فِى الأمرِ بالمعروفِ بلا غِلْظَةٍ إلا رجلًا معلنًا بالفِسْقِ فلا حُرْمَةَ له قال وكان أصحابُ ابنِ مسعودٍ إذا مَرُّوا بقومٍ يَرَوْنَ منهم ما يكرهونَ يقولون مهلًا رحمكم اللهُ مهلًا رحمكم اللهُ اهـ ورَوَى عنه أنه قال يأمر بالرِّفْق والخضوعِ فإن أسمعوه ما يَكره لا يَغْضَبُ فيكونَ يريدُ أنْ ينتصرَ لنفسِهِ اهـ

ومِمَّا يَتَسَاهَلُ الناس فيه مِنْ هذا الباب ما إذا رَأَوْا إنسانًا يَبِيعُ متاعًا أو حيوانًا فيه عَيْبٌ ولا يُبَيِّنُهُ فلا يُنكرونَ ذلك ولا يُعَرِّفُونَ المُشترِىَ بعَيبِهِ وهم مَسْؤُولُونَ عن ذلك فإنَّ الدينَ النصيحةُ ومَنْ أتَى بخلافِها فقد غَشَّ ⊙

وليس للآمر بالمعروفِ والناهِى عَنِ المنكر البحثُ والتفتيشُ والتَّجَسُّسُ واقتحامُ الدُّورِ بالأوهامِ كما يفعلُ كثيرونَ مِمَّنْ يدَّعُونَ الحرصَ على الأمنِ فِى أيامنا بل إنْ عثرَ على منكرٍ غَيَّرَهُ ⊙ قال الماوردىُّ فِى الأحكام السلطانية ليس له أنْ يَقتحمَ ويتجسَّسَ إلا أنْ يُخبره مَنْ يَثِقُ بقوله أنَّ رجلًا خَلَا برجلٍ ليقتلَهُ أو بامرأةٍ لِيَزْنِىَ بها

فيجوزُ له فِى مثل هذه الحالِ أنْ يتجسَّسَ ويُقْدِمَ على البحثِ والكشفِ حذرًا مِنْ فَوَاتِ ما لا يستدرِكُهُ اهـ

وفِى الحديثِ دليلٌ عَلَى أنَّ مَنْ خافَ القتلَ والضربَ سقطَ عنه التغييرُ على التفصيل الذِى ذكرَهُ الفقهاءُ وأمَّا ما أخرجه أحمدُ وغيرُهُ عن النبىّ ﷺ أنه قال فِى خُطبةٍ ألا لا يَمْنَعَنَّ رجلًا هَيْبَةُ الناسِ أن يقولَ بحقٍّ إذا عَلِمَهُ فإنه لا يُقَرِّبُ من أجَلٍ ولا يباعِدُ من رِزْقٍ أنْ يَقُولَ بحقٍّ أو يُذَكِّرَ بعظيمٍ اهـ فهو محمولٌ على أن يكونَ المَانِعُ له مِنَ الإنكارِ مجردَ الهَيْبَةِ دونَ الخوفِ المُسْقِطِ للإنكارِ فإنَّ تَرْكَ الإنكارِ عندئذٍ مُوجِبٌ لعمومِ العقوبةِ كما روَى أبو داودَ عن أبِى بكرٍ الصديقِ رَضِىَ اللهُ عنهُ عن النبىِّ ﷺ قال ما مِنْ قوم يُعْمَلُ فيهم بالمعاصِى ثم يَقْدِرُونَ على أنْ يُغَيِّرُوا فلا يُغَيِّرُونَ إلا يُوشِكُ اللهُ أن يَعُمَّهُمْ بعقابِهِ اهـ وأما عند الخوفِ فينطبقُ ما رواهُ عبدُ الرزاق فِى مصنفِهِ عن طاووسٍ قال أتَى رجلٌ ابنَ عباسٍ فقال ألا أقومُ إلى هذا السلطانِ فمُرَهُ وأنهاهُ قال لا تَكُنْ لكَ فِتْنَةً قالَ أفرأيتَ إنْ أَمَرَنِى بمعصيةِ اللهِ قال ذاكَ الذِى تريدُ فكُنْ حينئذٍ رجلًا اهـ

نعم إنِ احتملَ الأذَى وقَوِىَ عليه فأمرَ ونَهَى السُّلطانَ الجائِرَ فهو أفضلُ كما روَى أبو داودَ والترمذىُّ وابنُ ماجَهْ مرفوعًا أفضلُ الجهادِ كلمةُ حقٍّ عند سلطانٍ جائرٍ اهـ وأما إنْ لَمْ يَقْوَ على ذلك أو عَلِمَ أنَّ أَمْرَهُ ونَهْيَهُ يجرُّ على غيرِهِ مِنَ المسلمين اصطلامًا أىِ استِئصالًا أو ضررًا ءَاخَرَ أعظَمَ مِمَّا يَنْهَى عنه فإنه عندئذٍ يقتصرُ على الكراهيةِ بالقَلْبِ كما رَوَى الترمذىُّ وغيرُهُ أنَّ النَّبِىَّ ﷺ قال ليس للمؤمنِ أنْ يُذِلَّ نفسَهُ قيلَ وما يُذِلَّ نفسَهُ يا رسولَ اللهِ قال يَتَعَرَّضُ لِمَا لا يُطيقُ مِنَ البلاءِ اهـ

تنبيهٌ. ما تقدَّمَ من أنه لا يُنكَرُ المُنْكَرُ المُختَلَفُ فيه بين الأئمةِ له شروطٌ منها أنْ لا يُتَّخَذَ الخلافُ سبيلًا للوُقُوعِ فِى المُحَرَّماتِ كدعوَى الأخذِ بقولِ مَن أجاز التداوِىَ بما دخلَهُ خمرٌ منَ الدواء إن لم يُوجَدْ غيرُهُ للتَّوَصُّلِ إلى السُّكْرِ وأنْ لا يكونَ الخِلافُ ضَعِيفًا مخالفًا للإجماعِ أو للحديثِ الثابتِ المجمَعِ على الاحتجاجِ بمثلِهِ كرَدِّ الزوجةِ المُطَلَّقَةِ ثلاثًا على الزوجِ بزواجِها من ءاخَرَ ثم طلاقِها منه مِن غيرِ أن يَدْخُلَ بها إن لم يقصِدْ بذلك إحلالَها للأول ⊙ ونقل أبو العباس الرمليُّ عن العِزِّ بنِ عبدِ السَّلامِ قولَهُ مَنْ أتَى شيئًا مختلَفًا فِى تحريمِهِ معتقِدًا تحريمَهُ وجبَ الإنكارُ عليه وإنِ اعتقدَ تحليلَهُ لمْ يجبِ الإنكارُ عليه إلَّا أنْ يكونَ مأخَذُ المُحَلِّلِ ضعيفًا تنتقضُ الأحكامُ بمثلِهِ لبُطلانِهِ فِى الشَّرْعِ اهـ قلتُ قد قالوا هذا فِى مذهبٍ ضعيفٍ لمجتهدٍ فكيفَ إذا كانَ الخلافُ مِنْ غيرِ مجتهدٍ فَبِالأَوْلَى أَنَّهُ لا يُلتَفَتُ إليه ولا يجوزُ العملُ به وذلك كالقولِ بِحِلِّ المعازِفِ تَبَعًا لابنِ حزمٍ فإنه لم يكنْ مجتهدًا وخَرَقَ الإجماعَ فِى مسائلَ مِنَ الأصولِ والفروعِ وكانَ قد زَعَمَ انقطاعَ حديثِ البخاريّ المَرْوِيِّ فِيها فردَّ الحُفاظُ ذلك عليه وبيَّنُوا اتِّصالَهُ ولا يُفيدُهُ ما رُوِىَ عن بعضِ السَّلَفِ مِنِ اعتقادِهِمْ جوازَ الاستماعِ إلى المَعَازِفِ لأنهم إنَّمَا ذَهَبُوا إلى ذلك لعدمِ علمِهِمْ بالحديثِ فضلًا عن كونِهِمْ غيرَ مجتهدينَ فلم يَجُزْ تقليدُهُمْ فيه اهـ أفادَهُ شيخُنا العبدرىُّ رحمه اللهُ ⊙

فائدةٌ. البواعثُ التِى تَبْعَثُ أهلَ الفضلِ على الأمرِ بالمعروفِ والنَّهْىِ عنِ المنكرِ عديدةٌ منها رجاءُ ثوابِ اللهِ تعالى ومنها خوفُ العقابِ فِى التركِ ومنها الغضبُ للهِ لأجلِ انتهاكِ محارمِهِ ومنها النَّصِيحةُ للمُؤْمِنِينَ والرحمةُ لهم ورجاءُ إنقاذِهِمْ مِمَّا أوقعُوا فيه أنفسَهم من التعرُّضِ لعقوبةِ اللهِ وغضبِهِ ومنها إجلالُ اللهِ تعالى

وتعظيمُهُ وشدةُ محبَّتِهِ وأنه أهلٌ أن يُطاعَ فلا يُعصَى وأنْ يُشْكَرَ فلا يُكفَرُ فيقومُ القائمُ فِى منعِ انتهاكِ محارمِهِ ما لا يُبَالِى معه بهلاكِ نفسٍ أو مالٍ كما قال عبدُ الملِكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ لوالدِهِ ودِدْتُ أنِّى غَلَتْ بِى وبكَ القُدُورُ فِى اللهِ تعالى اهـ ومن لَـحِظَ هذا المَقامَ والذِى قبلَهُ هانَ عليه ما يَلْقَى مِنَ الأذَى فِى اللهِ تعالى ورُبَّما دعَا لِمَنْ ءَاذَاهُ كما فعلَ بعضُ الأنبياءِ عندما ضَرَبَهُ قَوْمُهُ وءَاذَوْهُ فجعلَ يمسحُ الدَّمَ عن وجهِهِ ويقولُ ربِّ اغفِرْ لِقَوْمِى أىْ بإدخالِهِمْ فِى الإسلامِ فإنهم لا يَعلمون اهـ وعلى هذا القدمِ كان شيخِى عبدُ الله بن محمد الهررىُّ رحمه اللهُ تعالى فقد أخبرنِى رجلٌ مِن أهلِ الصِّدْقِ أنه كان فِى شبابِهِ فِى أثناءِ الحربِ الأهليةِ فِى لبنانَ على حالٍ لا تُعجِبُ منضويًا تحت بعضِ الأحزابِ الفاسدةِ مسلَّحًا برشّاشٍ فمرَّ به شيخُنا رحمه اللهُ فسلَّمَ عليه فدفعَه تعدِّيًا وتجبُّرًا فألقاهُ أرضًا فقام مِنَ الأرضِ ولم يغضَبْ بل رفعَ يديه ودعَا له بالـحِفْظِ ومنعَ طالبًا كان معه أنْ ينتصِرَ له قالَ وكان معِى شابٌّ ءَاخَرُ فبعد وقتٍ غيرِ طويلٍ نزلَتْ علينا القنابلُ وانفجرَتْ فقُتِلَ صاحبِى ولم أُصَبْ بأذًى قال وقد صِرْتُ مِن مُريديه بعد سنينَ وسألتُه إن كان يذكرُنِى فأجابَ بنعم وذكَّرَنِى بمكانِ حصولِ الحادثةِ وقدِ استسمحتُهُ مِمَّا فعلتُ اهـ

وحديثُ المَتْنِ (**رواه مسلمٌ**) وأصحابُ السُّنَنِ وغيرُهُمْ ⊙

واللهُ أعلمُ ⊙

(الحديثُ الخامسُ والثلاثونَ)

(عن أبِى هريرةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ) وقد تقدَّمَ بعضُ ترجمتِه **(قالَ قالَ رسولُ الله ﷺ لا تَحَاسَدوا)** أى لا تَتَحاسدوا ⊙ وقد جعلَ اللهُ تعالى مركوزًا فِى طبائعِ البَشَرِ من حيثُ الجملةُ أنَّ الإنسانَ يَكْرَهُ أن يفوقَهُ أحدٌ مِنْ جنسِهِ فِى شَىْء مِنَ الفضائلِ ثم يتفاوتُ الناسُ بعد ذلك فمنهم مَنْ يَسْعَى فِى تحصيلِ ما عندَ الغَيْرِ من دونِ أنْ يَتَمَنَّى زوالَهُ عن هذا الغيرِ أو يسعَى فِى زوالِهِ ومنهم مَنْ يَسْعَى فِى تحصيلِهِ مع تمنِّى زوالِهِ عن غيرِهِ لكنْ بلا سَعْيٍ لذلكَ ومنهم مَنْ يَسْعَى فِى تحصيلِهِ وفِى زوالِهِ عن غيرِهِ ومنهم مَنْ يَسْعَى فِى زوالِهِ عن غيرِهِ ولا يَسْعَى فِى تحصيلِهِ والمُحَرَّمُ مِنْ ذلك بالإجماعِ وهو المُرادُ بالحَسَدِ المَنْهِيّ عنه فِى الحديثِ هو كراهيةُ النعمةِ للغَيْرِ واستثقالُهَا والسَّعْىُ فِى زوالِهَا عنه وهو ذنبُ إبليسَ حيثُ حَسَدَ ءَادَمَ عليهِ السلامُ لَمَّا رأى أنَّ اللهَ تعالى أسْجَدَ له الملائكةَ وعلَّمَهُ أسماءَ كُلِّ شَىْء وأسكنَهُ الجنَّةَ فما زالَ يَسْعَى فِى إخراجِهِ منَ الجنةِ حتى بَلَغَ ذلك، وهو ذنبُ اليهودِ الذِى ذكرَهُ اللهُ تعالى بقولِهِ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ ⊙ قالَ الغزالِىُّ وغيرُهُ إنَّ لك فِى مَن تكرَهُ ثلاثةَ أحوالٍ أحدُها أن تحبَّ مَساءَتهم أىْ ما يسوءُهُم بطبعِكَ وتكرَهَ حُبَّكَ لذلكَ وميلَ قلبِكَ إليهِ بعقلِكَ وتمقُتَ نفسَكَ عليه وتودَّ لو كانتْ لكَ حيلةٌ فِى إزالةِ ذلك المَيْلِ منكَ وهذا معفُوٌّ عنه قطعًا لأنه لا يدخلُ تحتَ الاختيارِ، والثانِى أن تحبَّ ذلك وتُظهِرَ الفرحَ بمساءَتِهِ إما بلسانِكَ أو بجوارحِكَ فهذا هو الحسدُ المحظورُ قطعًا، الثالثُ وهو بين الطرفينِ

أن تحسُدَ بالقلبِ مِن غيرِ مَقْتٍ لنفسِكَ على حسدِكَ ومِن غيرِ إنكارٍ منك على قَلْبِكَ ولكنْ تحفظُ جوارحَكَ عن طاعةِ الحسدِ فِى مقتضاهُ وهذا محلُّ خلافٍ والظاهرُ أنه لا يخلو عن إثمٍ يقوَى ويضعُفُ بقدرِ قُوَّةِ ذلك وضعفِهِ اهـ وإلى مثلِ هذا ذهبَ التَّقِىُّ السُّبكِىُّ وغيرُهُ اهـ فليس المرادُ بالحسدِ مجرَّدَ خطورِ كراهيةِ النعمةِ للغيرِ بالبالِ مع دفعِ ذلك وردِّهِ فإنَّه لا إثمَ فِيهِ ولا يُؤَاخَذُ الإنسانُ به كما تقدَّمَتِ الإشارةُ إليه ⊙

وأما الغِبْطَةُ وهِىَ تَمَنِّى حالِ المَغبوطِ مِنْ غيرِ أن يتمنَّى زَوَالَهَا عنه فليستْ حرامًا فإنْ كانَ ما يَتَمَنَّاهُ نِعْمَةً دنيويةً فلا خَيْرَ فِى شَغْلِ نفسِهِ بذلك وإنْ كانَ نعمةً دينيةً فهو حَسَنٌ كما يدلُّ عليه حديثُ الشيخينِ لا حَسَدَ إلا فِى اثنتينِ رجلٌ ءَاتَاهُ اللهُ مالًا فهو يُنْفِقُهُ ءَانَاءَ الليلِ وءَانَاءَ النهار ورجلٌ ءَاتَاهُ اللهُ القُرْءَانَ فهو يقومُ به ءَانَاءَ الليلِ وءَانَاءَ النَّهَارِ اهـ والمُرَادُ بالحَسَدِ هنا الغِبطةُ وسماهُ حَسَدًا مِن بابِ الاستعارةِ ⊙

ومَنْشَأُ داءِ الحَسَدِ متعدِّدٌ فمِنْهُ العداوةُ والبغضاءُ كما فِى كثيرٍ مِنَ السُّفهاء ⊙ ومِنْهُ حُبُّ التَّنَعُّمِ والتَّوَسُّعِ فِى المال كما فِى كثيرٍ مِنَ الأغنياء ⊙ ومِنْهُ حبُّ الرئاسةِ كما فِى كثيرٍ مِنَ السلاطينِ والأمراءِ والعلماءِ والمشايخِ ⊙ وعلاجُهُ شُهُودُ أنَّ كُلَّ ما يُعطاه الإنسانُ هو مِنَ اللهِ تعالى وأنه ينبغِى له أنْ يعملَ بما أعطاه اللهُ لينالَ رضاه وأنْ يتذكرَ مضارَّ الحَسَدِ مِنْ سخطِ اللهِ تعالى والهَمِّ اللَّازِمِ والغَمِّ الدائمِ

دَعِ الحسودَ وما يلقاهُ مِنْ كَمَدِهْ كفاكَ منهُ لَهِيبُ النَّارِ فِى كَبِدِهْ

ومِنَ النَّاسِ قومٌ صَفَتْ قلوبُهُمْ ورَقَّتْ طِبَاعُهُمْ إذا وَجَدَ أحدُهُمْ فِى قلبِهِ خواطرَ الحَسَدِ لِمُسْلِمٍ سَعَى فِى إزالتِها وفِى الإحسانِ إلى ذلك

المُسلِمِ والدعاءِ له ونَشْرِ فضائلِهِ حتى يُبْدَلَ بهذه الخواطرِ محبةَ أنْ يكونَ المسلمُ خيرًا منه وأفضلَ وهذا مِنْ أعلى درجاتِ الفضلِ وصاحبُ هذا الحالِ هو المؤمنُ الكاملُ الذِى يحبُّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِهِ ⊙

قال ﷺ **(ولا تَنَاجَشُوا)** أى لا تَتَنَاجَشُوا وأصلُ النَّجْشِ الخَتْلُ وهو الخداعُ ويَحتملُ أن يكون المُرَادُ هنا إثارةَ بعضِهِمْ بعضًا بالخِدَاع للفتنةِ أو رفعَ ثَمَنِ المعروضِ للبيعِ وهو غيرُ راغبٍ فيه وإنما يفعلُ ليخدعَ غيرَهُ وبهذا الثانِى فسَّرَهُ كثيرٌ من العلماءِ وأجمعُوا على أنَّ فاعلَهُ عاصٍ للهِ تعالى إذا كان عالِمًا بالنَّهْىِ كما قال ابنُ عبدِ البَرِّ وقال جمهورُهُمْ بصحةِ البيعِ معَ ذلك ⊙

(ولا تَبَاغَضُوا) أى لا تَتَبَاغضوا أىْ لا يُبْغِضْ بعضُكُمْ بعضًا أىْ لا تَتَعاطَوْا أسبابَ التباغُضِ لأنَّ الحُبَّ والبُغْضَ معانٍ قلبيةٌ لا قُدْرَةَ للإنسانِ على اكتسابِها ولا يملكُ التصرُّفَ فيها كما قالَ النَّبِىُّ ﷺ اللهمّ هذا قَسْمِى فيما أَمْلِكُ فلا تُؤَاخِذْنِى فيما تَمْلِكُ ولا أَمْلِكُ اهـ وقد حرَّمَ اللهُ على المُؤمنينَ السَّعْىَ فِى إيقاعِ التباغضِ والعداوةِ بينهم وامتَنَّ عليهم بالتأليفِ بَيْنَ قلوبِهِم فقال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ وقال تعالى ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾، وفِى حديثِ مسلم مرفوعًا والذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ولا تُؤْمِنُوا حتى تَحَابُّوا ألا أدلُّكُمْ على شَىْءٍ إذا فعلتموه تحابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ اهـ ولِهَذا المَعْنَى حَرُمَ المَشْىُ بالنَّميمةِ ⊙

هذا كلُّهُ فِى التباغضِ على الدنيا وأمَّا البُغْضُ فِى اللهِ فهو مَمْدوحٌ

مطلوبٌ كالحُبِّ فِى اللهِ ومثالُهُ بُغْضُ الشيطانِ والكَفَرَةِ والمَعَاصِى وفِى حديثِ أبِى داودَ وغيرِهِ مَنْ أحَبَّ للهِ وأبْغَضَ للهِ وأَعْطَى لله ومَنَعَ لله فقدِ اسْتَكْمَلَ إيمانَهُ اهـ

هذا ولكنْ قد يَظُنُّ الشخصُ أنه يُبغِضُ فِى اللهِ أو يزعُمُ ذلكَ وهو إنَّمَا يُبغِضُ حَسَدًا أو لِمُخالفةِ ما أَلِفَهُ أوِ اعتادَهُ أو لِمُخالفةِ إنسانٍ ما قاله شيخُهُ أو متبوعُهُ الذِى يُخطِئُ ويُصيبُ فِى ما لا تضُرُّ المخالفةُ فيه فيشوبُ انتصارَهُ لِمَا يظنُّهُ الحقَّ إرادةُ عُلُوِّ متبوعِهِ وظهورِ كَلِمَتِهِ وأنه لا يُنْسَبُ إلى الـخَطَإِ وهذه دَسِيسَةٌ تقدحُ فِى قصدِ الانتصارِ للحقِّ وتَقْدَحُ فِى كونِ هذا البُغْضِ للهِ تعالى فَعَلَى المؤمنِ أنْ ينصَحَ لِنَفْسِهِ ويَتَحَرَّزَ مِن هذا غايةَ التَّحَرُّزِ فكمْ زَلِقَتْ أرْجُلٌ بسببِ هذا فِى الشَّرِّ فمهما أشْكَلَ عليه أمرٌ مِنْ ذلك لم يَدْخُلْ فيه خشيةَ أن يقعَ فيما نُهِىَ عنه أعاذنا اللهُ مِن ذلك ⊙

(**ولا تدابَروا**) أىْ لا تتدابروا والتدابرُ أن يُعْطِىَ شخصانِ كلٌّ منهما للآخر دُبُرَهُ والمرادُ هنا لا يُعْرِضْ بعضُكُم عن بعضٍ ولا تَتَقاطعوا قال أبو عُبيدٍ التَّدَابُرُ المُصارَمَةُ والهُجْرانُ مأخوذٌ مِنْ توليةِ الرجلِ صاحبَهُ دُبُرَهُ وإعراضِهِ عنه بوجهِهِ اهـ وفِى حديثِ الصحيحينِ مرفوعًا لا يَـحِلُّ لِمُسلِمٍ أن يهجرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ يلتقيانِ فَيَصُدُّ هذا ويَصُدُّ هذا وخيرُهُما الَّذِى يبدأ بالسلامِ اهـ

والإثمُ فِى الهَجرِ يحصلُ إذا كان التَّقَاطُعُ لأمرٍ دُنْيَوِيٍّ وأمَّا لأجلِ الدِّينِ وحيثُ يُوافقُ أحكامَه فلا إثمَ وتجوزُ الزيادةُ على الثلاثِ كَمَا نَصُّوا عليه واسْتَدَلُّوا بقصةِ الثلاثةِ الذِينَ خُلِّفُوا عن غزوةِ تبوكَ ⊙

(**ولا يَبِعْ بعضُكم على بَيْعِ بَعْضٍ**) أى لا يَقُلْ لِمَنِ اشْتَرَى سلعةً فِى مدةِ الخِيَار افسخْ هذا البيعَ وأنا أَبيعُك مثلَهُ بأرخصَ أو أبيعُكَ أجودَ

منه بثمنِهِ كما ثبتَ فِى الصحيحينِ مرفوعًا لا يَبيعُ المؤمنُ على بيعِ أخيه ولا يَخطُبُ على خِطْبَةِ أخيهِ إلا بإذنٍ منه اهـ وحرمةُ هذا الفعلِ لِمَا فيه مِنَ الإيذاءِ المُقْتَضِى للعداوةِ والبغضاءِ، ومثلُهُ السَّوْمُ على سَوْمِ أخيه كما فِى صحيح مسلم مرفوعًا لا يَسُمِ المُسْلِمُ على سَوْمِ أخيه اهـ وهو أنْ يسكنَ كلٌّ مِن مُرِيدِ الشراءِ ومريدِ البيعِ إلى الآخَرِ ويستقِرَّ الثَّمَنُ بينهما فيَعْرِضَ ثالثٌ على مُرِيدِ الشراءِ أن يَبِيعَهُ بأرخصَ مِمَّا يَعْرِضُهُ البائعُ أو على البائعِ أنْ يَشْتَرِىَ منه بِأَغْلَى مِمَّا يَعْرِضُهُ المُشْتَرِى بعد المساومةِ ⊙

(**وكُونُوا عبادَ اللهِ**) أى عَبِيدَهُ (**إخوانًا**) فكلُّكُمْ عبادُ اللهِ ومِلَّتُكُمْ واحدةٌ فِى سبيلِ اللهِ والتحاسدُ والتباغُضُ والتدابُرُ خِصالٌ منافيةٌ لِمَا يَقتضيه اتفاقُ عَقَائِدِكُمْ فتعامَلُوا وتعاشروا معاملةَ الإخوةِ ومعاشرتَهُمْ فِى المَوَدَّةِ والرِّفْقِ والشفقةِ والمُلَاطَفَةِ والتعاونِ فِى الخير مع صفاءِ القلوب والنصيحة بكلِّ حالٍ فكأنَّ النبىَّ ﷺ يقولُ إنهم إذا تركُوا التحاسدَ والتناجشَ والتباغضَ والتدابرَ وبيعَ بعضِهِمْ على بعضٍ كانُوا إخوانًا ففيه توجيهٌ نَبَوِىٌّ إلى اكتسابِ نحوِ ما تقدَّمَ مِمَّا يُعينُ على التآخِى فِى اللهِ كالبَدْءِ بالسلامِ والضَّحِكِ والمصافحةِ عند اللقاءِ وردِّ السلامِ وتشميتِ العاطسِ وعيادةِ المريضِ وتشييعِ الجنازةِ وإجابةِ الدَّعوةِ والنُّصْحِ بالغَيْبِ والتَّهَادِى وإيصالِ النفعِ إليه ونُصرتِهِ وكفِّ الضَّرَرِ عنه والامتناعِ عن ظُلمِهِ وخِذْلانِهِ وعنِ الكذبِ عليه واحتقارِهِ كَمَا سيأتِى بعضُ ذلك قريبًا ⊙

(**المُسلمُ أخو المُسلم**) أىْ مَثِيلُهُ فِى العقيدةِ وهى رابطةٌ أعظمُ مِنَ الأُخُوَّةِ النَّسَبِيَّةِ ويشيرُ إليه عدمُ التوارثِ عندَ فَقْدِ الأُخُوَّةِ الدينيةِ فيحصُلُ الإرثُ عندئذٍ لبيتِ مالِ المسلمينَ دونَ القريبِ الكافرِ (**لا يَظْلِمُهُ**) فلا يُدْخِلُ عليه ضَرَرًا فِى نفسِهِ أو دينِهِ أو مالِهِ (**ولا يخذُلُهُ**)

أىْ لا يَتْرُكُ إعانتَهُ ونُصْرَتَهُ عندَ الاستطاعةِ إلا لعذرٍ شرعيٍّ كما صحَّ فِى الحديث انْصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا قال يا رسولَ اللهِ أَنْصُرُهُ مظلومًا فكيف أنصرُهُ ظالِمًا قال تمنعُهُ منَ الظُّلْمِ فذلكَ نَصْرُكَ إِيَّاه اهـ وعند أبِى داودَ ما مِنِ امْرِئٍ مسلمٍ يخذُلُ امْرَأً مسلمًا فِى موضعٍ تُنْتَهَكُ فيه حُرْمَتُهُ ويُنْتَقَصُ فيه من عِرضِهِ إلا خَذَلَهُ اللهُ فِى موضعٍ يحبُّ نصرتَهُ اهـ (**ولا يَحْقِرُهُ**) أىْ لا يتكبرُ عليه ولا يستصغرُهُ ولا يسخرُ منه إذا رأَى فيه عيبًا أو رَءَاهُ فقيرَ الحالِ كسيرَ البالِ وفِى روايةٍ ولا يَحْتَقِره اهـ وصحَّ عند مسلم عَنِ النَّبِىِّ ﷺ لا يدخلُ الجنةَ مَنْ فِى قلبِهِ مثقالُ ذرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ اهـ أىْ لا يدخلُها بدونِ عذابٍ مع الأولينَ وكذا صحَّ عنده مرفوعًا مَنْ قالَ هَلَكَ الناسُ فهو أهلكُهُمْ اهـ

نَعَمْ يُفْهَمُ مِنَ الحديثِ أنه لا يحرُمُ أن يَحْقِرَ مَنْ لم يكنْ مسلمًا وهو كذلك كما قال تعالى ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ ⊙

(**التَّقْوَى هٰهُنا ويُشِيرُ**) ﷺ (**إلى صَدْرِهِ ثلاثَ مِرارٍ**) اهتمامًا بشأنِ ما يقولُ واعتناءً بِبَيَانِهِ والأقربُ أَنَّ الإشارةَ تكرَّرَتْ ثلاثًا ويحتمل أن يكون قولُه ﷺ التقوى هٰهُنا تكرَّرَ ثلاثًا ويحتمل أن يكونَ كلٌّ مِنَ القولِ والفعلِ تكرَّرَ ثلاثًا ⊙

وهذا استئنافٌ يُبَيِّنُ أَنَّ التقوَى أمرٌ باطنىٌّ معَ العلم أَنَّ أَكْرَمَ المسلمينَ عندَ اللهِ أَتْقَاهُمْ فَرُبَّمَا رَأَى الشَّخْصُ ذا عاهةٍ فِى بدنِهِ أو لُثْغَةٍ فِى لسانِهِ أو عَوَرٍ فِى عينِهِ أو لَحْنٍ فِى منطقِهِ أو ضَعْفٍ فِى حِفْظِهِ أو نحوِ ذلك فلا ينظرْ إليه بِعَيْنِ التَّنقيصِ ولعَلَّهُ أخلصُ ضميرًا وأَتْقَى باطنًا وأَنْقَى سرًّا إذْ إنَّ أصلَ التقوى مِنَ القلبِ لأَنَّ أداءَ الأوامرِ واجتنابَ المَنَاهِى مَنْشَؤُهُما مِنْ خَوْفِ اللهِ ومراقبتِهِ وهما أمرانِ قلبِيَّانِ وبهذا يُفْهَمُ حديثُ مسلمٍ إنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى أجسادِكُمْ ولا إلى

صُوَرِكُمْ ولكن ينظرُ إلى قلوبِكُمْ اهـ وفِى روايةٍ إلى قلوبكم وأعمالكم اهـ أىْ أنَّ الاعتبارَ ليس بالصورة والجِسم بل بالقلب مع العملِ الموافقِ للشرع فالتَّقْوَى لا تحصلُ بمجردِ الأعمالِ الظاهرةِ بل بما يقع فِى القلب أيضًا مِنْ تعظيمِ اللهِ وخشيتِهِ ومراقبتِهِ وقصدِ مرضاتِهِ وإذا كان أصلُ التقوَى فِى القلبِ ولا يَطَّلِعُ عليه إلا اللهُ تعالى فحينئذٍ قد يكونُ كثيرٌ مِمَّنْ له غِنًى أو جاهٌ أو رئاسةٌ فِى الدنيا قلبُهُ خَرَابٌ مِنَ التَّقْوَى ويكونُ مَنْ ليسَ له شَىْءٌ مِنْ ذلك قلبُهُ مَمْلُوءًا بالتقوَى فيكون أكرمَ على اللهِ بل هذا هو الأكثرُ وقوعًا كما فِى الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قال ألا أخبرُكُمْ بأهلِ الجنةِ كلُّ ضعيفٍ مستضعَفٍ لو أقسمَ على اللهِ لَأَبَرَّهُ ألا أخبرُكُم بأهلِ النارِ كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستكبِرٍ اهـ وفِى صحيحِ البخارىِّ عن سهلِ بنِ سعدٍ قال مرَّ رجلٌ على رسولِ اللهِ ﷺ فقال لرجلٍ عندَهُ جالسٍ ما رأيُكَ فِى هذا فقال رجلٌ من أشرافِ الناسِ هذا واللهِ حَرِىٌّ إنْ خَطَبَ أنْ يُنكَحَ وإنْ شَفَعَ أنْ يُشَفَّعَ وإنْ قالَ أن يُسْمَعَ لقَوْلِهِ فسكتَ النبىُّ ﷺ ثم مرَّ رجلٌ ءَاخَرُ فقال رسولُ الله ﷺ ما رأيُكَ فِى هذا فقال يا رسولَ اللهِ هذا رجلٌ مِنْ فقراءِ المُسلمينَ هذا حَرِىٌّ إنْ خَطَبَ أن لا يُنْكَحَ وإنْ شَفَعَ أنْ لا يُشَفَّعَ وإنْ قال أنْ لا يُسْمَعَ لقولِهِ فقال رسولُ اللهِ ﷺ هذا خيرٌ مِنْ مِلْءِ الأرضِ مثلَ هذا اهـ

(**بِحَسْبِ امرئٍ**) أىْ يَكْفِيهِ (**مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحقِرَ أخاه المُسْلِمَ**) حذَّرَ صلَّى اللهُ من ذلك لتأكيدِ حرمةِ الإسلامِ عند الله وحُرْمَةِ مَنِ اتَّصَفَ به والتحذيرِ مِن هذه المعصيةِ فإنَّ الله تعالى لم يَحْقِرِ المسلمَ إذْ خلقَهُ ورزقَهُ وأحسنَ تقويمَ خَلْقِهِ وسَخَّرَ مَا فِى السموات وما فِى الأرض لأجلِهِ وإنْ كان غيرُهُ يشاركه فِى ذلك فلَهُ منه حصَّتُهُ وسماه الله مسلمًا ومؤمنًا وبلغَ مِنْ أمرِهِ إلى أنْ أرسلَ إليه محمدًا ﷺ هاديًا

ومُبَلِّغًا فكيفَ يَحْقِرُ بعد ذلك مسلمًا مِنَ المسلمين وأما ما يَنْقِمُهُ العاقلُ مِنَ الجاهلِ والعَدْلُ مِنَ الفاسقِ فليس ذلك احتقارًا يُنزِلُه به دون منزلتِه ويَهتِكُ بسببِه حرمتَهُ بل هو نفورُ قلبٍ لِمَا اتَّصَفَ به مِنْ جَهْلٍ أو فِسْقٍ أو بدعةٍ فمتى فارقَ ذلك راجَعَهُ إلى الاحتفالِ به ورَفْعِ قدرِهِ ⊙ ومِنِ احْتقارِهِ أن لا يُسَلِّمَ عليه إذا مَرَّ به استصغارًا لشأنِهِ وأن لا يَرُدَّ عليه السلامَ إذا بَدَأَهُ وأنْ يَرَاهُ دونَ أنْ يدخلَهُ اللهُ الجنة أو يعيذَهُ مِنَ النَّارِ ⊙

(كلُّ المسلِمِ على المسلم حرامٌ) ثم فسَّرَ المرادَ مِن لفظةِ كلّ فقال ﷺ **(دمُهُ)** أىْ إراقتُهُ **(ومالُهُ)** أىْ أخذُهُ **(وعِرضُهُ)** أىْ هَتْكُهُ إلا حيثُ أباحَ اللهُ ذلك ⊙ واقتصرَ عليه الصلاةُ والسَّلامُ على هذه الثلاثةِ لأنَّ ما سِواها فَرْعٌ عنها ⊙ وقد رَوَى أبو الشيخ فِى التوبيخِ والتنبيهِ والآجُرّىُّ فِى أخبار عمر بن عبد العزيز أنَّ مُحَمَّدَ بنَ كَعْبٍ القُرَظِىَّ قال لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رَضِىَ اللهُ عنهُ اجعلْ كبيرَ المُسلمينَ عندَكَ أبًا وصغيرَهُمْ ابْنًا وأوسطَهُمْ أخًا اهـ أىْ فأىُّ أولئكَ تُحِبُّ أن تُسِىءَ إليه ⊙

والحديثُ **(رواه مسلمٌ)** والبخارىُّ ومالكٌ وأبُو داودَ والترمذىُّ ⊙

والله تعالى أعلم ⊙

(الحديثُ السادسُ والثلاثونَ)

هذا حديثٌ عظيمٌ جامعٌ لأنواعٍ مِنَ الآدابِ والعلومِ والقواعدِ ⊙

(عن أبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ عنِ النَّبِىِّ ﷺ قالَ مَنْ نَفَّسَ) أىْ أزال **(عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً)** وهِىَ فِى أصلِ اللُّغَةِ ما يأخُذُ النَّفْسَ مِنَ الغَمّ **(مِنْ كُرَبِ الدنيا)** أىْ مَنْ أزالَ عنِ المؤمنِ همًّا واحدًا مِنْ همومها

صغيرًا كانَ أو كبيرًا (**نَفَّسَ اللهُ**) أيْ خفَّفَ (**عنه كُرْبَةً**) وهِيَ الشِّدَّةُ العظيمةُ التِى توقِعُ صاحبَها فِى الكَرْبِ (**مِنْ كُرَبِ يوم القيامةِ**) الكثيرةِ ولم يَذْكُرْ كُرَبَ الدُّنيا لأنه ليس كلُّ أحدٍ يقعُ فِى الكُرَبِ فيها ولأنه لا نسبةَ لكُرَبِ الدنيا إلى كُرَبِ الآخرةِ حتى تُذْكَرَ معها وأينَ كُرَبُ الدنيا مِنْ قِيَام الناسِ فِى عَرَقِهِمْ يومَ القيامةِ ⊙ وأينَ أهوالُهَا مِنَ العُنُقِ الذِى يُجَرُّ مِنْ جَهَنَّمَ أيِ القِطْعَةُ مِنَ النَّارِ التِى تكونُ عَلَى هَيْئَةِ الرَّقَبَةِ الطَّوِيلَةِ فيُبْرَزُ لَهُمْ ويُنْطِقُه اللهُ ويقولُ إِنِّى وُكِّلْتُ بثلاثةٍ بكُلِّ جبَّارٍ عنيدٍ وكُلِّ مَنْ دعا معَ اللهِ إِلهًا ءَاخَرَ وبالمُصَوِّرين اهـ

(**ومَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ**) وهو مَنْ كَرَبَهُ الدَّيْنُ وتَعَسَّرَ عليه قضاؤُهُ (**يَسَّرَ اللهُ عليه**) أمورَهُ ومَطَالِبَهُ (**فِى الدُّنيا**) إِذْ لا يَخْلُو أحدٌ عن مطالبَ فيها (**و**)يسَّرَ عليه فِى (**الآخرةِ**) وفِى خبرِ الإمامِ أحمدَ مرفوعًا مَنْ سَتَرَ مسلمًا سترَهُ اللهُ فِى الدُّنيا والآخرةِ ومَنْ نَجَّى مَكروبًا فكَّ اللهُ عنه كُربةً مِنْ كُرَبِ يومِ القيامةِ ومَنْ كانَ فِى حاجةِ أَخِيه كان اللهُ فِى حاجتِهِ اهـ وعندَ مسلم مَنْ سَرَّهُ أنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يوم القيامة فَلْيُنَفِّسْ عن معسرٍ أو يَضَعْ عَنْهُ اهـ وفِى خبرِ مسلم أيضًا مَنْ أنظرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ فِى ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ اهـ

(**ومَنْ سَتَر مسلمًا**) أيْ سَتَرَ بَدَنَهُ بالإلباسِ أو سترَ عيوبَهُ وزَلَّاتِهِ عنِ الناسِ (**سَتَرَهُ اللهُ فِى الدُّنْيَا والآخِرَةِ**) بِسَتْرِ بدنِهِ وسَتْرِ زَلَّاتِهِ عنِ النَّاسِ ⊙ وذَكَرَ الدنيا مع الآخرةِ لأنَّ الدُّنيا هِىَ محلُّ العيوبِ والمَعاصِى التِى لا يَكادُ يخلو عنها أحدٌ فاحتيجَ إلى التَّسَتُّرِ فيها فإِنَّ كشْفَها للناسِ شبيهٌ بكشفِ العورة لهم ⊙ وعندَ ابنِ ماجهْ مَنْ سَتَرَ عورةَ أخيه المسلم سَتَرَ الله عورتَهُ يومَ القيامةِ ومَنْ كشفَ عورةَ أخِيهِ كَشَفَ اللهُ عورتَهُ حتى يفضحَهُ بِها فِى بيتِهِ اهـ والمرادُ به السَتْرُ على ذَوِى الهَيْئَاتِ ونحوِهِمْ مِمَّنْ لا يُعْرَفُ بالفساد فِى معصيةٍ قد وقعتْ

وانقضتْ، وأمَّا إذا عَلِمَ معصيتَهُ وهو متلبِّسٌ بها فيجبُ المبادرةُ بالإنكارِ عليه ومنعِهِ منها فإنْ عَجَزَ رَفَعَها إلى وَلِيِّ الأمرِ أو إلى مَنْ يقدرُ على إزالتِهَا إنْ لم يَترتبْ على ذلك مفسدةٌ، وأما المعروفُ بالشرِّ والفسادِ فلا يَسْتُرُ عليه بحيث يُطْمِعُهُ ذلك فِى الأَذَى وانتهاكِ المُحَرَّمَاتِ وبحيثُ يَجْسُرُ غيرُهُ على مثلِ ذلك بل يرفعُ أمرَهُ إلى الإمامِ أو مَنْ يَقدر على منعه مِنْ غيرِ مَفسدةٍ ⊙

وكذلك القولُ فِى جَرْحِ الرُّواةِ والشُّهودِ والأُمناءِ على الصدقاتِ والأوقافِ والأيتام ونحوِهِمْ فيجبُ جَرْحُهُمْ عندَ الحاجةِ ولا يَحِلُّ السَّتْرُ عليهم فِى ذلك إذا رَأَى منهم ما يَقْدَحُ فِى أَهْلِيَّتِهِمْ وليس هذا مِنَ الغِيبةِ المُحَرَّمَةِ بل مِنَ النَّصيحةِ الواجبةِ ⊙ ومثلُهُ جرحُ مَنْ يَتَصَدَّرُ للتدريس وليس أهلًا لذلك بل الضَّررُ فِى الدّينِ أعظمُ مِنَ الضَّررِ فِى الأبدانِ ⊙ رَوَى عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ أنَّ بعضَ المُتَعَبّدِينَ دخلَ على والدِهِ فصارَ أحمدُ يقولُ فلانٌ أىْ مِن الرُّواةِ ضعيفٌ وفلانٌ ثقةٌ فقال له هذا المتعبدُ يا شيخُ لا تَغْتَبِ العلماءَ فَالْتَفَتَ أحمدُ إليه وقال وَيْحَكَ هذا نصيحةٌ ليسَ هذا غيبةً اهـ

ومثلُ ما تقدَّمَ فِى كونِ الجَزَاءِ مِنْ جنسِ العملِ ما رواه ابنُ أبِى الدُّنْيَا عنِ ابنِ مسعودٍ قال يُحشر الناسُ يومَ القيامةِ أَعْرَى ما كانُوا قطُّ وأجوعَ ما كانُوا قَطُّ وأَظْمَأَ ما كانُوا قَطُّ وأنصبَ ما كانُوا قَطُّ فمَنْ كسَا للهِ كَسَاهُ اللهُ ومَنْ أطعمَ للهِ أطعمَهُ اللهُ ومَنْ سَقَى للهِ سقاهُ اللهُ ومَنْ عفَا للهِ أعفاهُ اللهُ اهـ وما رواه البيهقىُّ عن رسولِ الله ﷺ أنَّ رجلًا مِن أهلِ الجنةِ يُشْرِفُ يومَ القيامةِ على أهلِ النَّارِ فَيُنادِيهِ رجلٌ مِنْ أهلِ النارِ يا فلانُ هل تعرفُنِى فيقولُ لا واللهِ ما أعرفُكَ مَنْ أنتَ فيقولُ أنا الذِى مررتَ بِى فِى دارِ الدُّنْيا فاستسقَيْتَنِى شَرْبَةً من ماءٍ فسقيتُكَ قال قد عرفتُ قال فاشفعْ لِى بها عند ربّكَ قال فيسألُ اللهَ

تعالى فيقولُ شَفِّعْنِى فيه فيأمرُ بِهِ فيُخْرِجُهُ منَ النار اهـ

(واللهُ تعالى فِى عَون العبد) أىْ فِى إعانَتِهِ **(ما كان العبدُ)** أىْ مدةَ دوامِ كونِهِ **(فِى عَوْنِ أَخِيهِ)** ببدنِهِ أو مالِهِ أو جاهِهِ فِى غيرِ حرامٍ أو مكروهٍ ⊙ وهذا خُلُقُ الصالحينَ وعادةُ أهلِ اللهِ رَوَى الإمامُ أحمدُ مِنْ حديثِ بنتِ خَبَّابِ بن الأَرَتِّ قالتْ خَرَجَ خَبَّابٌ رَضِىَ اللهُ عنهُ فِى سَرِيَّةٍ فكان النبىُّ ﷺ يتعاهدُنا حتَّى يحلبَ عنزةً لنا فِى جَفْنةٍ لنا فتمتلِئُ حتى تفيضَ فلما قَدِمَ خَبَّابٌ حَلَبَهَا فعادَ حِلابُهَا إلى ما كانَ اهـ ورَوَى الطبرىُّ وابنُ عساكرَ أنَّ أبا بكرٍ الصديقَ رَضِىَ اللهُ عنهُ كان يحلبُ للحَىِّ أغنامَهم فلما استُخلفَ قالتْ جاريةٌ منهم الآن لا يحلبُها فقال أبو بكر بلَى وإنِّى لأرجُو أن لا يُغَيِّرَنِى ما دخلتُ فيه عن شَىْءٍ كنتُ أفعلُهُ أو كما قالَ اهـ وإنما كانُوا يقومون بالحِلابِ لأنَّ العربَ كانتْ لا تحلبُ النساءُ منهم وكانُوا يَستقبحون ذلك وكان الرِّجَالُ إذا غابُوا احتاجَ النساءُ إلى مَنْ يحلبُ لَهُنَّ ⊙ ورَوَى ابنُ المباركِ فِى كتابِ الجهادِ عن مجاهدٍ قال صحبتُ ابنَ عمرَ فِى السَّفَرِ لأخدمَهُ فكانَ يخدمنِى اهـ

(ومَنْ سَلَكَ طَرِيقًا) أىِ اتَّخَذَ أىَّ سببٍ من مفارقةِ الأوطانِ والسفرِ إلى البلدانِ والإنفاقِ مِنَ المالِ وبَذْلِ الجُهْدِ فِى مكانٍ أو زمانٍ **(يَلتمِسُ فيه)** أىْ يَطلبُ فِى ذلك المَسْلَكِ ويتبعُ **(عِلمًا)** شرعيًّا ناويًا بذلك وجهَ الله تعالى **(سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ)** أىْ يَسَّرَ الله له بسببِ ذلك الطريقِ **(طريقًا)** مُوصِلَةً **(إلى الجنةِ)** وذلك أنَّ العلمَ هو دليلُ العملِ ولا سبيلَ إلى معرفةِ اللهِ عزَّ وجلَّ وإلى الوصولِ إلى رضوانِهِ إلا بالعلمِ الدينِىِّ الذى بعثَ اللهُ تعالى به رُسُلَهُ ﷺ وأنزلَ به كُتُبَهُ فَمَنْ تبِعَهُ وسلكَ طريقَهُ ولم يَعْوَجَّ عنه أوصلَهُ لا بُدَّ إلى اللهِ تعالى ولذلك كان العلماءُ فِى الأرضِ كَمَثَلِ النجومِ فِى السماء يُهتدَى بها فِى

ظلماتِ البرِّ والبحرِ فإذا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ أوشكَ أنْ تَضِلَّ الهُداةُ وما دام العِلْمُ باقيًا فِى أرضٍ فالناسُ يجدون الهُدَى فيها وبقاءُ العلمِ ببقاءِ حَمَلَتِهِ فإذا ذَهَبَ حَمَلَتُهُ ومَنْ يقومُ به وقعَ الناسُ فِى الضلالِ ⊙ ومصداقُ ذلك فِى الصحيحينِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال إنَّ اللهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا يَنْتَزِعُهُ مِن صدورِ الناسِ ولكن يقبِضُهُ بِقَبْضِ العلماءِ فإذا لم يبقَ عالمٌ اتَّخَذَ الناسُ رؤساءَ جُهَّالًا فسُئِلُوا فأفتَوْا بغير علمٍ فضَلُّوا وأَضَلُّوا اهـ

وهذا العِلمُ الذِى يكونُ بسلوكِ طريقِهِ تسهيلُ طريقٍ إلى الجنة هو العلمُ الشرعِىُّ كعلومِ القرءَانِ والحديثِ والفقهِ وأصولِهِ ونحوِ ذلك لا الخارجُ عَنْ علمِ الشرعِ كالفلسفةِ فإنَّ تعلُّمَها ضارٌّ إلَّا أنْ يتعلمها مُتَمَكِّنٌ مِنْ علمِ الدينِ للرَّدِّ على أهلها وكفِّ شرِّهِمْ عنِ الشريعةِ فيكونُ مِن بابِ إعدادِ العُدَّةِ ⊙

(وما اجتمعَ قومٌ) أىِ جماعةٌ من رجالٍ أو نساءٍ **(فِى بيتٍ من بيوتِ اللهِ** ^لا^**عزَّ وجَلَّ**^إلى^**)** أىْ مسجدٍ **(يَتْلُونَ كتابَ اللهِ)** أىْ حالَ كَوْنِهِمْ يَتْلُونَهُ **(ويَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ)** شاملٌ لِـجَميعِ ما يُناط بالقرءان مِنَ التعلم والتعليم **(إلا نَزَلَتْ عليهِمُ السَّكينةُ)** هِىَ ما يَسكن إليه القلبُ مِنَ الطُّمأنينة والوَقار والثَّبات والاصْطِبَارِ والصَّفاء **(وغَشِيَتْهُمُ)** أىْ غَطَّتْهُمْ وخالطَتْهُمْ وعَمَّتْهُمْ **(الرحمةُ)** ولا يُستعمل الغَشْىُ إلا فِى شَىْءٍ يَشْملُ المَغْشِىَّ مِنْ جميع أجزائه قال شهاب الدين أحمد بن فرج والمَعْنَى فِى هذا فيما أُرى أنَّ غِشْيَانَ الرحمةِ يكون بحيث يستوعبُ كلَّ ذنبٍ تَقَدَّمَ إن شاء الله تعالى اهـ ونقلَهُ عنه ابنُ هُبَيْرَةَ فِى الإفصاحِ ⊙ **(وحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ)** أىْ أحاطَتْ بهم وأَحْدَقَتْ وقَرُبَتْ حتى لم تَدَعْ فُرْجَةً لشيطانٍ **(وذَكَرَهُمُ اللهُ)** أىْ أَثْنَى عليهم **(فِيمَنْ)** هم مُشَرَّفُونَ **(عندَه)** مِنَ المَلَإِ الأعلى إظهارًا لِحُسْنِ حالِهِمْ بَيْنَ عِلْيَةِ

المؤمنينَ ⊙

وظاهرُ الحديثِ اختصاصُ هذا الفضلِ بمَن يجتمعون فِى بِيُوتِ اللهِ عزَّ وجلَّ لِشَرَفِها على غيرِها وقالَ ابنُ جماعةَ وغيرُهُ الأشبهُ عدمُ الاختصاصِ فالذِّكرُ فيها كالذِّكْرِ فِى غيرِها أىْ فِى ما يترتَّبُ عليه مِمَّا ذُكِرَ فِى هذا الحديثِ لأنَّ الأرضَ كُلَّها مسجدٌ غيرَ أنه فِى البيوتِ المُعَدَّةِ لذلك أكملُ اهـ قلتُ ربَّما يشهدُ لِمَا قاله الرواياتُ المطلَقةُ التِى لم تُذكَرِ المساجِدُ فيها ويكونُ ذِكْرُ المساجدِ لجريانِ العادةِ بكونِها موضعَ الاجتماعِ على مدارسةِ القرءَانِ والعلمِ، ويشيرُ إلى ذلك أيضًا حديثُ الصحيحينِ [إنَّ للهِ ملائكةً يطوفونَ فِى الطُّرُقِ يلتمسون أهلَ الذِّكْرِ فإذا وجدُوا قومًا يذكرون اللهَ تعالى تَنَادَوْا هَلُمُّوا إلى حاجتكم فَيَحُفُّونَهُمْ بأجنحتِهِم إلى السماءِ الدُّنيا فيسأَلُهُمْ ربهم وهو أعلمُ بِهِمْ ما يقولُ عبادِى قال يقولونَ يُسَبِّحونَكَ ويُكَبِّرُونَكَ ويَحْمَدُونَكَ ويُمَجِّدُونَكَ فيقولُ هل رَأَوْنِى فيقولونَ لا واللهِ ما رَأَوْكَ فقال كيفَ لو رَأَوْنِى فيقولونَ لو رَأَوْكَ كانُوا أشدَّ لكَ عبادةً وأكثرَ تحميدًا وتمجيدًا وأكثرَ لكَ تسبيحًا فيقولُ فما يَسألونَنِى قالوا يَسألونَكَ الجنةَ فيقولُ وهل رَأَوْها فيقولون لا واللهِ يا ربُّ ما رَأَوْها فيقولُ كيف لو رَأَوْها فيقولون لو أنهم رَأَوْها كانُوا أشدَّ حرصًا عليها وأشدَّ لها طلبًا وأشدَّ فيها رغبةً قال فَمِمَّ يتعوَّذُونَ فيقولونَ مِنَ النارِ قالَ فيقولُ هل رَأَوْها فيقولون لا واللهِ يا ربّ ما رَأَوْها فيقولُ كيفَ لو رَأَوْها فيقولون لو أنهم رَأَوْها كانُوا أشدَّ منها فِرارًا وأشدَّ لها مخافةً فيقولُ اللهُ تعالى أُشْهِدُكُمْ أنِّى قد غفرتُ لهم فيقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائكةِ فيهم فلانٌ ليس منهم وإنَّما جاءَ لحاجتِهِ قال هم الجلساءُ لا يَشقَى بهم جليسُهُمْ] واللهُ أعلمُ اهـ

وكانت عادةُ السَّلَفِ مِنْ أهلِ الشامِ ومكةَ والبصرةِ الاجتماعَ على

القرءانِ والعلمِ بعد صلاةِ الصبحِ وروَى أبو يعلَى عن يزيدَ الرَّقَاشِيِّ عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال كانوا إذا صَلَّوُا الغداةَ قَعَدُوا حِلَقًا حِلَقًا يَقْرَؤُونَ القرءانَ ويتعلمون الفرائضَ والسننَ ويذكرون اللهَ تعالى اهـ ويُعرَفُ منه ومِمَّا قبلَه حُسْنُ الاجتماعِ على التلاوةِ والعلمِ والذِّكرِ وهو داخلٌ تحتَ عمومِ أحاديثَ كثيرةٍ على خلافِ قَوْلِ مُشَبِّهَةِ زمانِنا الذينَ مَنَعُوا الاجتماعَ على حِلَقِ الاستغفارِ والتهليلِ والتسبيحِ والتحميدِ والصلاةِ على النَّبِيِّ ونحوِها مِنَ الأذكارِ سواءٌ بعد الصبحِ مِنْ كُلِّ يومٍ أو فِي وقتٍ ءَاخَرَ ⊙

(ومَنْ بَطَّأَ) أيْ أخَّرَ **(بِهِ عملُهُ)** عَنْ درجةِ الأتقياءِ والصالحينَ **(لم يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)** إليها لأنَّ الإسراعَ إلى السَّعادةِ الأخرويةِ إنما هو بالأعمالِ فإنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ ليأمرَهُمْ بطاعتِهِ فكانتْ الطاعةُ هِيَ المُعتَبَرَةَ ولأنَّ الأقربَ إلى الله تعالى هو الأَتْقَى كما قالَ تعالى ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ فليسَ نسيبٌ غيرُ عاملٍ بمكافِئٍ لعاملٍ غيرِ نسيبٍ ⊙ خرَّجَ البزارُ أنَّ النبِيَّ ﷺ قال لِعُمَرَ اجمعْ لِي قومَكَ يعنِي قريشًا فجمعهم فقال إنَّ أوليائِي منكم المُتَّقُونَ فإنْ كُنْتُمْ أُولٰئكَ فذاكَ وإلَّا فانظُرُوا يأتِي الناسُ بالأعمالِ يومَ القيامةِ وتأتُونِي بالأثقالِ فيُعْرَضُ عنكم اهـ وخرَّجَهُ الحاكمُ مختصَرًا وصحَّحَهُ وله رواياتٌ وشواهدُ ⊙ وروَى الحاكمُ فِي المستدرَكِ عن ابن مسعودٍ قال يأمرُ اللهُ بالصراطِ فيُضرَبُ على جهنَّمَ فيمُرُّ الناسُ على قدرِ أعمالِهِمْ زُمَرًا زُمَرًا أوائلُهُمْ كلمحِ البَرْقِ ثم كَمَرِّ الرِّيحِ ثم كَمَرِّ المَطَرِ ثم كَمَرِّ البهائمِ حتى يمرَّ الرجلُ سعيًا وحتى يمرَّ الرجلُ مشيًا حتى يَمُرَّ ءَاخِرُهُمْ يتلبطُ أي يضطجعُ ويتمرَّغُ على بطنِهِ فيقولُ يا ربِّ لِمَ أبطأْتَ بِي فيقولُ إنِّي لَمْ أُبْطِئْ بِكَ أيْ مِن دونِ سببٍ مِن قِبَلِك إنما أبطأَ بكَ عملُكَ اهـ ورُوِيَ أنَّ مُريدًا لأبِي يزيدَ البِسطاميِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ تَبِعَ

خُطاه مِنْ خَلْفِهِ فأقبلَ عليه قائلًا واللهِ لو سَلَخْتَ جِلْدَ أبِى يزيدَ ولَبِسْتَهُ لَمْ تَنَلْ مثقالَ خردلةٍ مِنْ مقاماتِهِ ما لم تعملْ معاملاتِهِ اهـ

والحديثُ **(رواه مسلمٌ بهذا اللفظ)** ورواه أبو داودَ وابنُ ماجهْ والترمذىُّ وقال حسنٌ ⊙

والله أعلم ⊙

(الحديثُ السابعُ والثلاثونَ)

(عن ابنِ عباسٍ رَضِىَ اللهُ عنهُما عن رسولِ اللهِ ﷺ فيما يَرْوِى عن رَبِّهِ تباركَ) أىْ تكاثَرَ خَيْرُهُ وإحسانُهُ وزادَ فَضْلُهُ **(وتَعالَى)** أى تَعَظَّمَ شأنُهُ فأصلُهُ حديثٌ قُدسىٌّ **(قال)** ﷺ **(إنَّ اللهَ تبارك وتعالى كتبَ الحسناتِ والسَّيِّئاتِ)** أى قَدَّرَها وكَتَبَها فِى اللوحِ المحفوظِ **(ثُمَّ بَيَّنَ ذلكَ)** أىْ فصَّلَ ذلك وبَيَّنَ ما يَبْلُغُ كلٌّ منهما **(فَمَنْ همَّ بحسَنةٍ فلم يعمَلْها كتبَها اللهُ عِنْدَهُ حسنةً)** اعتبارًا بِهَمِّهِ وإنْ تَجَرَّدَ عنِ الفِعْلِ كما فِى روايةِ مسلم إذا تَحَدَّثَ عَبْدِى أىْ فِى نفسِه بأنْ يعملَ حسنَةً فأنا أكتبُها لهُ حسنةً اهـ وظاهرُ الهَمِّ المَذكورِ هو التَّرَدُّدُ فِى فِعْلِ الشَّىْءِ مع المَيْلِ إلى جانبِ الفعلِ أكثرَ مِنَ المَيْلِ إلى جانبِ التَّرْكِ أىْ معَ المَيْلِ إلى فعلِهِ مَيْلًا لا يصلُ إلى درجةِ العَزْمِ عليه وهو معنَى الهَمّ فِى الأَصْلِ وأكَّدَ الحَسَنَةَ بلفظِ **(كاملةً)** لِدَفْعِ تَوَهُّمِ أنَّ كونَهُ مجردَ هَمّ يُنْقِصُ ثوابَ الحسنةِ **(وإنْ همَّ بها)** فاهْتَمَّ واعتنَى بشأنها **(فَعَمِلَها كَتَبَهَا اللهُ عنده عشْرَ حسناتٍ)** كما جاءَ فِى حديثِ ابنِ أبِى شَيبةَ وإسحٰقَ ابنِ راهويه عن رسولِ الله ﷺ مَنْ قال السلام عليكم كُتِبَ له عشرُ حسناتٍ ومَنْ قال السلام عليكم ورحمةُ اللهِ كُتِبَ له عِشرونَ حسنةً ومَنْ قال السلام عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ كُتِبَ له ثلاثون حسنةً اهـ

وقد يُضاعَفُ ذلك **(إلى سبعِمِائَةِ ضِعْفٍ)** أىْ مِثْلٍ كما رَوَى مسلمٌ عنِ ابنِ مسعودٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ قالَ جاءَ رجلٌ بناقةٍ مخطومةٍ فقال يا رسولَ اللهِ هذه فِى سبيلِ اللهِ فقال لكَ بها يومَ القيامةِ سبعُمِائَةِ ناقةٍ اهـ **(إلى أضعافٍ كثيرةٍ)** زائدةٍ على السَّبْعِمِائَةِ يعلمُها اللهُ فضلًا منه تعالى وإحسانًا كما قالَ تبارك وتعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ ⊙ روَى ابنُ حِبَّانَ فِى صحيحِهِ عن ابنِ عمرَ رَضِىَ اللهُ عنهُما قال لَمَّا نزلتْ هذه الآيةُ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ قال رسولُ اللهِ ﷺ ربِّ زِدْ أُمَّتِى فأنزلَ اللهُ تعالى ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾ فقال ربِّ زِدْ أمَّتِى فأنزلَ اللهُ تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ فالمُضاعفةُ زيادةً على العشرِ تكونُ بحسبِ حسنِ الإسلامِ وبحسبِ كمالِ الإخلاصِ وبحسبِ فضلِ ذلك العملِ فِى نفسِهِ وبحسبِ الحاجةِ إليه وكلُّ ذلك جاءَتِ الأحاديثُ بما يُفيدُهُ ويُبَيِّنُهُ وهذا التضعيفُ أَبْهَمَهُ اللهُ تعالى فلا يعلمُ أحدٌ كَمْ هُوَ وما هُوَ ترغيبًا فيه فإنَّ ذِكْرَ المُبْهَمِ فِى بابِ الترغيبِ أَقْوَى مِن ذِكْرِ المحدودِ ⊙

(وإنْ هَمَّ بِسَيِّئةٍ) أىْ تَرَدَّدَ فِى فعلِها **(فلم يَعْمَلْها)** خوفًا مِنَ اللهِ ولأَجْلِهِ **(كَتَبَهَا اللهُ تعالَى عندَهُ حسنةً كاملةً)** اعتبارًا بعدمِ عَمَلِ السيئةِ لا باعتبارِ هَمِّهِ كما فِى حديثِ مسلمٍ فإنْ تركَهَا فاكتبوها له حسنةً إنَّما تركَها مِنْ جرَّائِى اهـ أىْ مِنْ أَجْلِى ⊙ فأمَّا إذا تركَ السيئةَ مُكْرَهًا على تَرْكِهَا أو عاجزًا عنها فلا تُكتبُ له حسنةٌ ولا يدخلُ فِى معنَى هذا الحديثِ كما قالَهُ الخطابىُّ وغيرُهُ ⊙

وفِى هذا الحديثِ تصحيحُ مقالةِ مَنْ قال إنَّ الحفظةَ يعلمونَ ما يَهُمُّ به العبد مِنْ حسنةٍ أو سَيئةٍ بعلامةٍ يخلقُها اللهُ عزَّ وجلَّ وقد قِيل

إن ذلك يكون بريح تظهرُ لَهُمَا من القلب كما روَىَ الدِّينَوَرِيُّ عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ قالَ المَلَكَانِ لا يَعلمانِ الغيبَ ولكن إذا هَمَّ العبدُ بِحَسَنَةٍ فاحَ منه رائحةُ المِسْكِ فَيَعلمانِ أنه قد هَمَّ بالحسنةِ فإذا هَمَّ بالسيئة فاحَ رائحةُ النُّتْنِ فيعلمان أنه قد هَمَّ بالسيئةِ اهـ

وأمَّا مَن عَزَمَ على المعصيةِ وَوَطَّنَ قَلْبَهُ عليها فإنَّهَا تُكْتَبُ معصيةً ولو لم يعملْها كما يَدُلُّ عليه حديثُ إنَّهُ كانَ حريصًا على قَتْلِ صاحِبِهِ اهـ فما عزمَ عليه من معاصِي القلوبِ والجوارحِ كالاعتقاداتِ الكُفْرِيَّةِ ومحبةِ الكُفار ومحبَّةِ المَعاصِي والحِقْدِ والحَسَدِ وسوءِ الظَّنِّ بالمُسْلِمِ من غيرِ مُوجِبٍ والقتلِ والزِّنَى والسرقةِ وشربِ الخمرِ فإنه يُؤاخَذُ به ولو لم يظهرْ له أثرٌ فِى الخارجِ لقولِهِ تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ وقولِهِ تعالى ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ وحديثِ إنه كان حريصًا على قتل صاحبِهِ اهـ وقد مرَّ ⊙ **(وإن هَمَّ بها)** أيْ عَزَمَ على فِعْلها **(فَعَمِلَها كتبَها اللهُ سيئةً واحدةً)** فَقَلَّلَهَا بواحدةٍ كما قال تعالى ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ ⊙

والحديثُ **(رواه البخاريُّ ومسلمٌ فِى صَحِيحَيْهِما بهذه الحروف)** قال البوصيريُّ زادَ مسلمٌ فِى روايةٍ لَهُ أو محاها اللهُ ولا يَهْلِكُ على الله إلا هالكٌ اهـ أيْ فبعدَ هذا الفضلِ العظيمِ منَ اللهِ والرحمةِ الواسعةِ منه بمضاعفةِ الحسناتِ والتجاوزِ عنِ السَّيِّئاتِ لا يَهْلِكُ على اللهِ أيْ مع سعةِ فضلِهِ وعظيمِ ثوابِهِ إلا غيرُ مُبالٍ بالسلامةِ مُلقٍ بيدِهِ إلى التَّهْلُكَةِ متجرِّئٌ على السيئاتِ متمرِّغٌ فِى النجاساتِ راغبٌ عنِ الحسناتِ بحيثُ غلَبَتْ وَحَداتُهُ عَشَرَاتِهِ ⊙

تنبيهٌ. ما ذُكِرَ مِنْ أنَّ الهَمَّ بالمعصيةِ بمعنَى الترددِ فِى فِعْلِها مُغْتَفَرٌ يُسْتَثْنَى منه ما كانَ ذاتُ الترَدُّدِ فيه مُحَرَّمًا كالشكِّ فِى وحدانيةِ الخالقِ

عزَّ وجلَّ أو فِى حَقِّيَّةِ نُبُوَّةِ سيدِنا محمدٍ ﷺ أو البَعْثِ بعدَ الموتِ فهذا كلُّهُ يعاقَبُ العبدُ عليه ويصيرُ بإتيانِ مثالٍ مِنْ هذهِ الأمثلةِ كافرًا والعياذُ باللهِ تعالى اهـ

قال الشيخُ محيى الدينِ رحمه الله **(فانظُر)** أىْ أَعْمِلْ فِكْرَكَ **(يا أخِى وَفَّقَنِى اللهُ وإيّاك)** أىْ أَقْدَرَنَا على الطاعةِ **(إلى عِظَمِ لُطْفِ اللهِ تعالى)** واللُّطْفُ إيصالُ نفعٍ فِيهِ نوعٌ مِنَ الدِّقَّةِ على وَفْقِ الإرادةِ **(وتَأَمَّلْ هذه الألفاظَ)** النبويةَ الشريفةَ **(وقولُهُ)** كَتَبَهَا اللهُ **(عِنْدَهُ إشارةٌ إلى الاعتناءِ بها)** أىْ إلى مزيدِ اعتبارِ شأنِهَا كما فِى قوله تعالى ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ ⊙ **(وقولُهُ)** فِى الحسنة التِى همَّ بها ولم يعملْها **(كاملةً** لا بتنوينٍ إلى **للتوكيدِ وشِدّةِ الاعتناءِ وقال فِى السَّيِّئَةِ التِى همَّ بها ثم تَرَكَها كَتَبَهَا اللهُ حسنةً كاملةً فأكَّدَها بكاملةً)** اعتناءً بتَرْكِهَا **(وإنْ عَمِلَها كَتَبَها سيئةً واحدةً فأكَّدَ تقلِيلَها بواحدةً ولم يُؤَكِّدْها بكاملةٍ)** وفِى هذا كُلِّهِ إشارةٌ إلى أنَّ ءَاثَارَ فضلِ اللهِ تبارك وتعالى ورحمتِهِ أوسعُ مِنْ ءَاثَارِ غضبِهِ كما دلَّ عليه قولُهُ ﷺ إنَّ اللهَ كتبَ كتابًا فهو عنده فوقَ العرشِ إنَّ رَحْمَتِى سَبَقَتْ(١) غَضَبِى اهـ **(فلِلهِ الحمدُ)** مُسْتَحَقٌّ **(و)**له **(المِنَّةُ)** وهِىَ جِنْسُ النِّعْمَةِ أىْ هِىَ مِلْكُهُ ومِنْهُ كما قال تعالى ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ **(سُبْحَانَهُ)** مفعولٌ مطلَقٌ معناهُ التَّنْزِيهُ **(لا نُحصِى ثناءً عليهِ)** أىْ لا نقدر على إحصاءِ أفعالِهِ ونِعَمِهِ كُلِّهَا كما قال تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ **فكيف بِذِكْرِهَا والنُّطقِ بالشكرِ على كُلٍّ منها وفيه تلميحٌ إلى قوله عليه الصلاةُ والسلامُ لا أُحْصِى ثناءً عليكَ أنتَ كَمَا أثنيتَ على نَفْسِكَ اهـ**

---

(١) قوله (سبقتْ) أىْ غلبتْ كما فِى قولِ اللهِ تعالَى فِى سورةِ يس ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ والمرادُ أنَّ ءَاثارَ رحمةِ اللهِ أكثرُ مِن ءَاثار غضبِه. الفقير.

(وباللهِ) أيْ بتيسيرِهِ لا بغيرِهِ **(التوفيقُ)** أيْ تحقيقُ الاستقامةِ على سواءِ الطريقِ فإننا مفتقِرونَ إلى اللهِ تعالى فِى جميعِ الأعمالِ محتاجُونَ إلى المَدَدِ الرَّبَّانِيِّ والعَوْنِ الصَّمَدَانِيِّ فِى كُلِّ الأحوالِ ⊙

فائدةٌ. قال صاحبُ الإفصاحِ فِى كلامٍ لَهُ إنَّ اللهَ تعالى مَنَّ على هذه الأمةِ فأخلفَ عَلَى ما قَصُرَ مِنْ أعمارِها بتضعيفِ أعمالِهَا إلى أن قال قالَ ﷺ بعد ذلك إلى أضعافٍ كثيرةٍ كثيرةٌ هنا نكرةٌ وهِىَ أشملُ مِنَ المعرفة فَيَقْتَضِى على هذا أنْ يُحْسَبَ توجيهُ الكثرة على أكثرِ مَا يكونُ ثُمَّ يُقَدَّرَ لتناولِ هذا الوعدِ الكريمِ بأنْ يُقال إذا تصدَّقَ الآدمِىُّ بِحَبَّةِ بُرٍّ فإنه يُحسب له ذلك فِى فضلِ اللهِ تعالى أنه لو بُذِرَتْ تلك الحبَّةُ فِى أَزْكَى أرضٍ وكانَ لَهَا مِنَ التَّعَاهُدِ والحِفْظِ والرِّيِّ ما يَقتضِيهِ حالُهَا ثم استُحْصِدَتْ ونُظِرَ فِى حاصلِها ثم قُدِّرَ ذلك الحاصلُ وبُذِرَ فِى أزكَى أرضٍ وكان التعاهدُ له على ما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ثم هكذا فِى السنةِ الثالثةِ والرابعةِ وما بعدَهَا ثم يَستمرُّ ذلك إلى يوم القيامةِ فتأتِى الحبَّةُ أمثالَ الجبالِ الرواسِى وإنْ كانتِ الصدقةُ مثقالَ ذَرَّةٍ مِنْ جِنْسِ الأثمانِ فإنه يُنْظَرُ إلى أَرْبَحِ شَىْءٍ يُشْتَرَى فِى ذلك الوقتِ ويُقَدَّرُ أَنَّهُ لو بِيعَ فِى أنفقِ سُوقٍ فِى أعظمِ بلدٍ يكونُ ذلك الشَىْءُ فيه أشدَّ الأشياءِ نَفَاقًا ثم يُضاعَفُ ويُرَدَّدُ هكذا إلى يومِ القيامةِ فَتَأْتِى الذَّرَّةُ بما يكونُ مقدارُها على قدرِ عِظَمِ الدُّنيا كُلِهَا ⊙ وعَلَى هذا جميعُ أعمالِ البرِّ فِى مُعَامَلَةِ اللهِ عز وجل إذا خرجتْ سهامُهَا عنْ نِيَّةٍ خالصةٍ وأُفْرِغَتْ فِى نوعِ قوسِ الإخلاصِ كانت تلك السهامُ مُمْتَدَّةً لا تنتهِى إلى يومِ القيامةِ اهـ قال ومِن ذلك أيضًا أَنَّ فضلَ اللهِ تعالى يتضاعفُ بالتحويلِ فِى مثلِ أنْ يتصدقَ الإنسانُ على فقيرٍ بدرهمٍ فَيُؤْثِرُ الفقيرُ بذلك الدرهمِ فقيرًا ءَاخَرَ هُوَ أشدُّ منه فَقْرًا فَيُؤْثِرُ به الثالثُ رابعًا والرابعُ خامسًا وهكذا فِى ما طالَ فإنَّ اللهَ تعالى يُعْطِى المتصدِّقَ الأولَ

بالدرهمِ عشرةً فإذا تَحَوَّلَ إلى الثانِى انتقلَ ذلك الذِى كانَ للأولِ إلى الثانِى فصارَ للأولِ عَنْ عَشْرَتِهِ مِائَةٌ فإذا تصدَّقَ بها الثانِى صارتْ له مِائَةً وللأولِ ألفًا وإذا تَصَدَّقَ بها الثالثُ صارتْ للثالثِ مِائَةً وللثانِى ألفًا وللأولِ عشرةَ ءَالافٍ فيُضَاعَفُ إلى ما لا يَعْلَمُ مقدارَهُ إلا اللهُ تعالى اهـ قال ومِن ذلك أيضًا أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى إذا حاسبَ عبدَهُ المسلمَ يومَ القيامةِ وكانتْ حسناتُهُ متفاوتةً فيهِنَّ الرفيعةُ المِقْدارِ وفيهِنَّ دونَ ذلك فإنَّهُ سبحانه بِجُودِهِ وفَضْلِهِ يجعلُ سائرَ الحسناتِ بِسِعْرِ تلكِ الحسنةِ العُلْيَا لأنَّ جُودَهُ جلَّ جلالُهُ أعظمُ مِنْ أنْ يناقِشَ مَنْ رَضِىَ عنه فِى تفاوتِ سِعْرٍ بينَ حَسَنَتَيْنِ وقد قالَ جلَّ جلالُهُ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ كما أنه إذا قالَ العبدُ فِى سُوقٍ مِن أسواقِ المسلمينَ لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ وله الحمد يُحْيِى ويُميت وهو حىٌّ لا يموتُ بيدِهِ الخيرُ وهو على كلِّ شَىْءٍ قديرٌ رافعًا بها صَوْتَهُ كَتَبَ اللهُ له بذلك ألفَ ألفِ حسنةٍ ومَحَا عنه بها ألفَ ألفِ سيئةٍ ورَفَعَ له ألفَ ألفِ درجةٍ وبَنَى له بيتًا فِى الجنةِ وهذا الذِى ذَكَرْنَاهُ إنما هو على مقدارِ مَعْرِفَتِنَا لا على مقدارِ فضلِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى فإنَّهُ أعظمُ مِنْ أنْ يَحُدَّهُ أحدٌ أو يَحْصره خَلْقٌ واللهُ تعالى أعلمُ ⊙ انتهى كلامُ ابنِ هُبَيْرَةَ ⊙ وحديثُ السُّوقِ المذكورُ ءَانِفًا رواه الترمذىُّ والحاكِمُ فِى مُسْتَدْرَكِهِ وكان قَدِمَ به بعضُ رُوَاتِهِ خُرَاسَانَ فأتَى قُتَيْبَةَ بنَ مُسْلِمٍ فقالَ لَهُ أتيتُكَ بهديةٍ فَحَدَّثَهُ بالحديثِ فكانَ قُتَيْبَةُ يَرْكَبُ فِى موكبِهِ حتى يَأْتِيَ السوقَ فيقولَ تلكَ الكلماتِ ثم ينصرفُ اهـ

واللهُ تعالى أعلمُ ⊙

(الحديثُ الثامنُ والثلاثونَ)

(عَنْ أَبِى هريرةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قالَ) فهذا حديثٌ قدسِىٌّ **(مَنْ عادَى لِى وَلِيًّا فقد ءَاذَنْتُهُ بالحربِ)** المُعاداةُ هنا بِمَعْنَى اتخاذِهِ عَدُوًّا أَىْ عاداهُ المُعاداةَ المَنْهِىَّ عنها فِى الدِّينِ وأمَّا إذا كانت الأحوالُ تَقْتَضِى نزاعًا فِى محاكمةٍ أو خصومةً راجعةً إلى استخراجِ حقٍّ غامضٍ فإنَّ ذلك لا يدخُلُ فِى الحديثِ فإِنَّهُ قد جَرَى بين أَبِى بكر وعمر رَضِىَ اللهُ عنهُما خصومةٌ وبينَ العباسِ وعلىٍّ رَضِىَ اللهُ عنهُما كذلك بل بينَ كثيرٍ من الصحابة مِمَّنْ كانوا مِنْ أولياءِ اللهِ تعالى ⊙

والوَلِىُّ هو المؤمنُ الكاملُ أىِ الثابتُ على أداءِ الواجباتِ واجتنابِ المحرماتِ والإكثارِ مِنْ نوعٍ أو أنواعٍ مِنَ النَّوافلِ فهو قد تَوَلَّى اللهَ تعالى بالطاعةِ والتقوى فَتَوَّلاه اللهُ الكريمُ بالحِفْظِ والنُّصْرَةِ قال تعالى فِى سُورةِ الأعرافِ ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فلا جَرَمَ أَنَّ عدُوَّ وَلِىِّ اللهِ عدُوٌّ للهِ تعالى ءَاذَنَهُ اللهُ تعالى بالحربِ أىْ أعلمَهُ أَنَّه مُحَارِبٌ له وفِى روايةٍ فقدِ اسْتَحَلَّ مُحَارَبَتِى اهـ قال الفاكهانِىُّ فِى هذا تهديدٌ شديدٌ لأنَّ مَنْ حاربَهُ اللهُ أهلكَهُ اهـ وفِى الحديثِ تسليةُ الأصفياءِ عن معاداةِ الأعداءِ وتحذيرُ الأعداءِ مِن إيذاءِ الأولياءِ وتنبيهٌ على تعظيمِ شأنِهِمْ وحِفْظِ قلوبِهِمْ ⊙

(وما تَقَرَّبَ) أىْ طلبَ القُرْبَةَ **(إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ)** أىْ بسببِ شَىْءٍ **(أَحَبَّ)** صفةُ شَىْءٍ **(إِلَىَّ ممّا افترَضْتُ عليه)** وفِى نسخةٍ مِمَّا افترضتُهُ عليه اهـ أىْ مِنْ أدائِهِ ويشملُ ذلك فروضَ العينِ وفروضَ الكفايةِ والواجبَ فِى اصطلاحِ الحنفيةِ لأنه فرضٌ عملًا وإنْ لَمْ يَكُنْ فرضًا

اعتقادًا والمَعْنَى مَا طَلَبَ عَبْدِى القُرْبَةَ والثوابَ رحمةً مِنِّى واعتناءً وفضلًا بوسيلةِ عملٍ أحبَّ إلىَّ مِنَ الذِى فرضتُهُ عليْهِ ⊙

ومِنَ المصائبِ اشتغالُ بعضِ الناس بالذِّكْر اللِّسَانِىّ الكثيرِ المَنْدُوبِ وبالأورادِ الطويلةِ المندوبةِ وما شابَهَ ذلك عن حَلَقِ العلمِ الواجبةِ عَيْنًا وعنِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهْىِ عنِ المُنْكَرِ المُفْتَرَضِ عليهم عَيْنًا حيثُ احْتِيجَ إليهم جميعًا فيهِ أو لم يَقُمْ بِهِ غيرُهُ مِمَّنْ تقعُ به الكفايةُ واشتغالُهُم عن قَضَاءِ ما تركوه عمدًا مِنَ الصلواتِ الخمسِ واشتغالُ بعضٍ بالصَّدقاتِ المندوبةِ عن دَفْعِ الزكواتِ الواجِبَةِ وسَدِّ الضَّرُورَاتِ وفيما نقلَه الحافظُ فِى الفتح عن بعضِ الأكابرِ أنه قال مَنْ شَغَلَهُ الفرضُ عنِ النَّفْلِ فهو معذورٌ ومَن شَغَلَهُ النَّفْلُ عنِ الفرضِ فهو مغرورٌ اهـ

(وما يزالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ) وفِى روايةٍ يَتَحَبَّبُ **(إلىَّ بالنّوافلِ)** أىْ بالزوائدِ على الفرائضِ مِنْ سُنَنٍ مؤكدةٍ وغيرِها فينتقلُ ويَتَرَقَّى مِن مقامٍ إلى ءَاخَرَ **(حتَّى أُحِبَّهُ)** كما قال اللهُ تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ وإذا أحبَّ اللهُ عبدًا أَعْلَمَ جبريلَ يا جبريلُ إنِّى أُحِبُّ فلانًا فَأَحِبَّهُ ثم يُنَادَى بين الملائكةِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ فلانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أهلُ السماءِ ثم يُوضَعُ له القَبُولُ بين أهلِ الفضلِ فِى الأرضِ كما قال ربُّنا عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ والمَحَبَّةُ مِنَ اللهِ إرادةُ الثوابِ فِى الآخرةِ فَمَنْ أَحَبَّهُ اللهُ تعالى لم يُعَذِّبْهُ ولم يَنْقَلِبْ بعدَ ذلك عَدُوًّا ⊙ سُئِلَ الجُنَيْدُ رَضِىَ اللهُ عنهُ مِنْ أين قلتَ إنَّ الحبيبَ لا يُعَذِّبُ حبيبَهُ فقال قال الله تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾ اهـ ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ﴾ ⊙

(فإذا أَحْبَبْتُهُ) وقَرَّبْتُهُ ورفعْتُ مقامَهُ **(كنتُ)** أىْ صِرْتُ **(سَمْعَهُ الذى يَسْمَعُ به وبَصَرَهُ الذِى يُبْصِرُ به ويدَهُ التى يبطِشُ بها ورِجلَه التِى يَمْشِى بها)** وفِى روايةٍ وفؤادَهُ الذِى يَعْقِلُ به ولسانَهُ الذِى يتكلمُ به اهـ

والمُعتمَدُ عند العلماءِ أنَّ هذه المَذكوراتِ مجازاتٌ وكناياتٌ ومَنِ ادَّعَى أنها حقائقُ كفَرَ ⊙ قال الخَطَّابىُّ معناه أُوَفِّقُهُ فِى الأعمالِ التِى يُباشرُها بهذه الأعضاءِ فَأُيَسِّرُ عليهِ سبيلَ ما أُحِبُّهُ وأَعْصِمُهُ عن مُوَاقَعَةِ ما أَكْرَهُ مِنْ إصغاءٍ إلى اللَّهْوِ بِسَمْعِهِ ونَظَرٍ إلى ما نُهِىَ عَنِ النَّظَرِ إليه ببصرِهِ وبطشٍ ما لا يَحِلُّ بِيَدِهِ وسَعْىٍ فِى باطلٍ بِرِجْلِهِ اهـ ويُؤَيِّدُهُ روايةُ فَبِى يَسمعُ وبِى يُبصر وبِى يَبطش وبِى يَمْشِى اهـ **(وإِنْ سَأَلَنِى أَعْطَيْتُهُ ولَئِنِ اسْتعاذَنِى)** ضُبط بالنون وبالباء وكلاهما صحيحٌ فيقالُ استعذْتُ زيدًا مِنْ كذا واستعذْتُ بزيدٍ مِنْ كذا ⊙ وحُذِفَ المُسْتَعَاذُ منه لِيَعُمَّ فِى مقامِ التَّأييدِ والعَوْذُ الالتجاءُ لدفعِ المَضَارِّ والمَعْنَى إنِ الْتَجأَ إلى رحمتِى وتَعَلَّقَ بإعانتِى وإغاثتِى **(لَأُعِيذَنَّهُ)** مِمَّا نَزَلَ به أو خَشِيَهُ مِنْ ضَرَرِ إنسىٍّ أو جِنِّىٍّ أو خاطرٍ قَلْبِىٍّ فأىُّ حفظٍ وتأييدٍ ونُصرةٍ كهذا الحفظِ وهذا التأييدِ وهذهِ النُّصْرَةِ ومَنْ وَصَلَ إلى هذا المَقَامِ أنَّى يَلْتَفِتُ إلى جِيفةِ الدُّنيا وأنَّى يخافُ فِى طاعةِ اللهِ مخلوقًا والشواهدُ مِنْ سِيَرِ الصالحينَ وأحوالِهِمْ على هذا لا تُحْصَى ولا حول إلا بالله ⊙

والحديثُ **(رواه البخارىُّ)** وصَحَّحَهُ أهلُ الحديثِ ⊙

(الحديثُ التاسعُ والثلاثونَ)

(عنِ ابنِ عباسٍ رَضِىَ اللهُ عنهُما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ إنَّ اللهَ تَجَاوَزَ) تَفَاعَلَ بِمَعْنَى فَعَلَ وضُمِّنَ مَعْنَى عَفَا **(لِى)** أىْ لأجلِى تعظيمًا

ورفعةً لِقَدْرِى وحصولًا لِرِضَى صَدْرِى **(عن أُمَّتِى)** أىْ أمَّةِ الإجابةِ الذينَ استجابوا لِى وءَامنُوا بِى وبما جئتُ به **(الخطأَ)** أىْ إِثْمَهُ ولا يُرادُ به هنا ضِدُّ الصَّوَابِ وإنما المرادُ أنْ يَقْصِدَ بقلبِهِ شيئًا فيصادفَ فِعْلُهُ غيرَ ما قَصَدَ كأنْ رَمَى صيدًا فأصابَ صَبِيًّا بغيرِ قصدٍ فَقَتَلَهُ فإنه لا يتعلَّقُ بفعلِهِ ذمٌّ فِى الدُّنْيَا ولا مؤاخذةٌ فِى الآخرة مِن غيرِ أن يَنْفِىَ ذلكَ ترتُّبَ حُكْمٍ على خَطَئِهِ كوجوبِ الدِّيَةِ عليه فِى المِثالِ ⊙

(و)تجاوزَ سبحانَه عنِ الأمةِ **(النِّسْيَانَ)** أيضًا وهو ضِدّ الذُّكْرِ بضمّ الذالِ بمعنى التَّذَكُّرِ وهو المُرادُ هنا بمعنَى أن يكونَ ذاكرًا الشَّىْءَ فينساهُ عندَ الفعلِ كما لو أكلَ الصائمُ أو شَرِبَ ناسيًا للصَّوم أو نَسِىَ انتقاضَ وُضُوئِهِ فَصَلَّى ظانًّا أنه على وضوءٍ فلا مؤاخذةَ عليه فِى الحالَيْنِ ويجبُ عليه الإعادةُ فِى المِثالِ الثانى إذا تَذَكَّرَ ⊙

قال عليه الصلاةُ والسلامُ **(وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)** أىْ ما صَدَرَ منهم مِمَّا هو مِنْ جنسِ أفعالِ الذُّنُوبِ وعلى صُورَتِها لكنْ بالإكراهِ والإجبارِ قال البيهقىُّ قال الشافعىُّ رحمَهُ اللهُ قالَ اللهُ جلَّ ثناؤُهُ ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنُّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ وللكفرِ أحكامٌ فَلَمَّا وَضَعَ اللهُ عنه الكفرَ سَقَطَتْ أحكامُ الإكراهِ عَنِ القولِ كُلِّهِ لأنَّ الأعظمَ إذا سقطَ سقطَ ما هو أصغرُ مِنْهُ ثُمَّ أَسْنَدَ عن ابنِ عباسٍ رَضِىَ اللهُ عنهُما عن رسول الله ﷺ إنَّ الله تجاوز لِى عن أُمَّتِى الخطأَ والنسيانَ وما اسْتُكْرِهُوا عليه وأَسْنَدَ عَنْ عائشةَ رَضِىَ اللهُ عنها عَنِ النَّبِىِّ ﷺ أنه قال لا طلاقَ ولا عَتاقَ فِى إغلاقٍ اهـ أىْ إكراهٍ ⊙ فإذا تكلَّمَ مَنْ أُكْرِهَ ظُلْمًا بما أُكْرِهَ عليه وهو غيرُ راضٍ بِهِ لم يكنْ عليه بِهِ مؤاخذةٌ فِى الدُّنيا ولا فِى الآخرةِ ولم يَتَرَتَّبْ عَلَيْهِ حُكْمٌ مِنَ الأحكامِ وكان لَغْوًا وبِهذا فارقَ النَّاسِىَ وسواءٌ فِى ذلك العقودُ كالبيعِ والنكاحِ والحُلُولُ كالخُلْعِ والطلاقِ والعتاقِ والأَيْمَانُ والنُّذُورُ ⊙ ولو حلفَ لا يفعلُ

شيئًا ففعلَهُ مُكْرَهًا لم يَحْنَثْ ⊙

وأمَّا الإكراهُ بِحَقٍّ فهو غيرُ مانعٍ مِنْ لُزُومِ ما أُكْرِهَ عليه كما لو أُكْرِهَ الحربِيُّ على الإسلامِ فأسلمَ صَحَّ إسلامُهُ وكذا لو أكرَهَ الحاكمُ أحدًا على بيعِ مالِهِ لِيُوَفِّيَ دَيْنَهُ صحَّ البيعُ ⊙ نعم لو أُكْرِهَ على قتلِ معصومٍ لم يَجُزْ له أن يقتلَهُ فإنَّهُ إنَّما يَقْتُلُهُ باختيارِهِ افتداءً لنفسِهِ من القتلِ وليستْ نَفْسُهُ أولَى مِن نفسِ الآخر بالاستبقاءِ فإذا فعلَ أَثِمَ وَوَجَبَ عليه وعلى المُكْرِهِ القَوَدُ فلا يُباحُ لهُ الإقدامُ على القتلِ ⊙

ثم إنَّ ما يُعَدُّ إكراهًا معتَبَرًا يَختلفُ باختلافِ الأحوالِ وباختلافِ ما يُقْصَدُ الإكراهُ عليه فالإكراهُ على الرِّدَّةِ مثلًا لا يَثْبُتُ بالحبسِ أو أخذِ المالِ أو مُطْلَقِ الضَّرْبِ أو قطعِ الأصبعِ بل لا يَثْبُتُ إلا بالقتلِ عندَ بعضٍ وبِهِ وبِمَا أَفْضَى إلى المَوْتِ عادةً عند ءَاخَرِينَ وهو يَثبتُ فِى الطلاقِ مثلًا بالقتلِ وما يُفْضِى إلى الموتِ وقتلِ الوالدِ أو الولدِ والحبسِ الطويلِ والضربِ المؤثِّر وتفصيلُ ذلك يُطلب من كتب الفِقْهِ وأُصُولِهِ ⊙

وهذا الحديث رُوِىَ مرفوعًا وموقوفًا ومرسلًا ومتصلًا مِن طرقٍ وهو (**حديثٌ حسنٌ رواهُ ابن ماجَهْ**) لكن عن أُبَيٍّ (**و**)رواه (**البيهقيُّ**) عن ابنِ عباسٍ (**و**)رواه (**غيرُهما**) عن ابنِ عباسٍ أيضًا كالحاكم فِى المستدرك وقال صحيحٌ وابنِ حِبَّانَ فِى صحيحِهِ والدارقطنىّ وأوردَهُ الحافظُ أبو الفضلِ العراقىُّ فِى أماليه مِنْ طريقِ البيهقىّ وقال حديث حسنٌ فوافقَ المُصَنِّفَ فِى تحسينِهِ مع تصريحِ أكثرَ مِنْ واحدٍ بتصحيحِهِ ⊙

والله أعلم ⊙

(الحديثُ الأربعونَ)

وهو أصلٌ فِى قِصَرِ الأملِ فِى الدُّنيا ⊙

(عنِ ابنِ عمرَ رَضِىَ اللهُ عنهُما قالَ أخذَ رسولُ اللهِ ﷺ بمَنْكِبِى) بالإفرادِ وفَعَلَ ذلك ﷺ لِيَتَوَجَّهَ ابنُ عُمَرَ تَوَجُّهًا بليغًا لِسَمَاعِ ما يُلْقَى عليه ويَتَمَكَّنَ معناه فِى قلبِهِ، وفيه إيماءٌ إلى منزلةِ السامعِ عنده ﷺ واهتمامِهِ لشأنِهِ وهكذا كان يفعلُ شيخُنا الهررىُّ رَحِمَهُ اللهُ أحيانًا معِى ومع غَيْرِى وكنتُ أجدُ لفِعْلِهِ هذا فِى القلبِ حلاوةً عجيبةً وأثرًا بالغًا مِنَ الاهْتِمَامِ بما يُلْقِى إلَىَّ **(فقال كُنْ فِى الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ)** فلا تَرْكَنْ إليها **(أو عابرُ سَبيلٍ)** مبالغةً فِى تركِ الرُّكُونِ إلى الدُّنيا وعدم تحديثِ النَّفسِ بطولِ البَقَاءِ فيها أو الاعتناءِ بها لأنَّ الغريبَ قد تطولُ إقامتُهُ فِى غيرِ وَطَنِهِ بخلافِ عابرِ السبيلِ أىْ وكُنْ مُتَهَيِّئًا بأسبابِ الارتحالِ بِتَدَارُكِ ما فاتَ وَرَدِّ المَظَالِمِ أو طلبِ الاستحلالِ مُحَرِّضًا نفسَكَ بالشوقِ على السَّيْرِ إلى موضعِ النَّعِيمِ فِى دارِ القَرارِ وشأنُ عابرِ السبيلِ توجُّهُ الهمَّةِ إلى مقصِدِهِ لا إلى حيثُ هو ⊙

قال أبو الحسنِ بنُ بَطَّالٍ فِى شَرْحِ البخارىّ قالَ أبو الزِّنادِ معنى هذا الحديثِ الحَضُّ على قلةِ المُخالطةِ وقلةِ الاقتناءِ والزهدِ فِى الدنيا اهـ قال أبو الحسن بيانُ ذلك أنَّ الغريبَ قليلُ الانبساطِ إلى الناسِ مُسْتَوْحِشٌ منهم إذ لا يكادُ يَمُرُّ بِمَنْ يعرفُهُ فيأنسَ به ويَسْتَكْثِرَ بِخُلْطَتِهِ فهو ذَلِيلٌ خائفٌ، وكذلك عابرُ السَّبِيلِ لا ينفذُ فِى سفره إلا بِقُوَّتِهِ عليه وخِفَّتِهِ منَ الأثقالِ غيرَ متشبثٍ بما يمنعُهُ مِنْ قَطْعِ سَفَرِهِ مَعَهُ زادُهُ وراحلتُهُ يُبَلِّغَانِهِ إلى بُغْيَتِهِ مِنْ قَصْدِهِ وهذا دليلٌ على إيثارِ الزُّهْدِ فِى الدُّنيا لأخذِ البُلْغَةِ منها والكَفافِ فكما لا يَحتاجُ المسافرُ

إلى أكثرَ مِمَّا يُبَلِّغُهُ إلى غايةِ سفرِهِ كذلك لا يحتاجُ المؤمنُ فِى الدُّنْيَا إلى أكثرَ مِمَّا يُبَلِّغُهُ المَحِلَّ اهـ

وقال الوزيرُ يحيى بنُ هُبَيْرَةَ رحمه الله فِى هذا الحديثِ ما يَدُلُّ على أنَّ رسولَ الله ﷺ حَضَّ على التَّشَبُّهِ بالغريبِ لأنَّ الغريبَ إذا دَخَلَ بلدةً لم يُنافسْ أهلَهَا فِى مَـجَالِسِهِمْ ولا يجزعُ أنْ يَرَوْهُ على خلافِ عادَتِهِمْ فِى المَلبوسِ ولا يكونُ متدابرًا معهم وكذلك عابرُ السبيلِ لا يتخذُ دارًا ولا يَلِجُّ فِى الخصوماتِ مع الناسِ ولا يُشَاحِنُهُمْ ناظرًا إلى أنَّ لُبْثَهُ معهم أيامٌ يسيرةٌ فكلُّ أحوالِ الغريبِ وعابرِ السبيلِ فِى الدنيا مستحَبَّةٌ أنْ تكونَ للمؤمنِ فِى الدُّنيا لأنَّ الدُّنيا ليستْ وطنًا له لأنها تَحْبِسُهُ عن دارِهِ وَهِىَ الحائلةُ بينَهُ وبينَ قَرَارِهِ اهـ ولذلك فهو لا يجزعُ من ذُلِّهَا ولا ينافِسُ فِى عِزِّها له شأنٌ وللناسِ شأنٌ يَعْلَمُ أنه دائبُ السَّيْرِ أىْ جادٌّ فيه يُساقُ سَوْقًا حثيثًا وإنْ ظهرَ أنه مُقِيمٌ فالموتُ مُتَوَجِّهٌ إليه والدُّنيا تُطْوَى مِنْ ورائِهِ وما مضَى مِنْ عمرِهِ فليس بِكَارٍّ عليه وأيامُهُ ولياليِهِ مراحلُ ينزلُهَا مرحلةً مرحلةً حتى يَنْتَهِىَ به ذلك إلى ءَاخِرِ سَفَرِهِ وعَمَّا قريبٍ ما هُوَ فَهَمُّهُ أن يقدِّمَ فِى كلِّ مرحلةٍ زادًا لِمَا بين يَدَيْهَا لعله يبلغُ المَنْزِلَ ⊙

(**وكان ابنُ عُمَرَ يقولُ إذا أمسيتَ**) أىْ دخلتَ فِى وقتِ المساءِ وهو أولُ اللَّيْلِ (**فلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ**) وهو أولُ النهارِ (**وإذا أصبحتَ**) أى دخلتَ فِى الصَّبَاحِ (**فلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ**) ⊙ وقولُ ابنِ عمرَ رَضِىَ اللهُ عنهُ هذا مُقْتَضَبٌ مِنْ معنَى الحديثِ وفيه حَضٌّ على أنْ يكونَ الموتُ نُصْبَ عَيْنَىِ المؤمنِ فيستعدَّ له بالعملِ الصالِحِ وفيهِ حضٌّ على تقصيرِ الأَمَلِ فلذلكَ هو يقولُ لا تنتظرْ بأعمالِ الليلِ الصباحَ بل بادرْ بالعملِ وكذلك إذا أصبحتَ فلا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بالمساءِ وتُؤَخِّرْ أعمالَ الصَّبَاحِ إلى الليل ⊙ وقد جاءَ فِى الصحيحين وغيرِهِما ولا يزالُ قلبُ ابنِ

ءادمَ شابًّا فِى اثنينِ حُبِّ الدُّنيا وطُولِ الأَمَلِ اهـ أىْ فإيَّاكَ وذلك قال تعالى ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ فينبَغِى التنَبُّهُ بتقصيرِ الأملِ واستشعارِ الأجلِ خوفَ بَغْتَتِهِ ومَنْ غُيِّبَ عنه أجلُهُ فهو جديرٌ بتَوَقُّعِهِ وانتظارِهِ خشيةَ هُجُومِهِ عليه فِى حالِ غِرَّةٍ وغَفْلَةٍ فَلْيَرُضِ المؤمنُ نفسَهُ على استعمالِ ما نُبِّهَ عليه وَلْيُجاهِدْ أَمَلَهُ وهَوَاهُ وإنْ كان الإنسانُ مجبولًا على الأملِ، قال عبدُ الله بنُ عمرَ رَءانِى رسولُ اللهِ ﷺ وأنا أُصْلِحُ خُصًّا وهو بيتٌ مِنَ القَصَبِ فقال ما هَذَا فقلتُ قَدْ وَهَى فنصلحُهُ فقال ما أَرَى الأمرَ إلا أقربَ مِنْ ذلكَ اهـ رواه أبو داودَ والترمذىُّ وقال حسنٌ صحيحٌ ⊙

قال ابنُ عمرَ رضِىَ اللهُ عنهما (**وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمرضِكَ**) أىِ اغتنِمْ حالَ الصِّحَّةِ واجتهدْ فيها خوفًا مِن حلولِ مرضٍ يمنعُ مِنَ العَمَلِ فَتَقْدُمُ المَعَادَ بغيرِ زادٍ (**ومِنْ حياتِكَ لِمَوْتِكَ**) أىْ فَاغْتَنِمْ حياتَكَ بِفِعْلِ الصالِحَاتِ التِى تنفعُكَ إذا ما مُتَّ لأنَّ مَنْ ماتَ انقطعَ عملُهُ وفاتَ أَمَلُهُ وحضرَهُ إذا كان مُفَرِّطًا نَدَمُهُ ولْيَعْلَمْ أنه سيأتِى عليه زمانٌ طويلٌ وهو تحتَ الترابِ فَلْيُبَادِرْ قبلَ ذلك فِى زمنِ السلامةِ ⊙ قال علىٌّ رَضِىَ اللهُ عنهُ ارتحلتِ الدنيا مُدْبِرَةً وارتحلتِ الآخرةُ مُقْبِلَةً ولكلٍّ واحدةٍ منهما بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أبناءِ الآخرةِ ولا تَكُونُوا مِنْ أبناءِ الدُّنْيَا فإنَّ اليومَ عملٌ ولا حسابَ وغدًا حسابٌ ولا عملَ اهـ

والحديثُ (**رواهُ البخارىُّ**) قالَ البُوصِيرىُّ ورواه ابنُ ماجَهْ وزادَ فِى ءَاخِرِ الحديثِ المرفوعِ وعُدَّ نَفْسَكَ من أهلِ القبورِ اهـ والترمذىُّ وزادَ فِى قولِ ابنِ عُمَرَ فإنكَ لا تدرِى يا عبدَ اللهِ ما اسمُكَ غدًا اهـ أىْ ماذا يكون وصفُكَ ورسمُكَ وهلْ تكونُ فِى الأحياءِ أو فِى الأمواتِ ⊙ وفِى هذا قيلَ

إذا هَبَّتْ رياحُكَ فاغْتَنِمْها فعُقْبَى كُلِّ خافقةٍ سُكُونُ
ولا تَغْفُلْ عنِ الإحسانِ فيها فَمَا تَدْرِى السُّكُونُ مَتَى يكونُ
إِذَا ظَفِرَتْ يَدَاكَ فلا تُقَصِّرْ فإنَّ الدَّهْرَ عادتُهُ يَخُونُ

واللهُ تعالى أعلمُ ⊙

(الحديثُ الحادِىْ والأربعونَ)

(عن أبِى محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِى) هكذا فِى نسخةِ الأصلِ بالياء وذلك مبنيٌّ على أنه اسمُ فاعلٍ منَ العِصْيان وقال جماعةٌ إنه بلا ياءٍ كما حَقَّقَهُ صاحبُ القاموسِ حيثُ قال الأعياصُ مِنْ قريش أولادُ بَنِى أمية بن عبدِ شمسٍ الأكبرِ وهمُ العاص وأبو العاص والعِيص وأبو العِيص اهـ قال بعضُهُم فيجوز إثباتُ الياء وحذفُها **(رَضِىَ اللهُ عنهُمَا)** وتَرَضَّى عن عَمْرِو بنِ العاصِ لاعتقادِ كونِهِ نَدِمَ وتابَ عندَ المَوْتِ مِمَّا فَعَلَ مِن نَحْوِ خُرُوجِهِ على سيدِنا عليٍّ رضِىَ اللهُ عنه ⊙ وأما ولدُهُ عبدُ اللهِ فأَسْلَمَ قبلَ أبيه وكان بينهما إحدَى عشرةَ أو اثْنَتَا عشرةَ سنةً وكان كثيرَ الحديثِ كاتِبًا تُوُفِّىَ بمكةَ سنةَ خمسٍ وستينَ عن ثنتينِ وسبعينَ سنةً **(قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لا يُؤْمِنُ أحدُكُمْ)** إيمانًا كاملًا **(حَتَّى يكونَ هَوَاهُ)** أىْ شهواتُ نفسِهِ أىْ ميلُ قلبِهِ إلى ما يُلائِمُ نفسَهُ وطباعَها وإعراضُهُ عمَّا يُنافِرُها **(تَبَعًا)** أىْ تابعًا **(لِمَا جِئْتُ بِهِ)** شرعًا جامعًا مانعًا أىْ حَتَّى يَغْلِبَ اتِّبَاعُهُ للشَّرْعِ هَوَاهُ فتكونُ موافَقَتُهُ للشرعِ وفِعْلُهُ ما يَأْمُرُ به كفعلِ ما يَمِيلُ إليه طَبْعُهُ كأنها بلا كُلْفةٍ ⊙

ويُناسِبُهُ ما صحَّ مِنْ أنَّ الزبير رَضِىَ اللهُ عنهُ كان بينه وبين رجلٍ

مِنَ الأنصارِ يُلمَزُ بالنِّفاقِ خصومةٌ فِى ماءٍ فَتَحَاكَمَا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال رسولُ الله ﷺ اسْقِ يا زُبَيْرُ وسَرِّحِ المَاءَ إلى جارِكَ يَحُضُّهُ بذلك على المُسَامَحَةِ والتيسيرِ فقال الأنصارىُّ يا رسولَ اللهِ أنْ كان ابنَ عَمَّتِكَ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رسولِ الله ﷺ ثُمَّ قالَ يا زبيرُ احْبِسِ الماءَ حتى يبلغ الماءُ الجَدْرَ ثم سَرِّحْهُ فنزلَ قولُ الله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ اهـ رواهُ البخارىُّ وغيرُهُ ⊙ فإنْ قلتَ فلماذا لم يُقِمْ عليه الصلاةُ والسلامُ على هذا المنافقِ حكمَ الرِّدَّةِ مع أنَّ اتهامَه ﷺ بالخيانةِ فِى الحكمِ والحيفِ والجورِ لأجلِ القرابةِ كفرٌ فالجوابُ لأنه كان مأمورًا بالصبرِ على أهلِ النفاقِ حتَّى لا يُقالَ إنَّ محمَّدًا يقتُلُ أصحابَه فيمتنعَ الناسُ منَ الدخولِ فِى الإسلام قال أبو العباسِ القرطبىُّ فِى المُفهِمِ شرح صحيح مسلمٍ فلو صدرَ اليومَ مثلُ هذا مِن أحدٍ فِى حقِّ النبىِّ ﷺ لَقُتِلَ قتلةَ زنديقٍ وقد أشبَعْنا القولَ فِى ذلك اهـ

ويُنَاسِبُهُ أيضًا ما رواه الشيخانِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال والذِى نَفْسِى بيدِهِ لا يؤمنُ أحدُكُمْ حَتَّى أكونَ أحبَّ إليه من والدِهِ وولدِهِ والناسِ أجمعينَ اهـ ولا يَخْفَى أنَّ هذا الحديثَ مِنْ جوامعِ الكَلِمِ لأنَّ أقسامَ المَحَبَّةِ ثلاثةٌ محبةُ إجلالٍ وتعظيمٍ كمحبةِ الوالدِ ومحبةُ شفقةٍ ورحمةٍ كمحبةِ الولدِ ومحبةُ استحسانٍ ومشاكلةٍ كمحبةِ سائرِ الناسِ فحصرَ أصنافَ المَحبةِ قال ابنُ بطال نقلًا عن أبِى الزنادِ فِى معناه إنه لا يكملُ إيمان أحدكم ولا يبلغ أعلى درجاته حتى يحبَّنِى المَحَبَّةَ التِى تجعلُهُ يقدِّمُ طاعتِى على موافقةِ والدِهِ وولدِهِ وغيرِهِمَا مِنَ النَّاسِ جميعًا اهـ وقال الإمامُ أبو سليمانَ الخَطَّابِىُّ لَمْ يُرِدْ به حُبَّ الطَّبْعِ بلْ أراد بِهِ حُبَّ الِاختيارِ لأنَّ حبَّ الإنسانِ نفسَهُ طبْعٌ ولا سبيلَ إلى قلبِهِ

قَالَ فَمَعْنَاهُ لَا تَصْدُقُ فِى حُبِّى حَتَّى تُفْنِىَ فِى طَاعَتِى نَفْسَكَ وَتُؤْثِرَ رِضَاىَ عَلَى هَوَاكَ وَإِنْ كَانَ فِيهِ هَلَاكُكَ اهـ فَمَنِ اسْتَكْمَلَ الإيمانَ عَلِمَ أنَّ حَقَّ رسولِ الله ﷺ وفضلَهُ ءَاكَدُ عليه مِنْ حَقِّ أبيه وابنِهِ والناسِ أجمعينَ لأنَّ الله تعالى إنما استَنْقَذَه مِنَ النار وهداه مِنَ الضلال بالرسولِ ﷺ ثمَّ عملَ على مقتضَى ذلك فلم يُقَصِّرْ فِى بذلِ نفسِهِ دُونَهُ فَمَنْ وَجَدَ ما تَقَدَّمَ مِنْ نَفْسِهِ فقد كَمَلَتْ مَحَبَّتُهُ وصحَّ أنَّ هَوَاهُ تَبَعٌ لِمَا جاء به رسولُ اللهِ ﷺ ⊙ وقد كانت الصحابةُ يقاتِلُونَ معه ﷺ ءَابَاءَهُمْ وأبناءَهُمْ وإخوانَهُمْ، رَوَى الطبرانِىُّ بسندٍ جيدٍ كما قالَ الحافظُ فِى الإصابةِ أنَّ والدَ أبِى عُبَيْدَةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ جعلَ يتصَدَّى لأبِى عُبيدة يومَ بدرٍ فيحيدُ عنه فلما أكثرَ قَصْدَهُ قَتَلَهُ اهـ وقال عبدُ الرحمنِ بنُ أبِى بكرٍ لأبيهِ رأيتُكَ يومَ أُحُدٍ فَصَدَفْتُ عنك أىْ أعرضْتُ فقال أبو بكرٍ لكنِّى لو رأيتُكَ ما صَدَفْتُ عنك اهـ أخرجه ابنُ أبِى شيبةَ والحاكمُ ⊙

وقد وصفَ اللهُ تعالى المشركينَ باتِّباع الهَوَى فِى مواضعَ مِنْ كتابِهِ فـقـالَ ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ ⊙ وكذلك البِدَعُ إنما تنشأ مِنْ تقديمِ الهَوَى على الشرعِ ولِهَذا يُسَمَّى أهلُها أهلَ الأهواءِ ⊙ وكذلك المَعَاصِى إنما تقعُ مِنْ تقديم الهَوَى على الاتِّبَاع ⊙ فإذا كان الأمرُ كذلك فينبغِى على المؤمن أن يُقَدِّمَ الاتِّباعَ على الهوَى حتَّى فِى حبِّ الأشخاصِ وبُغْضِهِمْ فإنه يَنْبَغِى أن يكونَ تَبَعًا لِمَا جاءَ به الرسولُ ﷺ لا تَبَعًا لِلْهَوَى وهكذا كلُّ تصرفاتِ الإنسانِ ومَنْ أَحَبَّ للهِ وأبغضَ للهِ وأعطَى للهِ ومنعَ للهِ فقدِ استكملَ الإيمانَ ⊙

والحديثُ الذِى ذَكَرَهُ الشيخُ (**حديثٌ صحيحٌ**) قال رحمه الله (**رَوَيناه فِى كتابِ الحُجَّةِ**) على تاركِ المَحَجَّةِ لِقِوَامِ السُّنَّةِ إسماعيلَ بنِ

محمدٍ الأصبهانيّ التميميّ **(بإسنادٍ صحيحٍ)** رواه عن ابنِ أبِى عاصم ورواهُ الأخيرُ فِى كتاب السُّنَّةِ لَهُ وخرَّجه الحافظُ أبو نعيمٍ فِى كتابِ الأربعينَ وشرطَ فِى أَوَّلِهَا أن تكونَ مِن صحاحِ الأخبار وجيادِ الآثارِ مِمَّا أجمعَ الناقلونَ على عدالةِ ناقِلِيهِ وخَرَّجَتْهُ الأئمةُ فِى مسانيدِهِمْ ⊙ وقال البُوصِيرِىُّ رواه شيخُنا أبو الفضلِ العراقىُّ فِى أماليه وقال بعدَهُ حديثٌ حَسَنٌ رجالُهُ ثِقَاتٌ اهـ وقال فِى فتحِ البارِى أخرجَهُ الحسنُ بنُ سُفيانَ أىْ فِى أَرْبَعِيهِ ورجالُهُ ثقاتٌ وقَدْ صحَّحَهُ النووىُّ فِى ءَاخِرِ الأربعينَ اهـ

والله تعالى أعلمُ ⊙

(الحديثُ الثانِى والأربعونَ)

(عن أنسٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ قال سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ قالَ اللهُ تعالى يا ابنَ ءَادَمَ) المقصودُ بالنداء جنسُ البَشَر كأنه قال يا أيها الإنْسُ **(إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى)** أىْ ما دُمْتَ تَسْأَلُنِى المَغْفِرَةَ **(ورَجَوْتَنِى)** أىْ ما دُمْتَ تطمعُ فِى مَغْفِرَتِى ورَحْمَتِى أو ما دُمْتَ تخافُ عُقُوبَتِى إذِ الرَّجَاءُ يكون بِمَعْنَى الخَوْفِ أيضًا **(غفرتُ لكَ)** فَسَتَرْتُ عيوبَكَ ومَحَوْتُ ذنوبَكَ **(على ما كان)** أىْ على ما وقعَ **(منكَ)** مِنْ ذُنُوبٍ كبيرةٍ أو صغيرةٍ **(ولا أُبالِى)** أىْ ولا تعظمُ علَىَّ كَثْرَتُهَا ⊙ وهذا موافقٌ لحديثِ الشيخينِ أَنَّ العبدَ إذا أذنبَ ثم ندمَ فقال أى رَبِّ أذنبتُ ذنبًا فاغفرْ لِى ولا يغفر الذنوب إلا أنتَ يقول اللهُ تعالى عَلِمَ عَبْدِى أنَّ له ربًّا يغفرُ الذَّنْبَ ويأخذُ بِهِ أُشْهِدُكُمْ أنِّى قد غفرتُ له ثم يفعلُ ذلك ثانيةً وثالثةً وفِى كل مرة يَغْفِرُ الله له ثم يقولُ اللهُ اعْمَلْ مَا شِئْتَ فقدْ غَفَرْتُ لَكَ اهـ يعنِى لِمَا أذنبتَ واستغفرتَ ⊙

وللتوبةِ ثلاثةُ شروطِ الإقلاعُ عَنِ المَعْصِيَةِ والندمُ والعزمُ على أن لا يعودَ وإنْ كانتِ المَعْصِيَةُ تركَ فرضٍ نحوِ صلاةٍ قضاهُ وإنْ كانَ فيها تَبِعَةٌ لآدَمِيٍّ قضاه أوِ استرضاهُ فلو أذنبَ الإنسانُ وتابَ فِى اليومِ مرارًا مراعِيًا شروطَ التوبةِ غَفَرَ اللهُ له مهما تكرَّرَتْ منه المعاصِى ⊙

(يا ابنَ ءَادَمَ لو بَلَغَتْ) أىْ وَصَلَتْ **(ذُنوبُك)** مِنْ كَثْرَتِهَا **(عَنَانَ السماءِ)** أىْ ما عَنَّ لك منها أى ظَهَرَ إذا رفعتَ رأسَكَ أىْ لو ملأتْ ذنوبُك الأرضَ والفضاءَ حَتَّى ارتفعتْ إلى السماءِ **(ثم استغفرْتَنِى)** فَتُبْتَ توبةً صحيحةً **(غفرتُ لك)** مهما تكررتِ المعصيةُ والتوبةُ ⊙

وليس المقصودُ مِمَّا تقدَّمَ أنْ يسترسلَ المَرْءُ فِى المَعَاصِى اعتمادًا على رحمة الله مِنْ غير إقلاعٍ وتوبةٍ فإنَّ هذا مِن معاصِى القلوبِ ويُسَمَّى الأمنَ مِنْ مَكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ وهو حرامٌ ومَنْ قالَ إنِّى أتوبُ وهو مقيمٌ على المعصية فهو كاذبٌ وليس هو المَقصودَ بهذا الحديثِ وأمثالِهِ فإنَّ ما ذُكِرَ فِى هذا الحديثِ مِنَ الدعاء والخوف والرجاء هِىَ علاماتٌ للتوبة والإنابة ⊙

(يا ابنَ ءَادَمَ إنَّك لو أتَيتَنِى بقُرابِ) بالضم أشهرُ مِنَ الكسر أىْ بمِلْءِ **(الأرضِ خَطَايا)** أىْ بما يملأُها لو قُدِّرَتِ الذنوبُ أجسامًا أىْ لكثرتِها **(ثم لَقِيتَنِى)** حالَ كَوْنِكَ **(لا تُشْرِكُ بِى شيئًا)** أىْ مُتَّ على الإيمان **(لأتيتُك بقُرابِها مغفرةً)** وهِىَ إزالةُ العِقَابِ ونُكِّرَتْ لإفادةِ العَظَمَةِ وعُبِّرَ بقُرابها للمشاكلة ⊙

وقد تضمَّنَ حديثُ أنسٍ هذا أنَّ الأسبابَ الثلاثةَ التِى ذَكَرَها تحصلُ بها المَغْفِرَةُ أحدُها الدُّعاءُ معَ الرَّجاءِ وتقدَّمَ فِى شرحِ الحديثِ العاشرِ ذِكْرُ عددٍ مِنَ الأسبابِ والمَوَانِعِ وثانيها الاستغفارُ وهو طلبُ المغفرةِ مِنَ الله تعالى بالتوبةِ الصحيحةِ وأما الاستغفارُ باللسانِ مع

الإقامةِ على الذَّنْبِ فهو دعاءٌ مُجَرَّدٌ إنْ شاءَ اللهُ حقَّقَهُ وإنْ شاءَ رَدَّهُ وثالثُها توحيدُ اللهِ تعالى وهو السببُ الأعظمُ إذ لا تُقْبَلُ توبةٌ ولا يُنَالُ ثوابٌ على دُعَاءٍ إلا بِهِ وقد قال ربنا عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ ⊙

وقد يغفرُ اللهُ للواقعِ فِى الكبائرِ من دونِ التوبةِ بفضلِهِ ورحمته ولو كان منغمسًا فِى العصيانِ غارقًا فِى الذنوبِ كما قال تعالى ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ وكما رَوَى الترمذىُّ وابنُ حِبَّانَ وابنُ مَاجَهْ وغيرُهُمْ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال إنَّ اللهَ سيُخَلِّصُ رجلًا مِنْ أُمَّتِى على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ فينشُرُ عليه تسعةً وتسعينَ سِجِلًّا كلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصَرِ ثم يقولُ له أَتُنْكِرُ شيئًا مِنْ هَذَا أَظَلَمَكَ كَتَبَتِى الحافِظُونَ فيقولُ لا يا رَبِّ فيقولُ أَفَلَكَ عُذْرٌ أو حَسَنَةٌ فَيُبْهَتُ الرجلُ ويقولُ لا يا رَبِّ فيقولُ بلى إنَّ لك عندنا حَسَنَةً وإنه لا ظُلْمَ عليكَ اليومَ فَيُخْرَجُ له بِطاقةٌ فيها أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه فيقولُ احْضَرْ وَزْنَكَ فيقولُ يا رَبِّ ما هذه البِطاقةُ مع هذه السِّجِلَّات فيقولُ إنك لا تُظْلَمُ فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِى كِفَّةٍ والبطاقةُ فِى كِفَّةٍ فطاشَتِ السجلاتُ وثَقُلَتِ البِطاقةُ قال فلا يَثْقُلُ مع اسمِ اللهِ شَىْء اهـ أىْ لا يرجَحُ اسمَ اللهِ ولا يغلِبُهُ شَىْءٌ مِن معاصِيهِ ⊙ والبطاقةُ رقعةٌ صغيرةٌ وفِى روايةِ غريبِ الحديثِ للحربِىّ وفتوح مصر لعبد الرحمن بن عبد الحكم وصفُ هذه البطاقةِ بأنها صغيرةٌ اهـ

والحديثُ **(رواهُ الترمذىُّ وقال حديثٌ حَسَنٌ)** غَرِيبٌ لا نعرفُهُ إلا مِنْ هذا الوَجْهِ اهـ قال البوصيرىُّ أخرجه الحافظُ العراقىُّ فِى أماليه وقالَ رجالُ إسنادِهِ ثقاتٌ اهـ وأخرجه أحمدُ وأبو عَوَانَةَ فِى مُسندِهِ مِنْ حديثِ أَبِى ذَرٍّ والطبرانىُّ مِنْ حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ وفيه بِشَارةٌ عظيمةٌ

وحِلْمٌ وكَرَمٌ عظيمان وما لا يُحْصَى مِنْ أنواعِ الفضلِ والإحسان والرأفةِ والرحمةِ والامتنانِ ⊙ ومثلُهُ حديثُ مُسْلِمٍ عَنْ أبِى أيوبَ رَضِىَ اللهُ عنهُ أَنَّهُ لَمَّا حضرتْهُ الوفاةُ قال كنتُ قد كَتَمْتُ عَنْكُمْ[(١)] شيئًا سمعتُهُ مِنْ رسولِ الله ﷺ سمعتُهُ يقولُ لولا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخلَقَ اللهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ فيغفرُ لَهُمْ اهـ

وقد أَحْسَنَ المصنفُ رحمه الله تعالى بِخَتْمِ الأحاديثِ الأربعينَ التِى انتقاها بِذِكْرِ الزُّهْدِ وقِصَرِ الأملِ وتمامِ التَّمَسُكِ بالشرعِ وحُسْنِ الظَّنِّ بالله تعالى فإنَّ مَنْ فَعَلَ ذلك كانَ مِنْ أهلِ الدَّرَجَاتِ العُلَى واللهُ المستعانُ ⊙

قال الشيخُ مُحْيِى الدِّينِ أبو زكريا يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِىُّ رحمه الله (**فهذا ءَاخِرُ ما قَصَدْتُهُ مِنْ بَيَانِ الأحاديثِ التِى جَمَعَتْ قواعِدَ الإسلام**) أىْ أساسَهُ وما عليه مَدَارُهُ (**وَتَضَمَّنَتْ مَا لا يُحْصَى مِنْ أَنْوَاعِ العُلُومِ فِى الأُصُولِ**) مِمَّا يتعلقُ بمعرفةِ اللهِ ومعرفةِ الرسولِ ﷺ والمَبْدَإِ والمَعَادِ والكتبِ والأنبياءِ والملائكةِ (**والفروعِ**) مِنَ الأحكامِ الفقهيةِ (**والآدابِ**) مِنْ تَحْسِينِ الأحوالِ الظاهرةِ والباطنةِ وتزيينِ الأخلاقِ (**وسائرِ وُجُوهِ الأحكامِ**) مِمَّا يَحْصُلُ به كمالُ الإتقانِ والإحكامِ واللهُ تعالى أعلمُ ⊙

---

(١) قوله (كتمتُ عنكم) قال النووىُّ فِى شرحِ مسلم إنما كتمه أوَّلًا مخافةَ اتِّكالِهِمْ على سعة رحمة الله تعالى وانهماكِهِم فِى المعاصِى وإنما حدَّثَ به عند وفاته لئلا يكون كاتمًا للعلم وربما لم يكن أحدٌ يحفظُهُ غيرُهُ فتعين عليه أداؤه وهو نحو قوله فِى الحديث الآخر فأخبر بها معاذٌ عند موته تأثُّمًا أى خشية الإثم بكتمان العلم وقد سبقَ شرحُهُ فى كتاب الإيمان اهـ الفقير.

انتهى ما يَسَّرَ اللهُ تعالى مِنَ التَّعْلِيقِ على الأحاديثِ الأربعينَ التِى جَمَعَها الحافظُ النووىُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أوضَحْتُ فيه الغَرِيبَ وحَلَلْتُ المُشْكِلَ وبيَّنْتُ المَعَانِىَ والإشاراتِ ورُتَبَ الأحاديثِ بشرحٍ مُستَوْفٍ لا تطولُ عباراتُهُ ولا يُخِلُّ بالمقصودِ منه اختصارُهُ والمَأمولُ مِمَّنْ طالعَهُ وأَمَرَّ عليه ناظِرَهُ أنْ لا يُبادِرَ بالإنكارِ على أَمْرٍ يُعَايِنُهُ فيهِ إلَّا أن يَرَى خَطَأً مُتَيَقَّنًا فَيَنصحنِى ويدعُو لِى مع ذلكَ فإنَّنِى إنْ شاءَ اللهُ ما جمعتُ هذهِ الأوراقَ إلَّاَرجاءَ الفائدةِ والنَّفْعِ ⊙

والناسُ لم يُصَنِّفُوا فِى العِلْمِ لِكَىْ يَصيرُوا هَدَفًا للذَّمِّ
ما صنَّفُوا إلا رجاءَ الأجْرِ والدَّعواتِ وجَميلِ الذِّكْرِ
لكنْ فَدَيْتُ جَسَدًا بِلَا حَسَدْ ولا يُضِعُ اللهُ حقًّا لأحدْ
واللهُ عِنْدَ قَوْلِ كلِّ قَائِلِ وذو الحِجَا مِن نفسِهِ فِى شَاغِلِ

اللهم إنَّا نتوسلُ إليك باسمِكَ الأعظمِ وبكلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِى الغَيْبِ عندَكَ أو عَلَّمْتَهُ أحدًا مِنْ خَلْقِكَ وبِشَرَفِ القُرْءَانِ العَظِيم وبجَاهِ أنبيائِكَ ورُسُلِكَ وبِجَاهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ محمدٍ ﷺ وبملائكتِكَ المُقَرَّبينَ وعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ والأَرَضِينَ أنْ تَخْتِمَ لَنَا بِخَيْرٍ وأَنْ تُوَفِّقَنَا لِمَا تُحِبُّهُ وتَرْضَاهُ مِنَ القَوْلِ والعَمَلِ وأنْ تَجْعَلَ خَيْرَ أَيَّامِنَا يومَ لِقَائِكَ وخيرَ أعمالِنَا خَوَاتِيمَهَا وأنْ تُوَفِّقَنَا لِمَا يُقَرِّبُنَا إليكَ وأنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالدينا ومَشَايِخِنَا وأحبابِنَا وجميعِ المُسْلِمِينَ وصَلَّى اللهُ على إمامِ المُرْسَلِينَ ورسولِ رَبِّ العالمينَ سيدِنَا محمدٍ وعلى ءَالِهِ وَصَحْبِهِ أَجمعينَ وسُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وسَلَامٌ على المُرْسَلِينَ والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ⊙

تَمَّ تبييضُ متنِ الأَرْبَعينَ النَّوَوِيَّةِ وإنهاءُ النظرِ مرةً بعد مرةٍ فِى كتابِ تحفةِ المشتاقين إلى حلِّ ألفاظ متنِ الأربعين ليلةَ الاثنينِ السابع عشر من ربيعِ الآخِرِ من عام ثلاثٍ وأربعينَ وأربعِمِائَةٍ وألفٍ من الهجرةِ المباركةٍ وتمَّ ولِلهِ الحمدُ والشُّكرُ والثناءُ الحَسَنُ ⊙

والله تعالى أعلمُ ⊙



محتويات الكتاب



شرح الأحاديث



